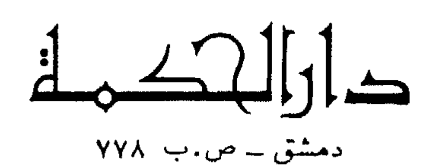
أنصار رسول الله ﷺ

أنصار رسول الله ﷺ

تأليف

عبد المنعم الهاشمي



دمشق - ص.ب ٧٧٨

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار الحكمة :
دمشق - حلبوني - ص. ب ٧٨٧
بيروت - ص. ب ١١٣/٥٧٢٠

الإهداء

اللَّهُمَّ إنِّي أَحْبَبْتُ أَنصار رسولِكَ الكريم صَلَوَاتُ اللَّهِ وسَلامُه عَليْه حُبّاً لا يكفيه وصفٌ ولا يُضَارِعه متاع الدنيا .

فهبني يَـوْمَ الحَشْرِ الأَكْبَـرِ لزمـرةِ الأنصارِ . . فمـا أحببتهم إلَّا لِحُبِكَ وحُبِّ رَسولكَ الكَريم ـ وأغفر بها سيئاتي يا رب ،

عبد المنعم الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الرحلة من البداية

قبل أن نبدأ هذه الرحلة المباركة نجول في مكة وما آلت إليه حال رسول الله ﷺ من جراء نتيجة دعوته حتى هذه اللحظة التي سنبدأ منها انها اللحظة ما قبل لقاء الأنصار . .

الرسول ﷺ عائد لتوه من الطائف لقد خرج بالأمس وفي نفسه أمل كبير أن يستعيض بحليف يشد أزره بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان آخر نصير له بالأمس القريب .

خرج الرجل بالأمس يلتمس النصرة من أهل الطائف ولكن صُدِمَ فيهم وسالت الدماء من قدميه الشريفتين بفعل أحجارهم التي أصابت هذه القدم الشريفة وجلس يستريح في بستان « عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة » ورجع عنه السفهاء الذين لاحقوهُ بأحجارهم ، انهم سفهاء ثقيف وأهل الطائف ، جلس عليه السلام يقول : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلني ؟

الى بعيد يتجهمني[1] ؟ . . أم إلى عدو ملكته أمري ؟

---

(١) تجهمه : استقبله بوجه كريه .

إن لم يكن بك علي غضب فلا أُبالي . .

ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهتك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحلّ علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك »[١] .

وبينما هو على هذه الحال لاحظ صاحبا البستان ما آلت اليه حاله ﷺ ، فتحركت له رحمتهما وصلة القرابة بينهم وبين الرسول ﷺ كقرشيين مثله فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له : « عداس » ، فقالا له :

خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه .

فقام عداس وحمل قطفاً من العنب ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له : كل .

فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال : بسم الله ، ثم أكل !! .

فنظر عداس في وجه رسول الله ﷺ ثم قال :

والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد .

فقال له رسول الله ﷺ : ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟

فقال عداس : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى .

فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟

فقال رسول الله ﷺ : ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي .

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه ، فلما

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٦٢ ـ طبعة دار احياء التراث ـ بيروت .

جاءهما عداس (ثيبة وعتبة أصحاب البستان ، قالا لـه : ويلك يا عـداس ! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟

قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا ،

لقد أخبرني بأمر مـا يعلمه إلا نبي . قـال له : ويحـك يا عـداس إلا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه[1] .

وعندما ننهي هذه القصة نحس أن الله استجاب لدعاء حبيبه في التـوّ واللحظة، فقد أذهب عنه الهم والحزن، وجعل من يقترب منه بطعام ثم يقبِّلَ رأسه وقدميه فيزيل عنه الاحساس بالهوان على الناس ، صلى الله عليك يا رسول الله .

من هذه البداية انطلق الرسول ﷺ بلا كلل ولا تأخير لأمر الله تعالى ، لقد بدأ يدعو القبائل ، وبدأت رحلة الايمان عنـدما أراد الله أن تخـرج عن حدود مكة وقد منحت الأقدار رجالاً من المدينة لقاء الرسول ﷺ ومن هذه اللحظة ، لحظة لقاء نفر قليل من « الخزرج » قادمين من يثرب ، من هذه اللحظة بدأت رحلة الأنصار مع الرسول ﷺ . ولنبدأ هذه الرحلة في صحبة الأنصار والرسول .

كانت رحلة الأنصار مع الاسلام والرسول رحلةً ممتعة رائعة تمـلأ القلب غبطة وتزيده إيماناً ، انها رحلة التجاوب والتفاعل السريع والذي كان له سحر وجمال الإيمان .

فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يعز دينه ، ويقوي دعائمه ، قدَّر وما

---

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة جـ ١ ص ٨٢ ـ ابراهيم الأبياري ـ طبعـة مؤسسة سجل العـرب القاهرة ـ ١٩٧٤ .

شاء فعل ، قدَّر ورتَّب لقاء الرسول بأول وفد من الأنصار عند العقبة شأنهم شأن القبائل التي كان ﷺ يدعوها الى الإسلام .

فلقد لقي أول ما لقي جماعة من الخزرج عند العقبة ، لما لقيهم ﷺ قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج .

فقال عليه السلام : أمن موالي يهود ؟

قالوا : نعم .

قال عليه السلام : أفلا تجلسون أكلمكم ؟

قالوا : بلى .

وجلسوا مع الرسول ﷺ فدعاهم دعوة الحق والإيمان ، وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم آيات من القرآن .

استمع القوم وكانوا ستة من الخزرج وهم :

١ ـ تيم الله من بني النجار.

٢ ـ أسعد بن زرارة (من بني النجار) .

٣ ـ عون بن الحارث (من بني النجار) .

٤ ـ رافع بن مالك بن العجلان (من بني زريق) .

٥ ـ عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام (من بني حرام) .

٦ ـ جابر بن عبد الله بن رُباب بن النعمان بن سنان بن عُبيد، وكان مما صنع الله بهم من الاسلام، أن يهوداً كانوا معهم من بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوثاً الآن، قد أطل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم الرسول ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلموا والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود ؛ فلا تسبقكم

اليه ، فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام .

وقالوا : «إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم اللّه بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم الى أمرك ودينك . ونفرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك »[1] .

هكذا كانت البداية حازمة رائعة يملؤها الايمان ، لقد منحهم الله حظاً ما بعده حظ ، فأسكن الايمان في قلوبهم من أول وهلة ، ومن أول لقاء بينهم وبين خاتم المرسلين ﷺ .

ثم انصرف القوم عن رسول الله ﷺ راجعين الى يثرب وقد آمنوا وصدقوا . فما إن وصلوا المدينة المنورة حتى ذكروا لقومهم ما سمعوه من رسول الله ﷺ ودعوهم إلى دعوته ، دعوهم الى الإسلام حتى سرى بينهم خبر محمد ودينه، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ .

حتّى إذا كان العام المقبل جاء وفد كبير منهم قوام اثنا عشر رجلاً . .

وكان اللقاء الأول وكانت بيعة العقبة الأولى سنعرض لأحداثها، ولنرى كيف كانت البدايات السابقة هي الخطوة الهامة على طريق الايمان انها خطوة الموفورين الحظ ، السعداء في الدنيا والآخرة ، الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . لقد سمت نفوسهم عن الدنيا كلها فكانوا نعم الأنصار لسيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ في أول لقاء معه ، وفي السنوات العشر التي قضاها معهم في المدينة ، وحتى بعد وفاته كانوا مثلاً للوفاء ، وها هم في العقبة الأولى يمدون الأيادي للبيعة .

---

(١) سيرة بن هشام جـ ٢ ص ٦٨ . طبعة دار احياء التراث بيروت .

مع الرسول في العقبة الأولى

جاء العام التالي وفيه وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوهُ بالعقبة فبايعوه ﷺ على بيعة النساء : وهي أخذ عهد وميثاق منهم دون المبايعة على القتال ، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب .

وقد كان الرجال الاثني عشر المبايعين من قبائل مختلفة في المدينة

فمن بني النجار :

١ ـ أسعد بن زرارة .

٢ ـ عوف بن الحارث .

٣ ـ معاذ بن الحارث (وهما ابنا عفراء) .

ومن بني زريق :

٤ ـ رافع بن مالك بن العجلان

٥ ـ ذكوان بن عبد قيس بن زريق .

ومن بني عوف :

٦ ـ عبادة بن الصامت .

٧ ـ يزيد بن ثعلبة بن أحرم بن عمرو بن عمارة .

ومن بني سالم :

٨ ـ العباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .

ومن بني سلمة :

٩ ـ عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بني سواد :

١٠ ـ عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

ومن الأوس :

١١ ـ أبو الهيثم بن التيهان .

ومن بني عمرو :

١٢ ـ عويم بن ساعدة .

ولنترك أحد الأقطاب الاثني عشر يتحدث عن هذه اللحظات الخالدة يقول عبادة بن الصامت :

« بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نـزني ولا نقتل أولادنـا ولا نأتي ببهتـان نفتريـه بين أيدينـا وأرجلنا ، ولا نعصيـه في معروف ، فـإن وفيتم فلكم الجنـة ، وإن غشيتم من ذلـك شيئـاً فأخذتم بحدِّه من الدنيا ، فهو كفارة له ، وإن سُتِـرْتم عليه إلى يـوم القيامـة فأمركم إلى اللّه عزَّ وجل ، ان شاء عذب وإن شاء غفر »[١] .

هكـذا كانت البيعـة الأولى ، بيعة الإيمـان ، بيعة السلوك الاسـلامي الصحيح على كل هذا بايع الأنصار في العقبة الأولى .

ولمـا انصرف القـوم بعث رسولُ اللّه ﷺ معهم مصعب بن عميـر بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يُقْرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين .

وقد أطلق عليه الأنصار اسم « المُقْرِىء مصعب » .

ونزل مصعب بن عمير من دار أسعد بن زرارة .

وقـد أدى مصعب دوره على أحسن ما يكـون فانـدفع شبـاب المدينـة واحداً تلو الآخر كلٌّ منهم يقصد دار أسعد بن زرارة ليشهد أنه لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

لقد صلى مصعب بن عمير وعلم المسلمين الصلاة وكانت أول جمعة

(١) سيرة بن هشام جـ ٢ ص ٧٦ .

أقيمت في المدينة بعد دخول مصعب اليها ، اجتمع عليها أربعون رجلاً من الأنصار وأمَّهم في الصلاة أبو أمامة أسعد بن زرارة والذي كان يستضيف مصعب في داره ، وكانت هذه الدار الكريمة مركز الدعوة حيث أسلم فيها كل من سعد بن معاذ ، وأسيد بن الحضير رضوان الله عليهما .

وكان سعد بن معاذ سيد بني عبد الأشهل فلما أسلم عاد الى قومه ، فلما رآه القوم مقبلاً عليهم قالوا :

«نحلف بالله لقد رجع اليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم » .

فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟

قالوا : سيد وأوصلنا وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبةً ؛

قال : «فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتى تؤمنوا باللّه وبرسوله فوالله ما أمسى من دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة »[1] .

هكذا كانت الخطوات تتوالى بعد العقبة الأولى حتى لم تَبق دار من دور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون .

بيعة العقبة الثانية

رجع مصعب بن عمير الى مكة ، بعد أن أدى مهامه التي كُلِفَ بها من قبل الرسول ﷺ وكان الحاجُّ من يثرب في هذه السنة ـ سنة ٦٢٢ ميلادية ـ كثيرون بالفعل وكان من بينهم خمسة وسبعون مسلماً من الأنصار ـ منهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان[2] فلما عرف الرسول مقدمهم ، فكر في بيعة ثانية لا تقف عند الدعوة الى الاسلام على نحو ما ظل يدعو اليه ثلاث عشرة سنة

---

(١) سيرة بن هشام جـ ٢ ص ٨٠ .

(٢) الأمرأتان هما : نسيبة بنت كعب الأنصارية ـ احدى نساء بني مازن بن النجار ـ والثانية : ام منيع : وهي أسماء بنت عمرو بن عدي ـ من بني سلمة .

متتابعة في رفق وصبر وجلد ، صبر على الأذى وتضحية بكل ما يملك ﷺ من أجل الدعوة .

وفكر الرسول ﷺ أن تكون البيعة الثانية حلفاً يدفع به هؤلاء المسلمون عن أنفسهم الأذى بالأذى والعدوان بالعدوان .

واتصل ﷺ سراً بزعمائهم ، زعماء الأنصار وعرف حسن استعدادهم ، ووفائهم واخلاصهم ، فواعدهم أن يلتقوا معه عند العقبة جَوْفَ الليل في أواسط أيام التشريق ، وكتم مسلمو يثرب وأنصار رسول الله ﷺ أمرهم عن أهل يثرب من المشركين .

وكان موعدهم اذا مضى ثلث الليل ، فانتظروا حتى اذا مضى ثلث الليل من يوم موعدهم مع النبي ﷺ خرجوا من رحالهم يتسللون تسلل الخائف الحذر ، مُسْتَخْفِين حذر أن ينكشف سرَّهم . فلما كانوا عند العقبة تسلقوا الشُّعب جميعاً وتسلقت المرأتان معهم ، وأقاموا ينتظرون مقدم الرسول ﷺ .

وأقبل الرسول ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وكان ما يزال على دين قومه من قريش، ولكنه لما عرف من محمد أن هناك بيعة ستتم وحلفاً سيقام بينه وبين أهل يثرب ، وقد يؤدي هذا التحالف الى قيام حرب بين محمد وحلفائه من جهة وبين قريش من جهة أخرى ، وكان قد تعاهد مع بعض آل البيت من بني عبد المطلب وبني هاشم أن يمنعوا عن محمد كل من تعرض له بأذى ، فجاء العباس بن عبد المطلب «ليستوثِقْ لابن أخيه ولقومه حتى لا تكون كارثة يصلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب نارها ، ثم لا يجدون من هؤلاء اليثربيين نصيراً »[1] .

---

(١) حياة محمد ـ د/محمد حسين هيكل ـ ط دار المعارف مصر ـ ط ١٥ .

ولذلك وقف العباس بن عبد المطلب وكان أول المتحدثين فقال :

يا معشر الخزرج! (وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من **الأنصار** خزرجها وأوسها على السواء) .

يا معشر الخزرج : ان محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فَدَعُوه، فإنه في عزٍّ ومنعة في قومه وبلده »[1]

فقال أهل يثرب من الأنصار وقد سمعوا كلام العباس بن عبد المطلب عم النبي :

قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فأجاب النبي ﷺ بعد أن تلا القرآن ورغَّبَ في الاسلام قائلاً :

أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم .

فوقف رجل هو سيد قومه وكبيرهم، وقف البراء بن معرور . وكان قد أسلم بعد العقبة الأولى في المدينة على يد مصعب بن عمير وقام بكل ما يفرض الإسلام . قام البراء بن معرور ومد يده مصافحاً رسول الله ﷺ مبايعاً إياه وهو يقول :

« بايعنا رسول الله ﷺ ! فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر » .

بهذه الكلمات أراد البراء أن يطمئن العباس عم النبي بأن ابن أخيه في

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٨٤ ط دار احياء التراث بيروت .

منعة رجال عند كلمتهم ، أوفياء اذا وعدوا ، صادق إذا تحدث البراء عنهم . نعم والله ما ذمهم الرسول والمسلمين ، أنصاراً وأصحاب عهد وبيعة ، فليستوثق العباس بن عبد المطلب من اليوم أن ابن أخيه في حمى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه لقد أثبت التاريخ وفاءهم فجادوا بأموالهم ودمائهم من أجل دعوة الحق وداعيها محمد ﷺ .

ثم أضاف البراء بن معرور قائلاً :

نعم والذي بعثك بالحق نبيّاً لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا (نساءنا) عند ذلك قاطع البراء أنصاري آخر هو أبو الهيثم بن التَّيهان قائلاً لرسول الله ﷺ :

يا رسول الله : إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنا قاطعوها (يقصد اليهود في المدينة) .

فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

فتبسم الرسول ﷺ وقال :

بل الدم الدم والهدم الهدم[1] انتم مِني وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

وهمَّ القوم بالبيعة ، فاعترضهم العباس بن عُبادة قائلاً :

«يا معشر الخزرج! أتعلمون عَلاَمَ تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فان كنتم ترون أنكم اذا نُهِكَتْ أموالكم مصيبةً واشرافكم قتلاً اسلَمْتُموه فمن الآن فدعوه ؛ فهو واللّه إن علمتم خِزْيُ

---

(١) الهدم : اهدار دم القتيل ـ يعني ان الرسول قصد من طلب دمكم فقد طلب دمي ـ وذلك من اصول المعاهدة والنصرة .

الدنيا والآخرة وان كنتم ترون أنكم وافون لهبمادعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة » .

فأجاب القوم : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟

ورد عليهم الرسول باسماً مطمئناً قائلاً : الجنة . فقالـوا : أبسط يدك فبسط الرسول يده . عند ذلك بسطوا أيديهم لمبايعة الرسول ﷺ فبايعوه فلمَّا فرغوا من البيعة قال لهم الرسول ﷺ اخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم كُفَلَاء فاختار القوم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . نظر النبي لهؤلاء النقباء وكانوا من اشراف قومهم فمن الخرزج اختار القـوم التسعة الآتية أسمائهم :

١ ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة .
٢ ـ سعد بن الربيع الخزرجي .
٣ ـ عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي .
٤ ـ رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي .
٥ ـ البراء بن معرور بن صخر الأنصاري الخزرجي .
٦ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي .
٧ ـ عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي .
٨ ـ سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي .
٩ ـ المنذر بن عمرو الأنصاري الخزرجي .

ومن الأوس ثلاثة رجال هم :
١ ـ أسيد بن الحضير من بني عبد الأشهل من الأوس .
٢ ـ سعد بن خيثمة الأنصاري الأوسي .
٣ ـ رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي .

نظر الرسول ﷺ لهؤلاء النقباء الاثني عشر قائلاً :
« أنتم على قومكم بما فيهم كُفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل في قومي » .

فبايعوه صلوات الله وسلامه عليه بأن قالوا : « بايعنا على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ،وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف من الله لومة لائم » .

كل هذا كان في سكون الليل وجوف الظلام . فلما انتهت البيعة سُمِعَ صوتاً للشيطان يصرخ من رأس العقبة ويقول بأعلى صوت :

يا أهل الجباجب ـ يا أهل المنازل ـ هل لكم في محمدٍ والصُّباةُ[1] معه قد اجتمعوا على حربكم .

فقال رسول الله ﷺ : هذا شيطان العقبة[2] .

وقد ذكر أن الذي صرخ بهذا الصوت رجل خرج لبعض شأنه ، فعرف من أمر الأنصار والرسول عندما تجسَّسَ وتلصَّصَ عليهم ، فأراد أن يفسد هذه البيعة على الأنصار والرسول .

حتى أنه عندما سمعه العباس بن عُبادة قال للرسول ﷺ :
« والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا » .

فأجابه الرسول ﷺ قائلاً : « لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم » .

فرجعوا الى مضاجعهم وناموا حتى أصبح اليوم التالي .

---

(١) الصباةُ : الخارجين على دينهم في نظر قريش .
(٢) ورد النص : « هذا إزْب الكعبة » والإزب بسكون الزاي وكسر الهمزة معناها : الشيطان .

وعندما أشرقت الشمس وأصبح القوم وجدوا أن قريش علمت بنبأ هذه البيعة وجاءوا الى الخزرج من بيوتهم يعاتبونهم ويقولون لهم :

إنهم لا يريدون حربهم ، فما بالهم يحالفون محمداً على قتالهم ، ووقف المشركون من الخزرج يحلفون ما كان من هذا شيء .

أما المسلمون من الأنصار الخزرجيين فاعتصموا بالصمت حين رأوا قريشاً مالت لتصديق هؤلاء المشركين من الخزرج .

عند ذلك عادت قريش لا تستطيع أن تؤكد خبر البيعة والعهد أو تنفيه ، واحتمل أهل يثرب العقبين المبايعين لرسول الله ﷺ رحالهم وعادوا قاصدين بلدهم قبل أن تصدق قريش ما حدث .

ولما تأكدت قريش من الخبر خرجت تطاردهم تريد اللحاق بهم ، فلم تلحق منهم إلا سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو وكلاهما كان نقيباً من نقباء العقبة .

أما المنذر فقد أعجز قريش وهرب منهم ، فأخذوا سعد بن عبادة الى مكة وعذبوه وضربوه وبينما القوم يضربون سعد بن عبادة اقترب منه رجل ممن كان معهم وقال له : أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عَهْد . فتذكر سعد بن عبادة وقال :

« بلى ، والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف « تجارة » .

وامنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحارث بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف » .

فقال الرجل لسعد هامساً : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين .

فهتف سعد بينما كان الكفار يضربونه : يا جبير بن مطعم . . يا جبير ياحارث بن خرب . . اجيروني من القوم . اجيروني .

وركض الرجل سريعاً فأبلغ جبير والحارث قائلاً :

أتجلسان هنا في الكعبة ورجلاً من الخـزرج يضرب بـالابطح ويهتف ويستجير بكما . ويذكر أن بينه وبينكما جواراً .

قال الرجلان : ومن هو ؟

قال : سعد بن عبادة .

قالا : صدق والله ـ إنه كان ليجيـر لنا تجّـارنا ، ويمنعهم أن يُـظْلَموا ببلده ، وفزع الرجلان مسرعان الى سعد وخلصا سعد من أيدي قريش .

فعاد الى المدينة ولحق بقومه وروى ما حدث له .

وكانت مرحلة ما بعد العقبة بمثابة بداية لكيد شديد للرسول وأصحابه ، وبدأ مكرهم ونواياهم السيئة تتمثل في تعذيبهم وايذائهم لأصحابه فأمرهم أن يسبقـوه إلى يثرب مهـاجرين حيث المنعـة والأمان وأمـرهم عليه السـلام أن يلحقوا الأنصار بالمدينة ، على أن يتركوا مكة متفـرقين حتى لا يثيروا ثـائرة قريش عليهم وبدأت الهجرة . . وبدأ الرسول ﷺ يفكر في الهجرة . . ولكن لكـل شيء وقته وأمـر الله نافـذ . . فلا يُستعجـل أمره من مسلم ، سبحـانه وتعالى عما يشركون .

اللقاء في المدينة المنورة

كانت قريش تحسب لهجرة النبي إلى المدينة ألف حساب ، لقد تكاثر المسلمـون في يثرب من المهـاجرين وأهلهـا من الأنصـار ، فـإذا لحق بهم الرسول ﷺ أصبحت يثرب مركز قوة له ولأصحابه يُخشى منها على مكة ومن

فيها، وإذا ظل الرسول ﷺ في مكة وتعرض لايذاء قريش هم أهل يثرب من أنصاره بقطع طريق تجارة قريش الى الشام وهذا الأمر يعد بالنسبة لهم هين بسيط .

كل هذه الأفكار راودت أشراف مكة وكبرائها . فكان اجتماع دار الندوة لبحث الأمر وتقصي الأسباب التي جعلت من محمد ﷺ مشكلتهم التي يجب التغلب عليها ودار الحوار بين الأقطاب فوقف أحد اذكياءهم وقال : يخرج من بيننا رجل يقتله .فرد عليه الحكماء بقولهم : لن يسكت على دمه بنو هاشم وبنو عبد المطلب ويتحول صراعنا الى حرب أهلية داخل مكة . وهي أكثر شراً ممَّا نخشاه من اتباعه من يثرب وخطرهم . وقال آخر : إذن احبسوهُ في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ـ لكن هذا الرأي لم يجد له مؤيد في المجلس. ثم وقف آخر وقال : نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا . .

فأجابوه : نخاف أن يلحق بأنصاره من أهل يثرب .

واستمر الحوار ساخناً تطرح فيه الأفكار الى أن توصلوا إلى اختيار فتى من كل قبيلة يكون له دراية بالسلاح والفروسية ، وأن يعطوا كل فتى سيفاً حاداً فيضربوه ضربة رجلٍ واحدٍ فيتفرق دمه بين القبائل، ويعجز بنو عبد مناف عن المطالبة بدمه الذي سيتفرق بين القبائل جميعاً ، ويقبلوا فيه الدِّيَة وينتهي الأمر هكذا صور لهم تفكيرهم ولكن الأقدار وعلم الغيب كانت تبشر بمجيء رسالة عظيمة على يد هذا الرجل ومن حوله من المستضعفين في مكة وأنصاره في المدينة واستقر رأي قريش على هذا ، وباتت النوايا الخبيثة تعد العدة بتوجيه من ابليس وأبنائه النشطاء في هذا الوقت ، بدأوا يعدون العدة للنيل من صاحب أشرف رسالة وخاتم المرسلين محمد ﷺ .

أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال :

لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . .

وهنا أوحى الله لرسوله ﷺ بالهجرة ونجد المؤامرة التي دبرت له .

فلما كانت عتمة من الليل اجتمع الكفار على بابه يرصدونـه حتى ينام فينقضون عليه وينالوا منه ما دبروا وما أرادوا .

ونظر الرسول ﷺ فوجدهم على هذه الحـال عندئـذ قال لعلي بن أبي طالب ، نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر ، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم .

وكان الرسول ﷺ ينام في بردة هذا إذا نام .

وخرج الرسـول ﷺ عليهم فأخـذ الله بأبصـارهم بينما الـرسول يـردد الآيات الأولى في سورة ﴿ يٓس والقرآن الحكيم ﴾ ثم انصرف عليه السلام الى دار أبي بكر الذي أعد نفسه للرحلة وأعد الراحلتين وانطلق موكب الخير في جنح الظلام تاركاً مكة خلفه .

وماذا عن الكفار . لـما تنفس الصبح جاءهم رجل يقول : ما تنتظرون ها هنا ؟

قالوا : محمد .

قال : خيبكم الله ! لقد خـرج عليكم محمداً ، فـدخلوا يستطلعـوا الأمر فوجدوا علياً ينام في فراش محمد ﷺ .

في هذه الأثناء كان الرسول في طريقه يصحبه أبو بكر الصديق ومعهما عبد الله بن اريقط كدليل لهما في الطريق ـ وكان عبد الله بن أبي بكر الصديق يتصيد لهما أخبار قريش ، وأمر أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما بالقـرب من غار ثـور ، وكانت أسمـاء بنت أبي بكر تـأتيهما بالطعام اذا أمست .

ومكث الرسول وصاحبه في الغار ثلاث ليـال ، وجاءت قـريش ولكن الله أعمى بصيرة الكفار عنهم ، وقد كاد الأمر يتكشف لولا عناية الله سبحانه وتعالى . وانطلقا الى المدينة كل منهما يركب راحلته .

وسمع الأنصار بمقدم رسول الله وخروجه من مكة . . فكانوا يخرجون اذا صلوا الصبح إلى ظاهر المدينة ينتظرونه ﷺ .

ويقول أحدهم : فوالله لا نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فاذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارة ، حتى اذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ ، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنـا البيوت فكـان أول من رآه رجل من اليهـود فصرخ بأعلى صوته :

يا بني قيلة[1] ـ يا بني الأنصار هذا جدكم قد جاء ، فخرجنا الى رسول الله ﷺ ، وهـو في ظل نخله ، ومعـه أبو بكـر رضي الله عنه في مثـل سنّه وأكثرنا لم يكن رأى الرسول قبل ذلك ، وركبه الناس (أي التفوا حوله) وما يعرفونه من أبي بكر ـ حتى زال الظل من رسول الله ﷺ فقام أبو بكـر وأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

عند ذلك نزل رسول الله ﷺ في ديـار بني عمرو بن عـوف ، في دار كلثوم بن هدم ، وكان شيخاً كبيراً ، وفي هذا المكان بنى الرسول مسجد قباء وهو أول مسجد بني في الاسـلام ثم قضى أربعة أيـام هي الاثنين والثلاثـاء والأربعـاء والخميس ثم دخل المـدينة في يـوم الجمعة . وكـان الأنصار على جانبي الطريق كل قبيلة تودان ينزل في ضيافتها فها هم رجـال بني سالم بن

(١) قيلة : هم الأنصار ، وقيلة اخوة كانت لهم .

عوف : عباس بن عبادة ، وعتبان بن مالك يقولون له : اقم عندنا في العدد والعدّة والمنعة فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليهم مشيراً الى ناقته التي أمسكوا بزمامها :

خلّوا سبيلها ، فإنها مأمورة ـ فخلوا سبيلها وانطلقت .

وتكرر الموقف عند دار بني بياضة ، ثم دار بني ساعدة حيث النقيب سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ـ ثم دار بني الحارث بن الخزرج وسعد بن الربيع شريفهم ولقيتهم . ودار بني عدي بن النجار يتذكرون ويذكرون الرسول انهم أخوال « دنيا » أم عبد المطلب جد الرسول ﷺ ـ وهكذا استمرت الرحلة دون توقف إلى أن وصلت الناقة دار بني مالك بن النجار فبركت أمام دار أبي أيوب الأنصاري فحمل رجل رسول الله ﷺ ومتاعه وأدخله داره ، واستضاف أبو أيوب الأنصاري الرسول ﷺ في داره الى أن بني المسجد ودار رسول الله ﷺ .

وعقب نزول الرسول ﷺ في هذا المكان تسائل عليه السلام عن المكان التي بركت فيه ناقته وقال : لمن المربد ؟ .

فأجابه معاذ بن عفراء : انه لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان .

ثم رجا معاذ الرسول ﷺ أن يتخذ هذا المكان مسجداً .

وقبل الرسول ﷺ وأمر أن يبني المسجد في هذا المكان المبارك وأن يبني داره أيضاً بعد أن يعوض أصحاب المكان ثمن أرضهما .

عند ذلك شرع المسلمون في دأب ومثابرة لبناء المسجد يد الأنصاري مع يد المهاجر كل منهم يتسابق للعمل على انجاز مسجد الرسول في المدينة وبيت يسكن فيه « وما كان بناء المسجد ولا كان بناء المساكن ليُرهق أحداً وقد كانت كلها البساطة بما يتفق وتعاليمه ﷺ وتعاليم

دينه . كان المسجد فناءً فسيحاً ، بنيت جدرانه الأربعة من الآجر والتراب ، وسُقِفَ جزء منه بسعف النخل وتُرك الجزء الآخر مكشوفاً وخصصت إحدى نواحيه لإيواء الفقراء الذين لم يكونوا يملكون سكناً ولم يكن المسجد يُضاء ليلاً إلا ساعة صلاة العشاء إذ توقد فيه أنوار من القش أثناءها »(١) .

وبعد هذا الإنجاز الضروري لاستقرار الرسول ﷺ وبالتالي استقرار المهاجرين والذي تتابع وصولهم بعد ذلك إلى المدينة القى الرسول ﷺ أول خطبة له في المدينة قال فيها :

« احمد الله واثني عليه » ـ اما بعد ، ايها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم(٢) ، ثم لَيَدَعَنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، وليس له ترجمان ، ولا حاجبٌ يحجُبُه دونه : ألم يأتك رسولي فبلّغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرنّ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيّبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها ، الى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »(٣) .

واستمر الرسول ﷺ يدعو الانصار والمهاجرين في المدينة وآخى بينهم وكتب رسول الله ﷺ « وثيقة » نظم فيها حقوق وواجبات أهل المدينة من مهاجرين وانصار من المسلمين ، واليهود وجميع رعية المدينة وعاهد

---

(١) حياة محمد / د محمد حسين هيكل ص٢٣٤ .

(٢) جاءت في سيرة ابن هشام عن ابن سلمة بن عبد الرحمن بنص مغاير حيث قال : فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله . ثم قال . . . اما بعد .ـ

(٣) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٤٦ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت د / مصطفى السقا وآخرين .

الرسول ﷺ في هذا الكتاب اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم ، وكان نص هذا الكتاب نظام كامل ودستور مدون لجميع أهل المدينة جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

« هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . انهم امة واحدة من دون الناس. المهاجرين من قريش على ربعتهم (اي على استقامتهم وامرهم الذي كانوا عليه) .

يتعاقلون بينهم وهم يغدون عاينهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تغذي عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين»[1] .

ثم ذكر الرسول ﷺ كل بطن من بطون الانصار وأهل كل دار منهم : بني الحارث ، بني ساعدة ، وبني النجار . . الخ . ثم قال عليه السلام في الصحيفة : « وأن المؤمنين لا يتركون مُفرحاً[2] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى وسِيعَة (ظلم) أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين .

وأن ايديهم عليه جميعاً ولو كان ولد احدهم ولا يَقتُل مؤمن مؤمناً من كافر ، ولا ينصُر كافراً على مؤمن .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ـ طبعة دار صادر ـ بيروت .

(٢) المفرح : هو الذي عليه أعباء وديون وعنده أولاد بكثرة يصعب عليه القيام بواجباتهم .

وأن ذمه الله واجدة يجير عليهم ادناهم .

وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

وانـه من تبعنـا من يَهُـود فـإن لـه النصـرَ والأسْـوَةَ (اي المسـاواة في المعاملة) غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

وأن سَلْمَ المؤمنين واحـدة لا يُسـالم مؤمن دون مؤمن من قتـال في سبيل الله إلا على سواء وَعَدْل بينهم . وأن كل غازية غـزتْ معنا يعقُب في سبيل اللّه . وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

وأنه لا يُجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدَثاً ولا يؤويه وأنـه من نصره أو آواه فـإن عليه لعنـة الله وغضبه يوم القيامة ولا يُؤْخَذُ منه صَرْف ولا عَدْل .

وانكم مهمـا اختلفتم فيه من شيء فـإن مـرده الى الله وإلى محمـد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين » .

ثم اختتم الـرسول هـذه الصحيفة او الـوثيقة بعـد مرد كـل الواجبـات اختتمها كما يلي : ـ

« وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه .

وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

وانـه لا يحول هـذا الكتاب دون ظـالم أو آثم وان من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظَلم وأثِمَ .

وان الله جادٌ لمن برَّ واتقى » . . . وانتهت الوثيقة بهذه الجملة .

هذه هي الوثيقة السياسيـة التي وضعها الـرسول ﷺ لتسكن بهـا نفس

المسلمين وتطمئن بها قلوبهم فانصرفوا جميعاً مهاجرين وأنصار يؤدون فرائض الله دون خوف أوريبة . وشاعت المحبة والألفة في المجتمع الاسلامي في رحاب المدينة المنورة ، كان الأنصار في هذا المجتمع مثالاً للوفاء والتعاون ، والذي كان فيه الرسول ﷺ فرداً عادياً يأبى أن يظهر في أي من مظاهر السلطان والملك او الرياسة .

كان ﷺ يقول لأصحابه : « لا تُطروني كما اطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

وذات يوم خرج على جماعة من اصحابه متوكئاً على عصا فقاموا له ، فقال ﷺ : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً » .

انتظمت الحياة في المدينة اسرة واحدة جسم واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

وانطلقت دعوة الرسول يدافع عنها الأنصار بكل ما يملكون من مال ونفس .

ففي غزوة بدر ابلوا بلاءاً حسناً .

وفي يوم أحد احاطوا الرسول بحائط بشرى منع عنه السهام الدنيئة التي ارادت ان تنال منه ، فهذا ابو طلحة وابو دجانة يزود كل منهم عن رسول الله كل منهم يقول كلمته طالما ترددت على ألسن الأنصار للرسول ﷺ كانوا يقولون دائماً «بأبي أنت وأمي يا رسول الله » .

وها هو سعد بن معاذ يقول للرسول عندما استشار الأنصار بنظرة منه يوم بدر .

قال سعد : لكأنك تريدنا يا رسول الله .

قال عليه السلام : أَجَلْ يا سعد .

قال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت بـه هو الحق ، واعـطيناك على ذلـك عهودنـا ومواثيقنـا على السمع والـطاعة ، فـأمض لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعـرضت بنا هـذا البحر فخضته لخضنـاه معك ومـا تخلف منا رجـل واحد ، ومـا نكره أن تلقي بنـا عـدونـا غداً . إنا لَصَبُرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللِّقاء ، لعل الله يريـك منا مـا تقر بِـهِ عينك ، فسر بنا على بركةِ الله .

وانـطلقت رايـات الاسـلام تحتهـا سيـوف الانصـار وايمـانهم وحبهم للاسلام ولكل من رفع لواءه .

كـانت السنوات العشـر التي قضاهـا الرسـول ﷺ بينهم في المـدينـة حـافلة بـالأحـداث فمن نصـر بـدر الى هـزيمـة أحـد الى حصـار الخنـدق ونصـر الله لجنوده إلى ان تم فتـح مكة وجـاءها الحق الـذي ازهق البـاطـل وقضى عليه وطاف محمد ، وحطم المسلمون الاصنام .

وجاءت غزوة مؤتة ومات فيها بطل من ابـطال الانصار وهـو واحد من ثلاثة حملوا اللواء مات عبد الله بن رواحة شهيداً يزود عن الاسلام .

ان كثرة الاحداث ومـا كان فيهـا من بطولـة الفرسـان وإيمان الانصـار تجعلنا لا نستطيع ان نحصر ماذا نكتب وما الذي نُثبته هنا عن هؤلاء الناس الذين عاهدوا فصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

الأنصار وفتح مكة

انتشر الاسلام في كل ناحية من شبه الجزيرة العربية ، واقبل الناس على المدينة افواجاً افواجاً وألوفاً ألوفاً من كل فج وَحَدَب ، من المدائن والبوادي من الجبال والصحاري ، من كل بقعة من هذه البلاد العربية المترامية الاطراف التي استنارت كلها بنور الله ونور نبيه الكريم ، وحول المدينة المنورة مدينة الرسول وانصاره الكرام ضربت الخيام لمائة الف أو يزيدون ، جاءوا لتلبية دعوته ﷺ لدخول مكة المكرمة ، وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة سار النبي ﷺ واخذ نساءه جميعاً معه ، كل في مِحِفَّتها ، سار وتبعه هذا الجمع الهائل من المسلمين ، ساروا جميعاً تملأ قلوبهم فرحة النصر وغبطة ما بعدها غبطة لعلمهم انهم في الطريق الى بيت الله الحرام .

في الطريق إلى مكة

لبس كل منهم ملابس الاحرام : ازار ورداء زي واحد منتظم تبدوا فيه المساواة ، وتوجه الرسول ﷺ الى ربه وحبيبه ونادى ولبى ومن ورائه المسلمون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنَّ الحمد والنعمة والشكر لك لبيك . لا شريك لك لبيك » وتجاوبت مع هذا الهدير الهائل جوانب الأودية والصحاري تلبي وتنادي ربها مؤمنة عابدة ، وما أن يصل الجمع الهائل الى مسجد في الطريق إلا ويقيم فيه الصلاة ، فلما بلغ القوم سرفاً وهي مكان في الطريق بين مكة والمدينة ـ قال الرسول لأصحابه :

« من لم يكن منكم معه هَديٌ فأحب أن يجعلها عمرةً فليفعل ، ومن كان معه هدى » .

واتم الرسول حجته وفيها القى خطبته الجامعة ، خطبة الوداع ، وكأني

قبل الوداع الأخير

عاد الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن تمت حجة الوداع . وما كاد يصل المدينة بفترة وجيزة حتى شعر بآلام في جسده ورأسه وها هو ﷺ يمر بعائشة صبيحة وصوله المدينة فوجدها تشكو صُداعاً في رأسها وتقول : وارَأساه فقال لها ﷺ وقد بدأ يحس ألم المرض :

بل انا والله يا عائشة وارأساه .

« وزادت الحمى في الايام الأولى من مرضه ﷺ ، حتى لكان يشعر كأن به منها لهباً . لكن ذلك لم يكن يمنعه ساعة تنزل الحمى من أن يمشي إلى المسجد ليصلي بالناس وظل على هذا عدَّة أيام ، لا يزيد على الصلاة ولا يقوى على محادثة اصحابه ولا خطابهم »[1] .

وشعر الرسول انه يريد ان يتحدث إلى اصحابه فقال لأهل بيته : صبوا علي سبع قِرب من آبار مختلفة ـ فصببن عليه ماء القرب السبع حتى قال : حَسْبُكم ، حَسْبُكُم ولبس عليه السلام ثيابه وعصب رأسه وخرج إلى المسجد وجلس على المنبر ، فحمد الله ثم صلى على اصحاب أُحد واستغفر لهم واكثر من الصلاة عليهم ثم قال :

« أيها الناس ، أنفذوا بعث اسامة ، فلعمري لئن قلتم في امارته لقد قلتم في امارة أبيه من قبله . وإنه لخليق للامارة وإن كان ابوه لخليقاً لها» .

ثم سكت برهة خـيّم الصمت على الناس أثناءها ، ثم عاد إلى الحديث فقال :

ان عبيداً من عباد الله خيَّره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده فأختار ما عند الله» .

---

(١) د/ محمد حسين هيكل ـ حياة محمد ص ٥٠١ .

وسكت محمد قليلاً والناس من انصار ومهاجرين في صمت ووجوم لكن أبا بكر ادرك أن النبي إنما يعني بهذه العبارة الأخيرة نفسه ، فلم يستطع من فرط حبه للرسول أن يمسك عن البكاء . فأجهش بالبكاء قائلاً :

« بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا » فأشار الرسول ﷺ إلى ابي بكر قائلاً : على رسلك يا أبا بكر .

وبدأ الرسول بعد ان اكمل خطبته بدأ ينزل من على المنبر ثم توقف قليلاً وقال كلمته الكريمة المؤثرة في انصاره اهل المدينة .

نظر عليه السلام الى الناس وقال :

يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون والانصار على هيئتها لا تزيد ، وأنهم كانوا عيبتي (اي انهم خاصتي وموضع سري) التي أويت اليها .

فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ».

ثم عاد ﷺ إلى بيته ، وانتقل ﷺ الى الرفيق الأعلى في الجنة» .

ودفن الرسول ﷺ وكان قبل وفاته قد أمر ابي بكر أن يصلي بالناس وهذا يعني أنه قد اختاره خليفة له .

وما إن دفن جثمان النبي ﷺ حتى اغار الانصار الى سعد بن عبادة من سقيفة بني ساعدة ـ بينما كان احد نقباءهم وهو اسيد بن الحضير من بني عبد الاشهل ينحاز الى ابي بكر . .

وبينما كان ابو بكر وعمر يجلسان حتى جاء من يقول أن الأنصار انحازوا إلى سعد بن عبادة ، فقال عمر على الفور : انطلق بنا الى اخواننا الانصار يا أبا بكر وبينما هم في طريقهم اذ لقيهم من الانصار رجلان صالحان ، فتساءل الانصار بأن : اين تريدون ؟ قالا عمر وابي بكر الى الانصار .

أرى الانصــار وقد فـاضت عيـونهم بـالـدمـوع بعـد كـل عبـارة من عبـارات الرسول ﷺ .

نادى الرسول ﷺ وما يزال على ناقته بصوت جهـوري كان يـردده من بعده ربيعة بن أميّة بن خَلَف وهو يقف بين العبارة والأخرى : قال عليه السلام بعد ان حمد الله واثنى عليه :

ايها الناس : اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً .

أيهـا الناس : ان دمـاءكم واموالكم عليكم حـرام إلى ان تلقـوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .

وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم وقد بلَّغتُ . فمن كان عنده امانةٌ فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها . وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تَظْلِمُونَ ولا تظلمون قضى الله انه لا رباً ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضـوع كله . وان كل دم كـان في الجاهليـة موضـوع ، وأن أول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

أيها الناس : ان الشيـطان قد يئس من أن يُعبـد بأرضكم هـذه ابداً ، ولكنه إن يطع فيمـا سوى ذلـك فقد رضي بـه مما تحقـرون من اعمالكم . فاحذروه على دينكم .

من وسط هـذه الكلمات يسـود المسلمون انصارومهاجرين صمت الايمان صمت كصمت الوادي كله ، واستمر الرسول في حديثه :

« أيها الناس ، ان النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه

عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدَّة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما احل الله » .

وان الزمان استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها اربعة حُرمٌ ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس ؛ فإن لكم على نسائكم حقّاً ولهن عليكم حقّاً لكم عليهن الاّ يأتين فاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد اذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرحٍ ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » واستوصوا بالفساد خيراً فإنهن عندكم عوان[1] لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيناً : كتاب الله وسنه رسوله .

أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تَعلَّمُنَّ أنَّ كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحلُّ لامرىء في أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمنَّ انفسكم .

اللهم هل بلغت »[2] .

كان الرسول ﷺ يقول هذا وربيعة يردده من بعده مقطعاً مقطعاً حتى انه كان يسأل الناس مثلاً : هل تدرون اي يوم هذا ؟ فيقولون : يوم الحج الأكبر .

---

(١) عوان : اسرى او كالأسرى ومفردها عانية .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١١٥ .

فقال : لا عليكم ألا تقربوهم ، نزلوا في سقيفة بني ساعدة .
« يا معشر المهاجرين اقضوا امركم» .

فقال عمر بن الخطاب : والله لنأتينهم . . انطلقوا حتى وصلوا إلى سقيفة بني ساعدة فإذا بينهم رجل مزمَّل . فقال عمر : من هذا ؟قالوا : سعد بن عبادة ، به وجع ، فلما جلس عمر وابي والمهاجرون معهم وقف خطيب من الأنصار وخطب في الناس يقول :

في سقيفة بني ساعدة

أما بعد ، فنحن انصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دَفَّتْ دَافَّةٌ من قومكم واذا هم يريدون ان يجتازونا من اصلنا ويغصبونا الأمر .

ولما أراد عمر ان يرد هذا الكلام ، منعه أبو بكر مخافة شدته وبأسه وقال له : على رسلك يا عمر .

ثم توجه بالحديث إلى الانصار قائلاً :

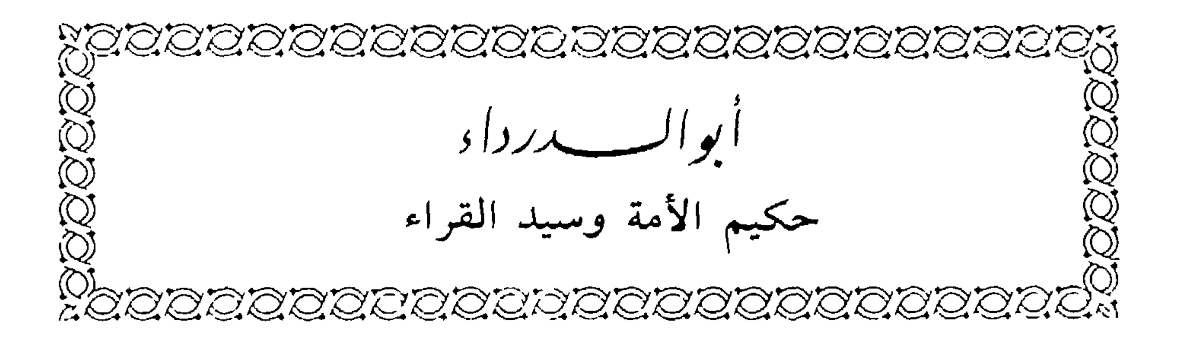
ايها الناس ، نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً ، واكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً ، واحسنهم وجوهاً ، واكثرهم ولادة من العرب وأمهم رحماً برسول الله ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا من القرآن عليكم . فقال تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ﴾[١] .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٠ .

فنحن المهاجرون وأنتم الانصار ، اخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء وانصارنا على العدو ، واما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، وانتم اجدر بالثناء من اهل الأرض جميعاً ، فأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي في قريش ، فمنا الأمراء ومنكم الوزراء» . ولم يكد ينهي أبو بكر خطبته حتى تقدم منه الانصار وبايعوه وانطلقت قافلة الايمان عبر السنين في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الأنصار هم الانصار أهل الوفاء وفرسان البيعة فهم صدق في العهد ، وصبر في الجهاد اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، اللهم اغفر للانصار ، ولابناء الانصار ، ولأبناء أبناء الانصار رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه سلام على الأنصار ، سلام على يثرب ، سلام على مدينة الرسول المنورة .

■ ■ ■



في البدء كلماته العطرة

هذا الرجل آخر من دخل الإسلام من الانصار وقبل أن نمخر عباب سيرته العطرة نستضيء بكلماته نلتمس منها البركة ، ونستنشق منها رائحة الإيمان ، قال ابو الدرداء :

اعوذ بالله من تفرقة القلب .

قيل ما تفرقة القلب ؟ قال : أن يجعل لي في كل واد مال . .

قال الصحابي الانصاري ابو الدرداء :

ثلاثة احبهن ، ويكرهن الناس : الفقر ، والمرض ، والموت .

احب الفقر تواضعاً لربي ، والموت اشتياقاً لربي ، والمرض تكفيراً لخطيئتي .

قال ابو الدرداء : لولا ثلاثة ما احببت البقاء : ساعة ظمأ الهواجر والسجود في الليل ، ومجالسة اقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقي اطايبُ الثمر .

قال ابو الدرداء :

من اكثر ذكر الموت قل فرحه ، وقل حسدهُ

قال ابو الدرداء :

كنت تاجراً قبل المبعث فلما جاء الإسلام جمعت التجارة والعبادة . فلم يجتمعا .

فتركت التجارة ، ولزمت العبادة .

قال كثيراً وامتهن اشرف مهنة في الإسلام امتهن مهنة معلم القرآن في دمشق فاطلق الناس عليه : سيد القراء بدمشق .

حكيم هذه الأمة . . ومن يوت الحكمة ، فقد أوتي خيراً كثيراً . .

ترى هل حان وقت اصطحاب **أبي الدرداء** في سيرته العطرة بعد هذه الكلمات والزهرات اليانعة من حديثه في شؤون الدين والدنيا . . إذن هيا حتى نرتع من هذا الكوثر . . نهر ابو الدرداء . .

بطاقة تعـريـف

الامام القدوة . قاضي دمشق وصاحب رسول الله ﷺ ابو الدرداء عويمر ابن عامر الانصاري الخزرجي . .

حكيم هذه الأمة . . وسيد القراء

صديق عبد الله بن رواحة في الجاهلية والإسلام . .

آخى الرسول بينه وبين سلمان الفارسي . .

عندما همَّ بالإسلام ، واراد ان يدخل في دين الله مؤمناً :

قال لزوجته : اعدي لي ماء من المغتسل ، فاغتسل ، ولبس ملابس جيدة نظيفة . ثم ذهب إلى الرسول ﷺ ، فنظر إليه ابن رواحة مقبلاً .

فتبسم وقال ابن رواحة : يا رسول الله هذا ابو الدرداء وما أراه إلا جاء في طلبنا ؟ .

فقال عليه السلام : « إنما جاء ليسلم . . إن ربي وعدني بأبي الدرداء أن يسلم » .

ترى لماذا تساءل ابن رواحة عندما رآه قادماً . .
ان لهذا التساؤل قصة . . بطلها صديقه عبد الله بن ابي رواحه .

لقد جاء به إلى رسول الله . . لقد فعل معه ما جعله يجيء مسلماً ليلحق بقافلة الإيمان . . حتى انه قال فيما بعد كلمات ينصح بها اصحابه : ألا اخبركم بخير اعمالكم ، واذكاها عند باريكم وانما لها من درجاتكم ، وخير من ان تغزو عدوكم ، فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ، وخير من الدراهم والدنانير ؟؟

قالوا : وما هي . . قال : ذكر الله ، ولذكر الله اكبر . .
لنبدأ طريق الذكر ونروي قصة اسلامه ودور ابن رواحة فيها .

إسلامه

تأخر إسلام ابو الدرداء قليلاً ولكن اللحاق بالقافلة كان بخطى واسعة عميقة الإيمان . . وكان لصاحبه عبد الله بن رواحة اكبر الأثر في اسلام هذا الرجل ، وقد علِمَ قصة صنمه الذي يعبده في بيته . . وذات يوم عزم عبد الله ابن رواحة على ان يفعل شيئاً من اجل اخيه أبي الدرداء وليكن ما يكون .

انطلق عبد الله بن رواحة في أرجاء المدينة المنورة يقصد بيت ابي الدرداء اخيه وصاحبه وصديق عمره في الجاهلية لماذا لا يجعله أخاً في

الإسلام . فلما وصل بيت أبي الدرداء حيا زوجته واستأذن للدخول .

فاستغربت زوجة أبي الدرداء ولكنها لا تعلم عن عبد الله بن رواحة الا خيراً . عندئذٍ اذنت للرجل ان يدخل ، وراحت الى شؤون بيتها واعماله ودخل عبد الله بن رواحة على صنم ابي الدرداء واخرج فاساً كانت معه وجعل يضرب الصنم وهو يردد :

ألا كل ما يُـدعى مع الله بـاطل   ألا كل ما يـدعى مع الله بـاطل

حتى حطم الصنم عن آخره . . وخرج متسللاً يحمل فأسه وقد استراحت نفسه بما فعل برغم انه حسب في نفسه عواقب قد تكون سيئة تنعكس على علاقته بصاحبه ابي الدرداء . . إلا أن رجلاً كهذا لا يخشى في الحق لومة لائم ، وهذا شعار دائم للأنصار . . انصار رسول الله ﷺ .

وجاء ابو الدرداء الى بيته عائداً لتوه من تجارته ولما دخل على زوجته وجدها تبكي خائفة ترتجف وتنظر اليه بخوف وحذر . .

فقال : ما بك ؟ فقالت : عبد الله بن رواحة . . وصمتت .

قال : ماذا حدث منه ؟ . قالت : جاء في غيابك ، وحطم صنمك وجعله قطعاً متناثرة . .

دخل ابو الدرداء الى حجرة الصنم وراح يتأمل وقد اشتد غضبه في البداية وظل على حاله وقف لوقت طويل ، حتى هدأت نفسه ، وذهب عنه الغضب وتساءل في نفسه ، ترى لو كان يستحق العبادة او لو كان الها بحق اليس بالأحرى ان يدفع عن نفسه الضرر ؟ .

كيف اعبد صنماً عاجزاً والله لقد ضللت ، ربما كان عبد الله بن رواحة اعلم مني بجهلي وما أنا بقادر على تمييز الغث من السمين . .

لماذا لا يكون عبد الله بن رواحة ، افضل مني فيما ذهب اليه ؟ . .
اذن لأرى عبد الله أولاً وبعدها نقرر ماذا سيحدث فيما بعد . .

وانطلق الرجل من توه قاصداً صاحبه عبد الله بن رواحة ، والتقى به فأطرق ابن رواحة ينتظر ما سيقول صاحبه . وساد الصمت بين الرجلين . . وسأل ابو الدرداء :

أين رسول الله يا ابن رواحة ؟

فهلل وجه صاحبه بابتسامة الايمان ورحب به أخاً في الإسلام . . وتوجه ابو الدرداء وصاحبه الى رسول الله وشهد ألا إله إلا الله وانه عبده ورسوله ﷺ .

جاء اسلامه متأخراً ولكنه كان دافئاً بالإيمان . . مندفعاً للحاق بالقافلة رغم انه كان آخر رجل من جماعته يدخل الإسلام إلا انه سيثبت فيما بعد انه من الأولين في الاداء ومن السباقين لفعل الخيرات . . فماله لا يغنيه عن السعي للآخرة ، والمشاركة في جهاد قاس جاف شديد . . فيه بأس الدنيا ، وتقشف الزاهدين .

كان رجلاً ميسوراً . . ترى هل عاش حياة الرفاه من اصحاب المال . . لا لن يكون ماله حاجزاً يسد الطريق على جهاده ومشاركته قافلة البذل والجهد . . فابلي بلاءاً حسناً له صورٌ جليلة . . سنشهد منها ما يجعلنا نشعر بدفء الإيمان .

رجلٌ اصلحه اسلامه

عكف ابو الدرداء يتعبد ويبتهل إلى أن يغفر له طول انتظاره ، على ذلك الصنم الذي كان قائماً في بيته . .

كان التهجد اكثر عمل يؤديه ابو الدرداء طاعة لربه وتقرباً إليه . . واقترب الرجل من مجالس العلم علم دينه وتفقهه فيه . وحفظ القرآن وتلاه خاشعاً . . وكان ماله هو فتنته التي ظلت باقية يجاهدها ويحتوي آثارها . . فقد جعلته يتخلف عن مجالس العلم ، يتركه وشأنه فان المال قضية الدنيا وابو الدرداء قضيته الكبرى غير ذلك انها قضية التفرغ للعبادة والإيمان بالله عز وجل . .

وجاء رجل يسأله عن ماله واحوال ماله فقال :

« لقد كنت تاجراً قبل عهدي برسول الله ﷺ فلما اسلمت اردت أن أجمع بين التجار والعبادة فلم يستقم لي ما اردت ، فتركت التجارة واقبلت على العبادة والذي نفسي بيده ، ما أُحِبُّ أن يكون لي اليوم حانوت على باب المسجد فلا تفوتني صلاة مع الجماعة ، ثم ابيع وأشتري فاربح كل يومٍ ثلاثمائة دينارٍ .

ثم استدرك قائلاً :

اني لا اقول : أن الله عز وجل حرم البيع ولكني أحب ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » .

يرحمك الله ابو الدرداء انصاري مخلص رجل اصلحك اسلامك وجعلك نهراً مسترسلاً من الإيمان . . إنه ايمان الانصار . . اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ، ولأبناء ابناء الانصار . .

مع الفاروق عمر

يا أبا الدرداء اريدك والياً على مدينة في الشام . .
هكذا بادر عمر بن الخطاب أبا الدرداء بالحديث . .

فقال : إذا رضيت مني ان اذهب إلى القوم لاعلمهم كتاب ربهم وسنة رسولهم ﷺ واصلي بهم ذهبت مطيعاً راضياً إما ولاية أو أمارة فدعني وإياها . .

وافق عمر بن الخطاب على طلبه وقال له : اذن دمشق . . اذهب الى دمشق وانجز ما اخترت لنفسك من عمل . .

شد ابو الدرداء رحاله وقصد دمشق فوجد حالاً غير الذي ظن بهم فقد انغمس القوم في اللهو والترف ، وانشغلوا بالقصور والمال وشهد الدنيا تقف ومن خلفها توجهات شيطانه . . تضج بها هذه المدينة الإسلامية العريقة فجاء الى المسجد في الناس خطيباً وراح يقول لهم :

ايها الناس ! ما الذي يمنعكم في مودتي والاستجابة لنصيحتي وأنا لا ابتغي منكم شيئاً فنصيحتي لكم واجري على غيركم .

ما لي أرى علماءكم يذهبون

وجهّالكم لا يتعلمون ؟

ما لي اراكم تجمعون مالا تأكلون

وتبنون ما لا تسكنون

وتأملون ما لا تبغون ؟

لقد جمعت الاقوام التي قبلكم وقلت :

فما هو الا قليل حتى اصبح جمعهم هالكاً ضرباً وأملهم عزوراً وبيوتهم قبوراً . هذه عاد يا أهل دمشق قد ملأت الأرض مالاً وولداً فمن يشتري تركتهم (يقصد قوم عاد) بدرهمين . . من يشتري ؟ وصرخ فيهم . . من يشتري . . ؟

بكى الناس من شدة ما القى عليهم من حديث تهتز له النفوس المؤمنة ، وتحول المسجد الى نحيب ودموع من كثرة بكاء الناس . .

رجل من هذه الفئة . . كيف لا نجعله قدوة لنا ، انه رجل انصاري عاصر رسول الله ﷺ واصحابه وجلس في مجالسهم ، وكان صحابياً جليلاً بينهم . .

ظل ابو الدرداء ناصحاً لاهل دمشق ، اماما لهم . . يدعو الى عبادة الله وحده .

ويقول ناصحاً لاحد الشباب :

- يا بني اذكر الله في السراء ويذكرك في الضراء .
- يابني كن عالماً او متعلماً او مستمعاً ولا تكن جاهلاً فتهلك .
- يا بني ليكن المسجد بيتك ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المساجد بيت كل تقي » .
- يا بني صومعة الرجل المسلم بيته يكف فيه نفسه وبصره واياكم والجلوس في الاسواق فإنَّهُ يلهي ويُلقي . .

يرحمك الله سيد القراء . . يرحمك الله حكيم الأمة .
هل يسمع كل الشباب حديثك الآن ؟ .
هل يترجم القارىء حديثك الى عمل ؟
نلتمس منك القدوة ايها الحكيم . فنعم حكيم القوم أنت .

يوم أُحُد « نعم الفارس عويمر »

لا نرتب الاحداث في سيرة أبي الدرداء . . لانها مثل وقيم تصلح لكل زمان تأخر أو تقدم نعود سنوات من دمشق إلى احد مع الرسول ﷺ .

شهد ابو الدرداء يوم أحد فقد اسلم يوم بدر .

ولما ترك الرماة المسلمين الجبل ، امره الرسول ﷺ ان يرد من على الجبل . . وكان هو ممن جاء الى رسول الله عندما اشتد بأس الكفار حوله ، فلما وقف المشركون فوق الجبل يرمون الرسول والمسلمين قال عليه السلام : « اللهم ، ليس لهم ان يعلونا » .

سمع هذه الكلمات وانطلق في جماعة من الانصار ورفع سيفه ورمحه وراح يضرب المشركين حتى طردهم من مكانهم شر طردة .

لقد احسن في هذا اليوم القتال ، ومنع المشركين عن الناس والرسول وقد مكنه الله مما اراد فقال الرسول ﷺ : نعم الفارس عويمر .

يوم قبرص

وتلك الايام يداولها عز وجل بين الناس ففي غزوة أُحد كان فارساً مغواراً وبعد بسنوات طويلة كان شيخاً عجوزاً بالمدينة . . وجاءت الاخبار بفتح قبرص ولم تمض ايام قليلة حتى هلت القوافل بالغنائم . .

ففرح الناس بما اتاهم الله من فضله وجعلوا يعبرون عن فرحهم بالحمد والتسبيح لله عز وجل . . ولا تخفى ابتساماتهم عن الوجوه بينما جلس ابو الدرداء يبكي . . فقال له « حبير بن نفير » احد اصحابه في المدينة . « ما يبكيك يا أبا الدرداء في يوم اعز الله فيه الإسلام وأهله » ؟

فقال ابو الدرداء : « ويحك يا جبير . . ما أهون الخلق على الله اذا هم تركوا أمره بينما هي أمة قاهرة ، ظاهرة ، لها الملك ، تركت أمر الله ، فضارت الى ما ترى » .

لقد تركت هذه الأمم امر الله وعبادته ، فاصبحت هينة يفتحها المسلمون بسهولة .

مع سلمان الفارسي

احسن الرسول ﷺ بين أبي الدرداء وسلمان ، وذات يوم جاءه سلمان يزوره ، فاذا بزوجته تبدو شاكية منه (من أبي الدرداء) لهجره لها . .

فقال سلمان لام الدرداء : ماشأنك ؟ .

قالت : إن اخاك لا حاجة له في البدنيا . . يقوم الليل ، ويصوم النهار فجاء ابو الدرداء مرحباً بسلمان ، وقرب اليه طعاماً ، فقال سلمان كل معي .

قال : إني صائم .

قال سلمان : اقسمت عليك لتفطرن . . فأكل ابو الدرداء مع صاحبه ثم بات سلمان عنده ، فلما كان الليل ، أراد أبو الدرداء أن يقوم فيتهدج ويصلي . . فمنعه سلمان وقال له : إن لجسدك عليك حق ، ولربك عليك حقاً ولاهلك عليك حقاً . صم وافطر ، وصل وائت اهلك ، واعط كل ذي حق حقه .

فلما اصبح سلمان . . قال لصاحبه قم الآن ان شئت : فقاما معاً وتوضآ ثم ركعا ، ثم خرجا إلى الصلاة .

فدنا ابو الدرداء ليخبر رسول الله بالذي أمره سلمان « فقال له عليه السلام : يا أبا الدرداء ، ان لجسدك عليك حقاً ، مثل ما قال لك سلمان »[١] .

هكذا كان اصحاب رسول الله وانصاره يقيمون حدود الله . . ولا

---

(١) البخاري . في باب من اقسم على اخيه ان يفطر رُباب صنع الطعام والتكلف للضيف .

يخشون في الحق لومة لائم . . « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » .

رضوان الله عليهم اجمعين . .

وداعاً سيد القراء

نقول لسيد القراء وداعاً . .

في سنة اثنتين وثلاثين مات سيد القراء وحكيم الأمة . .

الذين كانوا في حلقة اقرائه يزيدوا عن الف رجل . . ولكل عشرة منهم ملقن ، كان يطوف عليهم قائماً ، فاذا احتاج الرجل منهم الى شورته تحول اليه . .

وداعاً حكيم الامة فقد قلت واحكمت القول :

من اكثر ذكر الموت قل فرحه ، وقل حسده . .

ها هو الموت قد جاء على شوق . . نعم انه حبيب أبي الدرداء جاء على شوق . . شوق إلى الجنة . . الى لقاء ربه . . إلى جنة النعيم . .

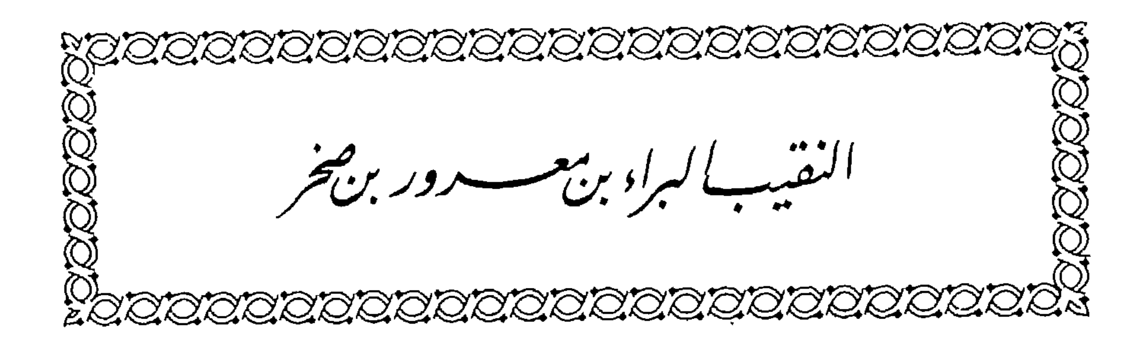
رحم الله ابا الدرداء . . جاهد بسيفه وقلمه تعلم القرآن وعلمه وعمل بقول رسول الله ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلّمه . .

خيرنا ابو الدرداء الانصاري . .

اللهم ارحم الانصار

واغفر للانصار . . ومنهم أبي الدرداء .

■ ■ ■



أول يد صافحت يد رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية : كان البراء بن معرور فاضلاً ، تقياً ، فقيه النفس هكذا وصف الذهبي السيد النقيب البراء ابن معرور .

عاهد وصدق عهده ، وبايع فأوفى ببيعته . . النقيب البراء شهد البيعة ولم يمهله العمر ان يرى الموكب النبوي الشريف وهو يجتاز المدينة المنورة .

النقيب البراء بن معرور تشرفت يده الكريمة بأنها أول يد وضعت في يد رسول الله ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية .

كان مؤمناً حق الايمان : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً﴾ .

هذا وعد من الله للمؤمنين العاملين على طاعته وطاعة رسوله الكريم في السَّراء والضراء . . في الحزن والفرح ، في النصر وفي الشهادة . .

هذا الرجل خرج من بيته دونما تدفعه رغبة في مال أو طموح في سلطان خرج من بيته في المدينة الى رجل ضعيف من مكة في ذلك الوقت ليبايعه ويضع يده في يد الرسول الكريمة معاهداً ومبايعاً على أن يدافع عنه كما يدافع الرجل عن أهله . . يدفع عنه الأذى كما يدفع عن نفسه . . لم يكن الرسول في هذه الأيام صاحب سلطان يجذب الناس ولا من أرباب المال

الذين يجمعون الناس حولهم . .

ولكن كان صاحب دعوة قيل عنها للبراء أنها دعوة حـق . استوعب مضمونها مما سمع من آيات الله المباركة من مصعب بن عمير سفير محمد ﷺ في المدينة . .

لم يطل به المقام حتى يرى المشاهد الكبرى وإنما بايع ودعاه ربه الى جواره ما ضرك أيها النقيب ما فعلت بعد البيعة

بطاقة تعريف

قال تعالى عز وجل :

﴿ أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون ﴾[1] .

صدق الله العظيم

نسبه : من هو البراء بن معرور ؟

هو : « البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان .

السيد النقيب أبو بشر الأنصاري الخزرجي أحد النقباء ليلة العقبة وهو ابن عمه سعد بن معاز ، وكان نقيب قومه بني سلمه . وكان أول من بايع العقبة ، وكان فاضلاً ، تقياً ، فقيه النفس » .

هذه هي البطاقة الموجزة التي نتقدم بها للقارىء قبل أن ندخل في

---

(١) المجادلة الآية ٢٢ .

سيرة لم تظل سنواتها بعد الاسلام والبيعة وانما يده الكريمة المبايعة تركت أثراً عظيماً في نفوس كل المسلمين في أرجاء الأرض لما تحدث به البراء عندما بايع الرسول ﷺ .

وبعد هذه البطاقة الصغيرة لنرى بعض تفاصيلها :
نراه نقيباً يوم العقبة
نراه تقياً . . فقيه النفس .
نراه فاضلاً . . نراه انصاريا وفياً لدينه ولربه ولرسوله الكريم . .
مرحباً أبا بشر الأنصاري . .

إسلامه

إذا كان البراء بن معرور بن صخر سيد من سادات الخزرج فلندع أحد أبناء رعيته يتحدث عن هذا اليوم المشهود في تاريخ البراء بن معرور بن صخر يقول الأنصاري بن كعب : خرجنا ، ومعنا البراء بن معرور بن صخر سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا[١] :

« يا هؤلاء ، إني رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟
قلنا : وما ذاك ؟
قال : قد رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر ، يقصد الكعبة ، وأن أصلي اليها » .

ها هو مبشر في رؤ ياه وقد صدقت الرؤ يا لمقره فيما بعد فقد أراد الله سبحانه وتعالى فيما بعد أن يجعل الكعبة قبلة المسلمين بدلاً من بيت

---

(١) سيرة ابن هشام بيعة العقبة .

المقدس وقد نزلت في ذلك الآيات الكريمة لتبيين هذا المعنى فقال تعالى عز وجل :

﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماءِ فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾[1] .

نعم لقد صدقت رؤيا البراء ولم يكن البيت العتيق قبلة للناس فقط وإنما كان أمنا وسكينة ، وموطن رحمة وثواباً للناس أجمعين يقول عز وجل في هذا المجال :

﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾[2] . نعم جعل الله البيت قبلة وامنا ومثابة للناس ، وصدقت رؤيا البراء بن معرور نقيب الخزرج الأنصاري .

ولندع ذكريات هذا اليوم الكريم في حياة بطلنا البراء بن معرور تتحدث عن نفسها ونطلق العنان لأبي بن كعب أحد الأنصار الذين شهدوا البيعة يقص علينا هذه الذكريات :

قال أبي : (فلما سمعنا الرؤيا من البراء مكنا) .

والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي الا الى البيت المقدس في الشام وما نريد أن نخالفه .

فقال البراء بن معرور بن صخر :

اني لمصل اليها .

فقلنا له : لكنا لا نفعل ، فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام وصلى الى الكعبة .

---

(١) من الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

حتى قدمنا ، وقد كنا عبنا عليه ما صنع (أن خالفهم وصلى يستقبل الكعبة وهم يستقبلون بيت المقدس) .

وأبى البراء بن معرور ألا تكون قبلته الا الكعبة الشريفة .

فلما وصل الى مكة قال له ابي بن كعب : يا بن أخي انطلق بنا الى رسول الله ﷺ حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا .

« فإنه والله لقد وقع في نفس منه شيء ، لما رأيت من خلافكم إياي فيه »[1] .

خرج البراء مع أبي بن كعب يسأل كليهما عن رسول الله ﷺ وكانا لم يعرفاه ولم يلتقيا به من قبل ـ يقول ابي بن كعب : وكنا لا نعرفه ولم نره من قبل ذلك ، فلما قدمنا مكة لقينا رجلاً من أهلها فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا .

قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟

قلنا : نعم وقد كنا نعرف العباس، فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله جالس معه فسلمنا ثم جلسنا اليه .

فقال رسول الله ﷺ : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟

قال العباس : نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك فوالله ما أنس قول رسول الله ﷺ عني : الشاعر ؟ قلت : نعم .

فقال البراء بن معرور موجهاً حديثه للنبي ﷺ : يا نبي الله اني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية (وأشار الى الكعبة) منى بظهر (أي خلفي) فصليت اليها . وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله ؟

---

(١) سيرة ابن هشام وبيعة العقبة الثانية .

فقال عليه السلام للبراء بن معرور :

قد كنت على قبلة لو صبرت عليها .

فقال ابي بن كعب :

نرجع البراء الى قبلة رسول الله ﷺ وصلى معنا الى بيت المقدس بالشام . وصبر عليها البراء بن معرور حتى نزلت الآية الكريمة :

﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبله ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

هذه هي احدى صور ايمان البراء بن معرور ودفء ايمانه في وسط أصحابه . كان الايمان يدفعه لفعل ما اهتدى اليه قلبه وعقله . .

وقد هداه ايمانه إلى قبلة المسلمين ، فكان أول مسلم يستقبل الكعبة الشريفة قبل نزول الآيات الكريمة . . وجعل الكعبة قبلة المسلمين .

ولكن يومه المشهود كان يوم البيعة الثانية يوم أن بايع رسول الله ﷺ مع أصحابه من الأنصار ، لنرى مشاهد من هذا اليوم . .

يوم العقبة الثانية

خرج الأنصار المسلمون من المدينة إلى الحج كعادتهم وكانوا قد واعدوا الرسول ﷺ في أواسط أيام التشريق ، فلما فرغوا من الحج وكانت الليلة التي واعد فيها الأنصار رسول الله ﷺ وكان من بينهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر النقباء من آوس وخزرج وجمهور الأنصار وكانوا ثلاثةً وسبعين رجلاً وامرأتين من نسائهم هم نسيبة بنت كعب الأنصارية وأسماء بنت عمرو بن عدي . .

واجتمعوا في ثلث الليل الثاني من هذه الليلة في شِعْبٍ قريب من

الى البيعة قائلاً : أبايعكم على أن تمنعون مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

البيعة

عند ذلك وقف بطلنا البراء بن معرور بين رسول الله وراح يقول في حزم وايمان : نعم والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه أزرنا (أنفسنا) .

فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر (يعني أنهم رجال سلاح وحرب ورثوا البطولة عن آبائهم) .

وفي هذه اللحظة وقف نقيب آخر من نقباء الأنصار وهو أبو الهيثم بن التيهان الأوسي الأنصاري وقال :

يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها (يقصد يهود المدينة) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

ابتسم رسول الله من حديث أبي الهيثم بن التيهان وقال :

بل الدم الدم والهدم الهدم (أي دمي من دمكم ، ان أهدر دمكم فقد أهدر دمي) .

أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم . .

ثم قال عليه السلام : فأخرجوا منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم . فاخرج الأنصار الاثني عشر نقيباً وضربت اليد المباركة في أشرف وأطهر يد على وجه الدنيا . . يد رسول الله ﷺ .

وكان البراء أول المبايعين .

والآن حان وقت الرحيل الى المدينة . . وهتف بهم الرسول مودعاً

« أرفضوا الى رحالكم » أي اذهبوا الى مدينتكم المباركة . . وهناك نلتقي . .

ترى هل هناك لقاء يوم الهجرة بين النقيب البراء والرسول لا ندري كما كان لا يعلم البراء أين يكون اللقاء في المدينة أم الجنة ؟ .

وداعاً نقيب الأنصار . .

في شهر صفر وقبل مجيء الرسول الى المدينة مهاجراً بشهر واحد مرض البراء بن معرور بن صخر واشتد عليه مرضه . .

وكان لديه مال فأوصى بثلثه للنبي ﷺ .

وأوصى بالثلث في سبيل الله . .

وأوصى بثلث لولده بشر بن البراء .

ولما بلغ النبي ﷺ أن البراء قد مات وأخبر بالوصية . رد ثلثه على الورثة . . وجاء النبي الى المدينة وقد صعدت روح البراء بن معرور الى بارئها منذ شهر كامل .

وسأل النبي ﷺ عن قبره ، فأتاه ، فصف عليه وكبر .

وقال : « اللهم اغفر له ، وارحمه ، وادخله الجنة وقد فعلت »[1] .

اللهم اغفر للبراء ، ولابنه بشر فقد تركه البراء وفياً لرسول الله ﷺ . .

وداعاً للنقيب الضعيف . . كان ضيفاً على الدنيا وعلى رسول الله ولم يمهله الأجل أن يرى المشاهد الكبرى بدر واحد وحنين وغيرها . .

سبحان ربي ، وسع كل شيء خلقه .

ورحم الله البراء بن معرور .

---

(١) طبقات ابن سعد .

عمير بن سعد الأنصاري

وماذا عن عمير ؟

قال تعالى عز وجل : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَروا بعد إسلامهم وَهَمُّواْ بما لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوا إلا أَن اغنَاهُمُ الله ورسوله من فَضْلِهِ فإن يتوبوا يك خير لَّهُمْ وإن يَتَوَلواْ يعذبهم اللّهُ عَذَاباً أَلِيماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض مِن وَليّ ٍ نصير﴾[1] .

ما أعْظَمَهُ من شرف أَن تَنْزِلَ هذه الآيات ويكون من أسباب نزولها عمير ابن سعد في جانب الحق ، فيتحول بكاء عمير بن سعد الأنصاري الذي وقع عليه ظلم لا يصدقه فيه سامع إلّا أنْ تنزل فيه آيات بينات . .

عندما نزلت هذه الآية جفت دموع الاحساس بالظلم وَتَوقفت ثم استرسلت مرة اخرى لتصبح دموع فرحٍ وآهات تسبيح وحمد وشكر على ما آتاه الله من فضله ، تلك هي القصة التي سنعرض لها عندما يجيء دور الفتى في غزوة تبوك .

ثم ماذا عن عمير بن سعد ؟ : ـ فلنسمع قول عمر بن الخطاب عن عمير بن سعد الأنصاري يقول عمر : « ولكم وددت أن لي رجالاً مثل عمير ابن سعد لأستعين بهم في اعمال المسلمين» .

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٤ .

نادراً ما تجد تشابه في قدرة انسان على العطاء وآخرين . وقد كان هذا رأي عمر بن الخطاب في عمير بن سعد ، ترى ما هي الأعمال الذي يحتاج عمر الى رجال من نوع خاص ليقوموا بها ؟ . . قد نجد الاجابة على هذا السؤال عندما يكبر الفتى عمير بن سعد .

نحن الآن نراه غلاماً يتيماً يركض في شوارع المدينة ، حسبنا أنه انصاري يلعب مع اقرانه ، ويلهو ، قد نعرف بعد قليل أنه من السابقين في الاسلام من حيث العمر الذي اسلم فيه ، ولنجمل القول بأننا في رحلة طيبة بصحبة عمير بن سعد . . إذن هيا بنا فالسفرة طويلة والرحلة ممتعة ، والرجل ما زال فتى صغير . هيا الى هناك في المدينة المنورة . .

اليتيم

في ركن من الدار دار الجلاس بن سويد أحد أثرياء الأوس ، وقف عمير ساهماً ساكناً فصاحب الدار ليس هو أبوه ، لقد مات أبيه واصبح عميرُ يتيماً تنقصه عاطفة الأب الحاني على ابنه ، ولكن ما اكرم صاحب الدار الذي هو زوج امه ، لقد تزوجت امه من الجلاس بن سويد ، الشريف الثري في قومه من قبيلة الأوس . .

في بيت رجل أعلن إسلامه شب عمير بن سعد كثرة مال الجلاس بن سُوَيد جعلته ينسى ما كان فيه من فقر ويتم فقد تركه ابوه فقيراً ، لم يورثه مال يذكر . عاش في بيت الجلاس بن سويد ينال رعايته الكاملة رعاية الأب لابنه وعطف ما بعده عطف حتى كبر وترعرع .

احب عمير بن سعد الجلاس بن سويد لما اغدق عليه من عطف وحنان ابوي وكذلك أحب الجلاس عمير حب الاب لإبنه .

وكلما كبُر عهد وظهرت عليه إمارات الذكاء والفطنة ، زاد حب الجلاس بن سويد له فقد كان اميناً صادقاً ، وكان فيه من الخصال والصفات ما يعجب الناس ويجعلهم أكثر حباً له .

أسلم عمير بن سعد في المدينة وهو فتى صغير لم يتجاوز العشر سنين الأولى من عمره ، فنما الايمان في قلبه مع نمو جسمه كلما كَبُر ، كبرت التقوى في نفسه .

نسبه :

ولعله من المناسب ان نتعرف على نسب عمير بن سعد . .
من هو عمير بن سعد ؟ .
هو : عمير بن سعد بن شهيد بن قيس بن النعمان بن عمرو ، الأنصاري الأوس ، العبد الصالح الأمير ، صاحب رسول الله ﷺ، شاركَ في الفتوحات الكبرى للاسلام مثل فتح دمشق مع أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وقبل ذلك كان له شأن في يوم غزوة تبوك . .
لنرى ذلك على السطور القادمة .

حديث يوم تبوك

عزم الرسول ﷺ على غزو الروم في تبوك وهي موضع على حدود الشام كانت فيه احداث هذه الغزوة وكان ذلك في العام التاسع بعد الهجرة . . وامر الرسول ﷺ المسلمين ان يستعدوا ويجهزوا انفسهم لذلك . . سمى هذا الجيش الذي اعده الرسول يوم تبوك بجيش العسرة . .

في هذا اليوم يوم تبوك كانت احوال المسلمين المادية سيئة فقد قلّ مالهم واصبح اكثرهم فقير وها هو الرسول ﷺ يخطب على المنبر داعياً

اصحابه على تجهيز جيش العسرة كما سموه فوقف عثمان بن عفان يتبرع للجيش ويقول على مائة بعير بما حملت على ظهرها ، وسمعه الرسول فنزل درجة على المنبر وما زال يحث على التبرع فيقول عثمان على مائة اخرى يا رسول الله وكرر ثالثة حتى تبرع بثلاثمائة بعير بما حملت على ظهرها . . عندئذ قال الرسول ﷺ : ما خر عثمان ما فعل بعد اليوم . . وقيل ان عثمان تبرع بآلاف الدنانير ذهباً في ذلك اليوم[1] .

وحمل عبد الرحمن بن عوف مائتي اوقية من الذهب إلى رسول الله ﷺ وتصدق بها[2] وتوافدت النفوس الطيبة تدفع مالها لجيش العسرة ، من رجال ونساء المسلمين مهاجرين وانصار . . وشهد كل هذا عُمير بن سعد فتقدم الى الجلاس بن سويد يقص عليه ما حدث من الناس اليوم من اتفاق في سبيل الله وكيف ان بعض المسلمين بكى وفاضت دموعهم لأنهم لا يملكون شيئاً يقدمونه في ذلك اليوم العسير . . كل هذا الحديث قصد منه عمير ان يستحث به الجلاس لكي يقدم من ماله الوفير سنداً لجيش العسرة . . إلا انه قال كلمة اصابت عمير بجرح في نفسه فقد قال : « ان كان محمدٌ صادقاً فيما يدعيه من النبوة فنحن شر من الحميد » .

تألم عمير من هذه الكلمة وأصر على تبليغها لرسول الله ﷺ ونازعه على اصراره هذا حبه للجلاس بن سُويد وعرفانه له بجميل تربيته في بيته .

حديث يوم تبوك

ورجح النزاع في نفسه ان عدم تبليغ هذه الكلمات للرسول ﷺ والتستر على الجلاس بن سويد وموقفه هذا ، خيانة من رجل يجالس رسول الله كل

(١، ٢) حياة الصحابة جـ ٢ ص ٢٠٧ .

يوم في مسجده . فكر عمير بن سعد وتدبر وتوجه الى الجلاس وابلغه قراره ومنازعته نفسه في ذلك وبعد ذلك توجه الى المسجد للصلاة وهناك التقى والرسول ﷺ واخبره ما سمع من حديث الجلاس . .

عندئذ ارسل الرسول ﷺ للجلاس ليستطلع ما بدر منه فجاء وفاتحه الرسول فيما سمع من حديث فأنكر وادعى ان عمير بن سعد يكذب ونفى عن نفسه ما حدث واختلط الأمر على المسلمين واصبح بطلنا عمير في حيرة من أمرهِ، فمن كان معهما غير الله عز وجل . وهذا الرجل له دين في عنقه فقد رباه فكيف يدعي عليه كذباً وبهتاناً وبكى عمير واشتد بُكاؤُهُ ، فما وضح من الأمر شيء عند ذلك دعا عمير بن سعد ربه بأن ينصفه فيما قال وقصد من حديث . . ومن ناحية اخرى اقسم الجلاس بأنه لم يقل شيئاً مما ذكر ، فصمت الناس بعد قسم الجلاس ونزل جبريل وغش الرسول غشيةَ الوحي وانتظر الناس حكم الله ، واستمرت دموع عمير تنهمر ، وخرجت الآيات من فم الرسول الطاهر تقول : ﴿ يحلفون بالله ما قالواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الكفرِ وَكَفَرواْ بَعْدَ إسلامهم وهموا بِمَا لم ينالوا وما نقموا إلاَّ أن اغناهم الله ورسوله من فضلِهِ فإن يتوبوا يك خير لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ﴾[1] .

وسقط بين يدي الجلاس بن سويد ، وفرح عمير بن سعد ونال شرف الصدق فيما سلَكَ من مسلَك بأنه فَضَّلَ دينه على اي عاطفة تنتابه ورفض ان يخون امانة اسلامه وجلوسه الى رسول الله ﷺ ، لقد وَفّت اذنه ما سمعت وقد صدقه ربه حينما كذبه الناس . .

---

(١) الآية ٧٤ من سورة التوبة .

مع عمر بن الخطاب

« نسيج وَحْدِه » هكذا كان يسميه عمر بن الخطاب من شدة اعجابه به .

ولاه عمر بن الخطاب على « حمص » فقبل ولايته عليها كارها في ذلك السلطان فقد كان له دوراً آخر هو فتح البلاد للاسلام ، واخضاع القبائل المتمردة المرتدة على دين الله . . كان مجاهداً فذاً زاهداً في الدنيا . .

ولما وصل حمص ، قام فصلى وخطب في الناس يقول لهم : -
ان الاسلام منيعاً ما اشتد السلطان
وليستْ شدة السلطان ضرباً بالسوط
ولا قتلاً بالسيف ولكن قضاءً بالعدل وأخذاً بالحقِّ .

عند ذلك بين برنامج حكمه لهم « قضاءٌ بالحق وأخذٌ بالحقِّ » وماذا يبقى بعد ذلك ليجادل اهل حمص في شرعية هذا الدستور «العميري» العظيم . . واطلق للعدل العنان وللحق العلو . . فلا يوقف العدل شيء ولا شيء يعلو على الحقِّ حيثما حكم حمص . . لذلك قال عنه بن الخطاب نسيج وحده . . نعم انه نسيج شفاف تفرد برفع شعار الحق والعدل حينما اصبح صاحب سلطان .

مر عام كامل وعمير بن سعد لا يكتب لأمير المؤمنين شيئاً عن حال ولايته ولم يرسل خراج حمص لأمير المؤمنين كي يدخله بيت المال ، فأصابت الحيرة عمر بن الخطاب وارسل يستدعيه للقائه ويطلب منه ان يحمل معه خراج حمص . .

عندما وصل الرسول لعمير بن سعد حمل طعامه واناء يتوضأ فيه

وسلاحه وظل يمشي ويقطع الطريق حتى وصل المدينة . . (من حمص الى المدينة !!) نسيج وحده ، ترى ما موقع هذا النسيج من الرجال من رجالنا في هذا العصر !! لا أدري ! .

وصل عمير هزيلاً ، من عناء السفر وطال سفره وامتلأ بغبار السفر ودخل على عمر بن الخطاب فهاله ما رأى من منظر فتساءل : ـ ماذا اصابك يا عمير ؟ فأجابه : ما اصابني شيء يا امير المؤمنين .

الست تراني صحيح البدن ، طاهر الدم . .

قال عمر وما معَك (ظناً منه انه جاء ومعه مال) .

فقال عمير : معي جرابي اجعل فيه زادي (طعامي) وقصعتي آكل فيها ، واغسل فيها رأسي وثيابي ، وادواتي احمل فيها وضوئي وشرابي ، وعصاي اتوكأ عليها ، واجاهد بها عدواً إن عرض ، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي .

قال عمر رضي الله عنه : أجئت تمشي .

قال عمير بن سعد : نعم .

قال عمر : اما كان لك احد يتبرع لك بدابة تركبها .

قال عمير بن سعد : ما فعلوا ، وما سألتهم ذلك .

فقال عمر : فأين ما بعثتك به ؟ واي شيء صعت ؟ (يقصد المال) .

فقال عمير : اخشى ان اغمك ان اخبرتك . .

فقال عمر مندهشاً : يا سبحان الله ! . .

فراح عمير يسرد عليه حال اهل حمص : بعثتني حتى اتيت البلد ، فجمعت صلحاء اهلها ، فوليتهم جمع خراجهم ، حتى إذا جمعوه ، وضعته مواضعه .

فقال عمر بن الخطاب : فما جئتنا بشيء من الخراج[1] .

فقال عمير بن سعد : لا يا أمير المؤمنين ، لو نالك منه شيء لأتيتك به .

فقال عمر لمجلسه : جددوا العهد لعمير (اي جددوا له فترة ولاية اخرى لحمص) .

فرفض عمير وآثر ان يبتعد عن السلطان . .

فأذن له عمر ، فرجع إلى منزله وكان بعيداً عن المدينة بعدة اميال وبعد ان انصرف عمير بن سعد واعتذر عن العودة : شك في أمرِهِ « وقيل ان عمر قال : ما آراه الا خاننا » فبعث رجلاً خلفه يستقصي اخباره ويعرف سره وكان هذا الرجل يسمى الحارث[2] .

قال له عمر بن الخطاب : انطلق يا حارث الى عمير بن سعد حتى تنزل عنده كأنك ضيف فإن رأيت شيئاً يملكه ، فعد الينا ، وان رأيت حاله شديدة وبه حاجة وفقر فادفع له المائة دينار هذه واعطاه المبلغ .

فانطلق الحارث يقصد بيت عمير بن سعد خارج المدينة .

ولما وصل عنده وجده في حال شديدة ينظف قميصه الممزق فألقى عليه السلام فقال له عمير بن سعد : تفضل . . انزل . . رحمَكَ الله . فنزل الحارث ضيفاً عليه .

فسأل عمير بن سعد : من أين جئت يا أخي . .

فأجابه : جئت من المدينة .

فقال عمير : وكيف حال امير المؤمنين ؟ فأجابه الحارث : صالحاً .

فقال عمير : فكيف تركت المسلمين ؟ قال الرجل : صالحين .

(١، ٢) حياة الصحابة للكاندهلوي ص ٢٠٨ جـ ٢ .

قال عمير : اليس يقيم الحدود . قال الحارث : بلى ضرب ابناً له اتى فاحشة فمات من ضربه .

فقال عمير : « اللهم اعن عمر » . ونزل الحارث ضيفاً عنده ثلاثة أيام وهو لا يقدم له إلا قرصة من خبز الشعير ، كان اهل بيته يخصونه به ويحتفظون له به حتى ارهقهم ذلك .

فقال عمير بعد مرور ثلاثة ايام على الحارث : إنك قد أجعتنا فإن رأيت ان تبحث عن مكان آخر فافعل . .

عند ذلك اخرج الحارث المائة دينار وقال له : هذا المبلغ بعث به اليك أمير المؤمنين فاستعن بها .

فصاح عمير : لا حاجة لي بها فردها اليه . . فسمعته إمرأته وقالت : إن احتجت اليها وإلا فضعها في مواضعها ، فقال عمير والله ما لي شيء اجعلها فيه وصمت لحظة ثم اخذها وخرج ثم قسمها بين ابناء الشهداء والفقراء في المدينة وعاد الحارث الى عمر بن الخطاب .

فلما عاد سأله عمر : ما رأيت يا حارث ؟ .
قال : رأيت يا امير المؤمنين حالاً شديدة .
قال امير المؤمنين : فما صنع بالدنانير ؟ قال : لا أدري . .

فأرسل اليه عمر بن الخطاب فجاء اليه فسأله عمر : ما صنعت بالدنانير ؟

قال عمير : صنعت بها ما صنعت ، لماذا تسأل عنها ؟ .
قال عمر : يرحمك الله اخبرني ما صنعت بها .
قال عمير بن سعد الانصاري : قدمتها لنفسي .
فأجاب عمر يرحمك الله ـ فأمر له بطعام وثوبين . .

فقال عمير بن سعد : الطعام لا حاجة لي فيه فعندي في منزلي شعير يكفيني يوم وعندما ينتهي يكون قد جاء الله تعالى بالرزق . . ولم يأخذ الطعام أما الثوبان فقال عمير : ان ام فلان عارية واخذهما ورجع الى منزله .

ولم يمر وقت طويل حتى مات عمير بن سعد . . ولم يحصل من الدنيا على شيء الا حب أمير المؤمنين وحب الناس وقدم للناس درساً عظيماً تحمله الآية : ﴿ ويؤثرون على انفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

رحم الله عميراً فقد احتذى حذو انصار رسول الله فكان مخلصاً كإخلاص أهل المدينة الذين بايعوا رسول الله وعاهدوه وصدقوا ما عاهدوا الله عليه . .

رحم الله عمير بن سعد .

وتبقى كلمات عمر نرددها ! * نسيج وحده . .

* وددت لو أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد استعين به في اعمال المسلمين .

■ ■ ■

عبد الله بن رواحة الأنصاري

قال عز وجل :

﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً ﴾ .

عند سماعهما بكى عبد الله بن رواحة وقال وهو يهم بالخروج الى مؤتة : ـ فقال أصحاب رسول الله ﷺ وهم يودعوه : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟

أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم .

ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية . .

فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود . .

فقال أصحابه مودعين : ـ صحبكم الله ، ودفع ثمنكم ، وردكم الينا صالحين .

كان هذا الذي ذكرناه هو الوداع ، وداع ابن رواحة لرسول الله يوم مؤتة .

ولكن متى كان أول لقاء . . لقد كان في العقبة . . حينما اختير عبد الله ابن رواحة نقيباً من نقباء الخزرج التسعة ومن نقباء الأنصار الاثني عشر كان سبَّاقاً . . لم ينتظر وصول رسول الله ﷺ الى المدينة بل ذهب اليه في مكة وتحت جنح الظلام وفي شعب من شعابها بايعه وأحسن البيعة . . بايعه على السمع والطاعة فكان كظله معه أينما ذهب . .

عندما نزلت الآية الكريمة :

﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ قال عبد الله بن رواحة أنا منهم فأنزل الله عز وجل : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .

سيرة ابن رواحة سفر طويل . . وإيمان يتعلمه المسافرون معه في سيرته . . لنأخذ من كل بستان في سيرته زهرة . . لقد ازدحم البستان ولن تكفي باقة واحدة فنأخذ ما تيسر من سيرة بطل مؤتة . . عندما يجيء اسم مؤتة . . يتلألأ في الأفق صدى صوت وصورة عبد الله بن رواحة وهو يقول : يا نفس ألا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد لقيت وما تمنيت فقد أعطيت . . والآن مع عبد الرحمن بن رواحة . . .

. . بطاقة تعريف . .

نسبه : هو : عبد الله بن رواحة بـس ثعلبة بن امرىء القيس بن ثعلبة .

الأمير السعيد الشهير أبو عمرو الأنصاري الخزرجي البدري .

النقيب : نقيب الخزرج يوم بيعة العقبة الثانية وواحد من النقباء الاثني عشر .

الشاعر : كان شاعراً مؤمناً . . قـال شعره في الايمان والترويح عن المسلمين ، يُكَنَّى أبا محمد ، وأبا رواحة ، وليس له عقب .

هكذا قدمنا بطاقة تعريف عنه ساقها الذهبي في كتابه[١] .

« رحم الله ابن رواحة ، انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة »

هكذا قال عنه رسول الله ﷺ .

---

(١) سير أعلام النبلاء ترجمة رقم ٣٧ . ص ٢٣١ جـ ١ .

شهد بدراً والعقبة ، وشارك في خيبر .

وهنا . . ننتقل الى المدينة حيث ركب الرسول قد دخل المدينة وبنات الأنصار يرحبن به بنشيد الرمان فيقلن :

جئت شـرفت المـدينــة مـرحباً يـا خير داع . .

ترى أين عبد الله بن رواحة في هذا المشهد العظيم . .

هل هو في داره أم في وسط الزحام يرقب ناقة رسول الله وهي تتهادى الخطى . . لا نسبق الأحداث . .

فلنذهب الى المدينة . . لنرى المشهد . .

وربما انتظرناه فقد يكون زمانه لم يأت بعد . .

نحن الآن في سنة الهجرة النبوية . .

لقد حددنا الزمن الذي رغبنا فيه لمصاحبة عبد الله بن رواحة في سيرته .

فهيا إلى مكانه عسى أن نكتفي بباقة واحدة من حديقته الغناء وبستانه الأخضر . .

طال الانتظار عام كامل ولم يصل الرسول ﷺ من يوم أن بايعناه في العقبة على السمع والطاعة وبينما عبد الله بن رواحة في منزله وقد سمع الغناء والترحيب فخرج مسرعاً . . يتشرف باستقبال حبيبه رسول الله ﷺ ازدحم الشارع وشب عبد الله على قدميه ليرى الناقة وقد جاءت عن بعد . وقف عبد الله بن رواحة وبجواره النقيب سعد بن الربيع وخارجة بن زيد .

واقتربت الناقة . . فاعترض الموقف سعد بن الربيع أمام دار بني الحارث بن الخزرج . . ورحب برسول الله وقال : هلم يا رسول الله الينا الى العدد والعدة والمنعة ، قال عليه السلام :

« خلوا سبيلها فإنها مأمورة » ، فترك سعد بن الربيع زمام الناقة .

فانطلقت تكمل المسير . . وكلٌ يريد أن يوقف الركب ويستضيفه وينال شرف ضيافة رسول الله وصاحبه ابي بكر الصديق . .

ونزلت الناقة أمام دار أبي أيوب الأنصاري . .

وآخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار ورحب عبد الله بأصحابه مهاجري مكة . .

وجلس يستمع الى رسول الله ﷺ وهو ينظم شؤون المدينة في أول أيامه بها . .

ومضت الأيام ساكنة مطمئنة مع رسول الله في المدينة . . ترى هل يكشف عبد الله بن رواحة النقاب عن هذا الرجل المنافق الداهية « ابن أبي » الذي استعدت المدينة لتتويجه أميراً على المدينة . . فجاء الاسلام وحطم أحلام اليهودي المنافق .

سيكون يقظاً له . . كان عبد الله بن رواحة ينظر في وجه الرسول ويقول :

يا هاشم الخير إن الله فضلكم   على البريه فضلا ما له غير

الى أن يقول :

فثبَّت الله ما آتاك من حسن   تثبيت موسى ونصراً كالذي نُصروا

فيبتسم عليه السلام ويقول : « وإياك ، فثبت الله » .

. . يوم عمرة القضاء . .

عاد الرسول ﷺ الى المدينة بعد صلح الحديبية وفي الصلح أمور لا يرغب فيها المسلمون ولكن الرسول ﷺ كان يعلم أن قريش لن تفي بوعدها .

وعاد الرسول في العام القادم إلى مكة ليعتمر عمرة القضاء . .

في ذلك اليوم كانت خطى عبد الله بن رواحة تتبع خطى رسول الله ﷺ وكان شعره كالسهام على أعداء الاسلام . .

يقول أنس بن مالك : دخل النبي ﷺ ، مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن الخطاب : يا ابن رواحة! من حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر .

فقال النبي ﷺ :

« خل يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه عليهم أشد من وقع النبال » .

هكذا كان عبد الله يضرب نباله الشعرية فيكمد لأعداء الدين وأصحاب الجاهلية . . كان يعيرهم بالكفر ، وينسبهم اليه ، فلما أسلموا وتفقهوا في دينهم . . كان أشد عليهم . . رحم الله عبد الله بن رواحة فقد كان انصارياً غيوراً على دينه . . يزود عنه بسيفه وقلمه كان شاعراً فصيحاً ومقاتلاً شجاعاً . . يضرب بسيفه قوى الشر لينصر الحق . . ويعلي كلمة التوحيد . .

يوم غزوة مؤته

قال رسول الله ﷺ :

« لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعْباً ، لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » .

في هذا اليوم وَدَّع المسلمين صاحبهم عبد الله بن رواحة أحسن وداع وودعهم هو وداع المقاتلين الذين آثروا الشهادة . .

في جمادى الأولى من العام الثامن من الهجرة ، تجهز الناس وتهيؤوا للخروج وكانوا ثلاثة آلاف ، وحضر الناس خروج المقاتلين الأبطال ، فلما ودع الناس عبد الله بن رواحة مع من وُدع من أمراء رسول الله وهم (زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة) .

بكى البطل ، فدهش الناس وقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة .

فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ، ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار :

﴿ وان منكم إلا واردُها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾[1] .

فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود !

فقال المسلمون في هدوء المودعين : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين .

وساد المكان صمت رهيب . . تخللته غُصَّةٌ في حلوق المودعين ، وانطلق الفرس يحمل فارسه ويتشرف بحمله . . وأنشد عبد الله بن رواحة قائلاً :

لكنني أسألُ الرحمن مغفرةً   وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزةً   بحربة تفقد الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جَدَثي   أرشدهُ الله من غازٍ وقد رشدا

ونظر الى رسول وهو يودعه وأنشد قائلاً :

خلف السلامُ على امرىء ودعته   في التحلِ خير مُشيِّعٍ وخليل . .

ومضى البطل يمخر عباب الطريق . . ويطوي السهول والوديان في

---

(١) سورة مريم الآية ٧١ .

طريقه الى معان في أرض الشام ، وبلغ المسلمون أن هرقل ملك الروم قد جاء في جيش جرار يبلغ مائة ألف من الروم ، وانضم اليه بعض القبائل الأخرى .

عندما وصلت هذه الأخبار الى المسلمين أقاموا في معان ليلتين يفكرون في أمرهم .

وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن عبرنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له .

فوقف عبد الله بن رواحة وقد أدرك أن النـاس يحسون بـاليأس والخوف . .

وقال مشجعاً : يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين ، أما ظهورٌ ، وأما شهادة . .

فتشجع الناس وقالوا :

« قد والله صدق ابن رواحة » .

لقد بث عبد الله بن رواحة روح الشهامة والاقدام في نفوس رجال مؤتة ، وتقدم الجيش البطل بقيادة زيد بن حارثة حتى التقى جيش الاسلام بجيش هرقل الروم ، وجعل زيد بن حارثة على ميمنة الجيش رجلاً من بني عذرة هو قُطبة بن قتادة ، وعلى ميسرة الجيش انصاري مقاتل هو عُباية بن مالك .

وتقدم زيد بن حارثة حاملاً راية الاسلام يشق صفوف العدو ويضرب بسيفه يتمنى الشهادة . . وقد نالها في هذه اللحظات .وسقط زيد بن حارثة

وكادت تسقط الراية عندما سقط زيد الا أن جعفر بن أبي طالب كان بالمرصاد للراية فالتقطها وارتفعت الراية مرة أخرى ، وكبر جيش الاسلام . . وبدأت عينا عبد الله بن رواحة ترقب الراية وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يصول ويجول بين صفوف الأعداء . . سيفه يضرب يميناً ويساراً لا يخشى كثرة عدد الروم ولا عدتهم الهائلة وراح يردد وهو يضرب بسيفه :

يا حبذا الجنة واقترابُها　　طيبة وبارد شرابها . .
والروم روم قددنا عذابها　　كافرةٌ بعيدةٌ انسابها
على إذ لاقيتها ضرابها(١)

كان جعفر بن أبي طالب يمسك اللواء (الراية) بيمينه فجاء سيف رومي فقطع يمينه وسالت الدماء منها ، فجاء رجل آخر فضرب شماله التي يمسك بها الراية فقطعت وكادت الراية تسقط . . ماذا يفعل ابن عم رسول الله ﷺ بعد قطعت يداه ؟.

لقد احتضن الراية بعضديه وببقايا يداه المقطوعتان ، وحرص على أن الا تسقط الراية. فجاء رجل من الروم فضربه ضربةً جعلته نصفين .

وترنحت الراية وكادت تسقط ، وثالث الأمراء الذين امَّرهم رسولنا الكريم ﷺ كان عبد الله بن رواحة . . لقد جاء دور البطل بعد أن قتل زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب الذي قال عنه الرسول سيجعل الله له جناتي من الجنة يطير بهما لذا سماه المؤرخون جعفر الطيار .

أمسك عبد الله بن رواحة الأنصاري بالراية . . وبينما هم للتقدم بها شعر في نفسه تردد وحذر أنه الآن سيحمل راية المسلمين وهي مسؤولية

---

(١) سيرة اس هشام ص ٢١٦

جسيمة فضرب فرسه ليطرد عن نفسه التردد وراح كالبركان الهادر يضرب ويصيح :

أقسمت يا نفس لتنزلنّه لتنزلن أو لتُكرهِنّه
إن أجلب الناس وشدوا الرَّنّة ما لي أراكِ تكرهين الجنّة
قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت الا نطفة في شنًّة

وضربات سيفه يسمع صليلها من بعيد أبناء الاسلام المقاتلون . .

راح القائد يصول ويجول ويضرب يميناً ويسار ثم أكمل أبياته قائلاً :

يا نفس الا تقتلي تموتي هذا حمامُ الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أُعطيت إن تفعلي فعلها هديت

وفي زحام وعرة القتال وهذه الكلمات الوداعية تقدم ابن عم له بقصعة من اللحم على عظام الغنم ليأكلها وقوله يا أخي : «سد بهذا صلبك» فقد لقيت مشقة ما بعدها مشقة من يومنا هذا ، فأخذه منه ثم أكل قطعة صغيرة فوجد الناس قد تزاحموا على القتال وحطم بعضهم أجساد بعض .

فقال وينظر للطعام والرجل : « وأنت في الدنيا » .

ثم انطلق وقاتل وقاتل حتى استشهد النقيب الأنصاري الخزرجي نعم : وما تمنى فقد أُعطى ، أن تفعلي فعلهما (زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب) .

أن تفعلي يا نفس فعل صاحباي فقد اهتديت الى طريق الجنة . .

وأحاط الملائكة بروح الأنصاري العظيم وصعدت روحه الى الجنة بينما كان رسول الله ﷺ يجلس في أصحابه بالمدينة ويقول : قتل زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة ، وقد رفعوا للجنة . . هنيئاً لكم بالجنة أبطال مؤتة . .

« نعم لقد رفعوا للجنة على سرر من ذهب » « رحم الله بن رواحة » .

وعاد خالد بن الوليد بالجيش الى المدينة . . فاستقبلهم الناس استقبالاً

سيئاً وجعلوا يرمون عليهم التراب ويقولون : يا فرار فررتم من سبيل الله ! **فيقول رسول الله ﷺ :**

« **ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار انشاء الله تعالى** »[1] .

بكى المسلمون شهداء مؤتة وأنشد حسان بن ثابت يقول :

عين جودي بدمعك المنزور ... واذكر في الرخاء أهل القبور

واذكري موتةً وما كان فيها ... يوم راحوا في وقعة التغوير

حين راحوا وغادروا ثمَّ زيداً ... نعم مأوى الضريك والمأثور

(الضريك : الفقير)

وحسبي أن ابن رواحة كان البكاء عليه شديداً لما ودع به المسلمين وهو خارج من المدينة لقد أعاد الناس ذكرياتهم عن ابن رواحة مكان حيثما يخرج غازياً يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله

يذكروه في عمرة القضاء وهو يطوف مع رسول الله ﷺ ويقول :

يا رب لولا انت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينةً علينا ... وثبت الأقدام ان لاقينا

ان الذين قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة ابينا

يرحمك الله يا ابن رواحة . . يرحمك الله . . فقد كانت أنشودة المسلمين وما زلنا نرددها نحن . . وسنرددها فيما بعد . .

فانزلن سكينه علينا ... يا رب ثبت الأقدام ان لاقينا

وداعاً نقيب العقبة . .

وداعاً شاعر الشهداء . .

وداعاً بطل الاسلام الأنصاري عبد الله بن رواحة .

---

(١) سيرة ابن هشام .

عباد بن بشر الأنصاري

قال تعالى عز وجل :

﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهَكَ شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . . وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾[1] صدق الله العظيم .

وقال عز وجل :

﴿ ومن حيث خرجت فول وجهَكَ شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾[2] صدق الله العظيم .

خير ما نبدأ به عن عباد بن بشر هو انه شارك يوم اليمامة سنعرف كم كان بطلاً كما كان يوم بدر ، نال شرف البدريين في تاريخ الاسلام . . عندما صدح صوت مصعب بن عمير في المدينة تقدم بخطى ثابتة ليعلن اسلامه ويشارك في كتائب الحق وانصار رسول الله ﷺ . .

سنرى الامانة يوم كلفه رسول الله بصدقات مُزيفة . . وبني سليم في المدينة . . سنراه اسداً في براثنه يوم تبوك عندما كان حرساً لرسول الله ﷺ وصف بالشجاعة والشجاعة لها رجال . .

---

(١) الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

عمرة القليل بركة . . ليت في عمر كل الناس بركة كما كان في عمر عباد بن بشر . . خمس واربعون سنة عاشها . . دخل التاريخ في سنوات قلائل منها لم يدخل التاريخ بسجل سلطان الدنيا ، ولكن دخل تاريخ الاسلام ونال حراسة رسول الله ﷺ . .

تقول عنه عائشة : ثلاثة من الأنصار لم يكن احدٌ يعتد عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الاشهل : سعد بن معاذ ، وعباد بن بشر ، واسيد بن الحضير . .

هنيئاً لكم بني عبد الأشهل . . ولنبدأ الرحلة من أول الخطى . . هيا الى عباد بن بشر . .

نسبه

من بني عبد الاشهل :

هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل[1] . يكنى بأبي الربيع الانصاري الاشهلي :

احد البدريين .

كان من سادة الأوس في المدينة . .

هذه بطاقة تعريف متواضعة لبطلنا الأنصاري عباد بن بشر قبل ان ننتقل الى المدينة المنورة ونقترب من مجلس مصعب بن عمير سفير رسول الله في المدينة . . والآن الى المدينة المنورة .

---

(١) سير اعلام النبلاء ترجمة ٧٣ ص ٣٣٧ جـ ١ ، طبقات بن سعد جـ ٣ ص ١٦ .

اسلامـــه

في منزل أسعد بن زرارة جلس مصعب بن عمير يتلو القرآن ، تقدم منه عباد بن بشر ليسمع منه ما ذكر عن الرجل القرشي محمد بن عبد الله ﷺ .

اصغى عباد قليلاً الى صوت الحق ، واخذته رجفة الإيمان وفرحته فبسط يده اليمنى يبايع مصعب ، فقال له مصعب قم واغتسل يا أخي فقام عباد واغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ، وعاد إلى المجلس مبايعاً مؤمناً يردد اشهد ان لا إله إلا الله ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله . .

ولم يمض على هذا المشهد زمن طويل حتى جاء الموكب من خارج المدينة ها هو محمد ﷺ يقترب بناقته ومعه صاحبه أبي بكر الصديق رضوان الله عليه .

اقترب الموكب من منازل بني سالم فخرج رجال منهم يقولون يا رسول الله اقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ويمسكون بزمام الناقة فيقول عليه السلام : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها .

رجال بني ساعدة (سعد بن عبادة ـ والمنذر بن عمرو) أقم عندنا يا رسول الله العدد والعدة والمنعة فيقول عليه السلام : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

وتكرر المشهد عند ديار بني الحارث حيث يقف النقيب سعد بن الربيع الخزرجي وعبد الله بن رواحة وبني النجار حتى وصلت دار أبي ايوب الأنصاري وبركت الناقة وحل رسول الله ﷺ ضيفاً ، وصاحب دار علي أبي ايوب الأنصاري كل هذه المشاهد واغنيات الترحيب بزائر المدينة ، وخير داع على وجه الأرض . . مرحباً يا خير داع . . جئت شرفت المدينة . .

وحسبي ان عباد كان مشتاقاً للقاء حبيبه . . وقد قطع شوطاً طويلاً في اثر الموكب ينظر الى راكب الناقة ليرى النور في وجهه . . لقد عمت السكينة ارجاء المدينة في تلك الليلة واكتظت دار ابي ايوب بالزائرين من الأرض والسماء من البشر والملائكة . . ما اسعدك أبا ايوب . . حظيت بالشرف العظيم . ولتنتظر يا عباد فلك الحظوة بجواره . . انه حبيبك القادم . .

واصبح اليوم التالي ووقف رسول الله خطيباً في اصحابه وانصاره يقول : ـ

ان الحمد لله، احمده واستعينه، اما بعد . .

« أيها الناس فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليعتقن أحدكم ، ثم ليدعنَّ غنمة ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا صاحب يحجبه دونه الم يأتك رسولي فبلغك ، واتيتك مالاً وافضلت عليك ؟

فما قدمت لنفسك ؟ فلينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزي الحسنة بعشر امثالها ، الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[١] .

تنهد عباد وراح يردد في نفسه . . بلى يا رسول الله من استطاع ان يقي وجهه بشق تمرة فليفعل . ولم تمض لحظات حتى اعلن رسول الله بدء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار واشتاق عباد لأخيه المجهول سيعلن اسمه بعد قليل من هو يا ترى ؟ . .

فلتسمع يا عباد بن بشر اسم اخيك المهاجر : نودي على عباد بن

---

(١) سيرة ابن هشام أول خطبة خطبها رسول الله في المدينة .

بشر . . لقد جعلنا أبـا حذيفة بن عتبة أخاً لك . . مرحباً مرحباً . . واحتضن عباد أبا حـذيفة مرحباً بالمهاجر في داره ومع اخيه . . . بارك الله لك في دارك واهلك وبيتك يا أخي عباد . . ومضى الاخوان في الاسلام الى حيث بداية الطريق طريق الجهاد يد في يد والاخرى على سلاح الجهاد . .

يوم ذات الرقاع يشهد لعباد

من بين المشاهد التي شهدها الانصاري البدري عباد بن بشر يوم ذات الرقاع . . ان هذا اليوم الذي مشى المسلمون فيه حتى سالت الدماء من أقدامهم فربطوها بخرق صغيرة من القماش والرقاع . . كان يوماً مشهوداً في تاريخ الاسلام . . ترك فيه رسول الله المدينة بعد ان ولى عليها ابا ذر الغفاري . . « ونزل في موضع في نجد في ارض غطفان » ولقي في هذا اليوم جمعاً عظيماً من غطفان ، فتقارب الجيشان قبل القتال وكان الكفار قد كلفوا رجلاً مشركاً منهم بتتبع اثر رسول الله ﷺ فنزل الرسول ﷺ بموضع فيه نخل . وقال عليه السلام :

من رجل يكلؤنا (يحرسنا) ليلتنا هذه ؟ . .

فخرج عباد بن بشر من الأنصار ، عمار بن ياسر من المهاجرين . . وقالا لرسول الله ﷺ : نحن يا رسول الله !

قال عليه السلام : فكونا بفم الشعب (على اول الطريق) . .

استلم عباد وعمار الحراسة وبادر عباد بن بشر صاحبه عمار قائلاً :

ـ اي الليل تحب أن اكفيك . . أوله أم آخره .

قال عمار : بل اكفني أوَله ، فاضطجع عمار فنام . .

وقام عباد بن بشر يصلي بعد أن نام صاحبه . .

وجاء الرجل وعرف ان عباد هو حارس المسلمين فرماه بسهم فأصاب عباد بن بشر وهو يصلي . . نتوقف عند هذا الدرس من الخشوع قليلاً . . أُصيب عباد بسهم في جسده فنزعه ووضعه جانبه واستمر قائماً يصلي فضربه بسهم آخر نزعه وواصل الصلاة ثم ضربه بثالث نزعه وخارت قواه ونزفت الدماء من جسده واستمر على صلاته ثم مدَّ يده وهو يصلي فأيقظ عمار، فوقف عمار مذعوراً وامسك بسلاحه فهرب المشرك ولمَّا انتهت الصلاة قال عمار وهو يمسك بآثار الدم في اصابة اخيه عباد بن بشر : سبحان الله يا أخي . . لماذا لم توقظني أول ما رماك ؟

قال عباد في خشوع : كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن اقطعها حتى انفذها (اي حتى انهي قراءة السورة) .

ويستمر عباد بن بشر في سرده فيقول :

« فلما تابع علي الرمي بالسهام ركعت وايقظتك » .

ويقسم عباد بن بشر فيقول:

« وايم الله لولا أن اضيع ثغراً امرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل ان اقطعها او انفذها . .

نعم انني يا عمار أؤثر الموت على ان اقطع قراءة آيات كريمة كنت اتلوها . من منا يدرك قيمة هذا الموقف ويعي الدرس سيجد ان هؤلاء الناس كانوا نسيجاً متميزاً من الرجال . . انهم انصار رسول الله ﷺ من يوم أن بايعوه وعاهدوه . . صانعوا عهدهم . .

وقدموا ارواحهم فداءاً لكلمة اخذوها على أنفسهم . .

تجمع الإيمان في تجانس عظيم مع البطولة والفداء في نفس وطبع هذا الرجل . .

السهام تطير تضرب جسده فيصمد لأنه يقرأ كلام ربه .

لم يهرع ولم يهرب ولم يوقظ صاحبه إلا عند شعوره بالعجز عن مقاومة ما يصيب جسده من سهام . .

نعم الرجال . . والارادة عباد بن بشر . . رضي الله عنه . .

ونحن نقرأ سيرة هؤلاء الرجال نحس أن المدينة كانت برجالها وبيوتها قرآناً متحركاً . . يتلى من كل مكان وكل وقت وحسبي ان السير في شوارع المدينة ليلاً كأنما هي بحر يموج بالتسبيح والقرآن . .

وفي بيت رسول الله ﷺ ، الملاصق لمسجده في المدينة . . ترامى الى سمعه الشريف صوت عابد متهجد يقرأ القرآن رطباً جميلاً ، خاشعاً مرتلاً . . ترى ما هذا الصوت . ومن صاحبه اصغى رسول الله ﷺ جيداً للصوت القادم من الخارج . . تنبعث منه عظمة الايمان وجلال الخشوع فقال عليه السلام لعائشة : « يا عائشة هذا صوت عباد بن بشر » . اليس كذلك .

قالت : بلى يا رسول الله . . وراحت تسمع في سكينة . .

وانساب صوت رسول الله ﷺ عذباً سكيناً يـحظى بدعائه عباد بن بشر فقال عليه السلام :

اللهم اغفر له . . اللهم اغفر له . .

ماضرَك بعد هذا الدعاء يا عباد . . ماذا تريد يا حبيب رسول الله انت تتهجد في سكون الليل ، ورسول الله يدعـو لك بالمغفرة . .

هنيئاً لك عباد . . هنيئاً لك حارس رسول الله . .

الخاشع لربك . . حتى المـوت . . فكم كانت الحيـاة ـة في نفوسهم . . وكيف نحن اليوم والخشوع في الصلاة . . اننا نستمد الدرس بعد هذه الأحداث بمئات وآلاف السنين . . فهل نحن بخير . . نعم سنكون

بخير اذا وعينا درس الخشوع من عباد وعملنا به وجعلناه قدوة لنا . .

يوم اليمامة

في هذا اليوم كان الانصار بحق هم العدة والمنعة ، كأنهم ارادوا ان يتميزوا في يوم من ايام الاسلام المشهودة كما تميزوا من اول يوم التقوا فيه رسول الله ﷺ .

تجلى أحد ابطال المعركة وهو زيد بن الخطاب فيقول : انكشف المسلمون في هذا اليوم فراح يصيح زيد : اما الرحال فلا رحال واما الرجال فلا رجال . .

واكمل بصوت عال :

اللهم اني اعتذر اليك من فرار أصحابي وابرأ اليك مما جاء به مسيلمة الكذاب ومحكم بن الطفيل . .

وامسك زيد بن الخطاب بالراية وجعل يصول ويضرب محور الاعداء . . وقتل في ذلك اليوم سالم مولى ابن حذيفة رضي الله عنهما ضمن شهداء كثيرين . .

بدأت المعركة وكأنها مستحيلة ، فقد هزم فيها المسلمون ثلاث مرات . . حتى ان احد المسلمين قال : ما كنا نقاتل هكذا مع رسول الله ﷺ ولكن لن يستمر هذا الموقف لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . .

وجاء بطلنا عباد بن بشر يقول لابن سعيد الخدري رضي الله عنه :

« يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء قد فرجت لي ، ثم اطبقت علي فهي ان شاء الله الشهادة . .

فقال سعيد : قلت خيراً . . » .

ولما اصبح اليوم التالي : خرج عباد بن بشر يصيح بالأنصار :

يا معشر الأنصار . . يا معشر الانصار احطموا جفون السيوف (اي حطموا غماد السيوف حتى لا تلقوا السلاح ابداً) وتميزوا من الناس .

يا معشر الأنصار : اخلصونا . . اخلصونا . . اي تجمعوا وجاء اربعمائة رجل من الأنصار : نعم الرجال المتميزون . . لقد تميزوا في هذا اليوم وتقدم هذا الجيش ثلاثة من ابطال الأنصار هم : عباد بن بشر ، وابو دجانة ، والبراء بن مالك . رضي الله عنهم اجمعين وتقدموا الى باب الحديقة ، وبطلنا يضرب كل صعب يواجهه . . فصيرا في مجال الموت صيراً . .

احتسب عباد بن بشر الشهادة . . وتحققت الرؤ يا . . مرحباً بالموت حبيب جاء على شوق . . وتحت اسوار الحديقة انطلقت السهام والسيوف تضرب كل مكان في جسده الطاهر . .

يقول ابو سعيد الخدري : فرأيت بوجهه (عباد بن بشر) رضوان الله عليه ضرباً كثيراً ما عرفته إلا بعلامة كانت في جسده .

وفي كوكبة من ملائكة الرحمن صعدت الروح الطاهرة الى السماء . . لتلتقي مع حبيبها في الجنة : اللهم اغفر لعباد . . العابد المتهجد في المدينة . . الشهيد في اليمامة . . لا تحسبهم امواتاً . . بل هم أحياءٌ عند ربهم يرزقون . .

ويحضرنا الآن دعاء رسول الله للأنصار يقول عليه السلام :

« اللهم اعز الأنصار الـذين اقام الله الـدين بهم ، الذين آووني ، ونصروني ، وحموني . . وهم اصحابي في الدنيا ، وشيعتي في الآخرة ، وأول من يدخل الجنة من امتي » .

« اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ، ولأبناء ابناء الأنصار » .

وداعاً عباد بن بشر . . شهيد اليمامة .

■ ■ ■

النقيب سعد بن خيثمة الأنصاري

قال تعالى :

﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ .

اقترع مع والده على الجنة ، فخرج سهمه ودخل الجنة .

بايع الرسول يوم العقبة على السمع والطاعة في المنشط والمكره . .

خرج من المدينة قاصداً محمداً ﷺ ، لم ينتظر حتى يأتيه عليه السلام . .

كان واحد من ثلاثة في قبيلة الأوس اختيروا من النقباء الاثني عشر ليلة البيعة بيعة العقبة الثانية .

كان في نسله بركة : يقول الذهبي انقرض عقبة سنة مئتين[1] هجرية .

كان مطيعاً لوالده مثلًا يقتدي في الطاعة .

استشهد في سبيل دينه قبل أبيه .

واستشهد ابوه ايضاً في يوم احد . .

هذه هي بدايات عن شخصية النقيب سعد بن خيثمة زعيم الاوس يوم بيعة العقبة واحد النقباء الاثني عشر في ذلك اليوم . .

---

(١) سير اعلام النبلاء ، ترجمة ٥٢ ص ٢٦٦ مجلد ١ .

بطاقة تعريف

نسبــه

هو سعد بن خيثمة بـن الحارث بن مالك بن كعب بن الخاطب بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم ابو عبدالله الانصاري الأوسي البدريٌّ النقيب انقرض عقبة سنة مئتين .

كان احد النقباء الاثني عشر . .

هذه بطاقة تعريف متواضعة عن بطلنا سعد بن خيثمة احد النقباء .

ولنبدأ من احد شعاب مكة من العقبة . . جلس اكثر من سبعين رجلاً وامرأتان في جنح الظلام في انتظار الرسول ﷺ ليقبل عليهم وقد ضربوا موعداً معه . .

يقول كعب بن مالك يصف هذا الموقف : ـ

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه العباس ابن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، الا أنه أحب ان يحضر أمر ابن اخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج ، وكانت العرب تسمي هذا الحي من الانصار الخزرج (خزرجها واوسها) ان محمداً منا حيث علمتم .

وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ، ومنعة من بلده وأنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك .

وإن كنتم ترون انكم مسلِّموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن

فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده ، فقلنا له ، قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

ثم تكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله . . .

ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأبناءكم . .

جلس سعد بن خيثمة يستمع الى كلمات رسول الله ﷺ وحواره مع البراء بن معرور وعن يمينه أسيد بن الحضير ، ورفاعة بن المنذر ابناء قبيلته والمختارين معه نقباء عن الأوس . .

ولما وضعت الايادي في يد رسول الله ﷺ صرخ الشيطان يحذر عباد الاصنام ممن يردان اخراجهم دين الوثنية . .

ثم وقف رسول الله ﷺ وقال للنقباء ومن معهم :

ارفضوا الى رحالكم ، فقال له احد الانصار :

والله الذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غداً باسيافنا فقال عليه السلام :

لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم :

رجع سعد بن خيثمة الانصاري الى خيمته ومكان نومه في العقبة ومعه النقباء يتحدثون ويستبشرون ببيعهم الذي بايعوا رسول الله ﷺ عليه . .

ثم ناموا حتى الصباح ، ولما استيقظ سعد بن خيثمة الانصاري واصحابه النقباء الاثني عشر من اوس وخزرج . . جاءتهم جماعة من قريش تتكلم وتستفرد تسأل : ـ « يا معشر الخزرج : انا قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا (يقصدون الرسول ﷺ) تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما في حي من العرب ابغض الينا أن تنشب الحرب

بيننا وبينهم ، منكم »[1] .

وكانت هذه الجماعة من قريش قد ذهبت الى المدينة ، ولما سألوا الخزرج عن اتفاق تم بينهم وبين محمد فاقسموا بالله بأنه لم يحدث شيء من هذا واكمل الرجل القريشي الكافر حديثه بانه ذهب للمدينة وحدث انهم اقسموا بعدم معرفتهم بذلك . عند ذلك نظر النقباء الى بعضهم وسعد بن خيثمة الانصاري ينظر الى اصحابه ويبتسم ، لانهم حقاً ، لم يعلموا بهذا في المدينة فصدقوا في قسمهم ، لأنهم لم يعلموه حقاً . .

وعاد الرجال الى المدينة .

وعاد سعد بن خيثمة الانصاري مع اصحابه . . يحمل في قلبه بيعة رسول الله ﷺ ، ويحفظ كلامه جيداً ويبتسم احياناً عندما يتذكر كلام جماعة من قريش . . لقد كاد امرنا أن يصبح جهاراً للقوم ويصير بيننا قتال لا نعرف عواقبه إلا أن الله سبحانه أراد أن تسير الأمور في هدوء حتى يأذن لنا بالقتال .

وعاد الرجال الى المدينة ، ولم يمض وقت طويل حتى سار رسول الله ﷺ الى المدينة .

فأمر رسول الله ﷺ ان يبني مسجداً ، ونزل عليه السلام على أبي ايوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله ﷺ عليه ليشجع المسلمين على العمل فيه فامتدت الايادي المباركة من الانصار والمهاجرين ، وجدوا في بناء المسجد حتى قال احدهم :

لئن قعدنا والبنى بعمل لذاك منا العمل المضلل[1]

---

(١) سيرة ابن هشام بيعة العقبة .

(٢) سيرة ابن هشام قدوم المدينة .

وراح بعضهم يردد بصوت مؤمن هادىء وهم منهمكون في البناء :

لا عيش الا عيش الآخرة . . اللهم ارحم الانصار والمهاجرة ويردد سعد ابن خيثمة معهم :

لا عـيش الا عيش الآخرة . . اللهم ارحم الانصار والمهاجرة فيحييهم الرسول ﷺ بصوته العذب الندي :

لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والانصار . .

وبدأ عليه الصلاة والسلام تنظيم شؤون المدينة .

وخطب رسول الله في المسلمين جميعاً مهاجرون وانصار . . وحثهم على التقوى والتزام حدود دينهم وآخى عليه السلام بين البطل سعد بن خيثمة الانصاري وبين ابي سلمة بن عبد الاسد . فرحب به سعد بن خيثمة مرحباً بك في دارك وبيتك وبين أهلك يا أخي في الاسلام .

واقترب سعد من مجلس الرسول ومعه ابوه خيثمة الذي اسلم وراح يسير الابن النقيب سعد ، وأبوه خيثمة من انصار الاسلام . . راحا يشقيا طريق الاسلام والإيمان . .

فـي بـدر :

ويجيء يوم بدر ونذهب هناك في اطراف المدينة لنرى حديثاً عجباً في بيت خيثمة دار هذا الحديث بينه وبين ابنه سعد . . ترى ماذا حدث ؟ .

عندما دعا رسول الله ﷺ للخروج الى بدر لمحاربة الكفار ، دار هذا الحوار ومضمونه بين خيثمة وابنه سعد :

خيثمة : ساخرج انا الى بدر يا سعد وابق انت هنا . . فأقم مع نسائك يا بني .

قال سعد : يا أبي لا اعصي لك أمراً ، ولكن لو كان غير الجنة لاثرتك به .

قال خيثمة : يا بني وكيف تحصل على الجنة وأنا أقول لك ابق مع نسائك واخرج أنا الى بدر مع رسول الله ﷺ .

قال سعد : إني لأجد الشهادة في وجهي هذا ، ولن يكون لي ذلك بغير الخروج الى بدر . .

وعلا نقاش الاب مع ابنه الرافض البقاء دون الخروج لبدر مع رسول الله ﷺ بينما أصر خيثمة على الخروج هو . .

واخيراً اتفقا على عرض الأمر رسول الله ﷺ ، فقال الرسول ﷺ : استهما (أي يختار السهم من يخرج منهما الاقتراع) فاقترعا فخرج السهم على سعد بن خيثمة : فخرج حاملاً سيفه سعيداً بما اتاه ربه من فضل وجاءت جحافل الكفر بعدتها وعتادها ، وخرج هذا الانصاري البدري النقيب . . ليس في قلبه سوى لقاء ربه ونيل شرف الشهادة ، وخرج له عمرو بن عبدود ، وتبارزا الرجلان وصعد غبار وصهيل الخيول الى عنان السماء ، وسمع الناس صوت صليل السيوف . . يضرب بعنف وقوة .

واستشهد النقيب لقد قتله عمرو بن عبدود . .

هنيئاً بما فزت به ايها البطل . . هنيئاً بشرف الشهادة . .

كيف سيكون بنى ود يوم القيامة . . وكيف انت في هذا اليوم المشهود : من مقاعد الصديقين والشهداء . .

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . . ﴾ .

فرحين بما اتاهم ربهم . .

وداعاً نقيب الاوس . . وبطل البيعة . . السبَّاق الى الاسلام وداعاً سعد ابن خيثمة الانصاري . .

أبو طلحة الأنصاري

قال عز وجل :

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلاّ باذن الله كتاباً مؤجَّلاً ومن يُردْ ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأيِّن من نبي قاتل مَعَهُ رَبِّيُّون كثيرٌ فما وَهَنوا لِما أصابَهُمْ في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابـرين وما كان قولهـم إلا أن قالوا رَبَّنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحُسْنَ ثواب الآخِرَة والله يحب المحسنين ﴾[1] .

يكفي أبـا طلحة ما رواه عن النبي . .

لقد روى عن النبي أكثر من عشرين حديثاً ، اثنين منهم في الصحيحين وواحدٍ في البخاري وآخر رواه مسلم . .

كان رجلاً جَلِداً ، ورعاً ، وتقياً .

كان مهره اعجوبة من . . اثمن مهر دفعه انسان يتزوج لقد كان المهر الذي قبلته به زوجته زوجاً . . أن يدخل في دين الإسلام . .

سنبحر في سيرة رَجُل صوان قوام ، غزا في سبيل الله الإسلام كثيراً وشهد المشاهد الأولى كلها مع رسول الله ﷺ الذي طالما قال له : يا رسول الله ! « نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء »[2] كان يريد ان

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٢) سير اعلام النبلاء الجزء الثاني ص ٣٢ .

يفدي رسول الله بروحه ولما جاءت لحظة تشبه ذلك لم يتورع عن تقديم نفسه فـداءً لرسول الله ، سنعرف ذلك من خلال سيرته الطيبة . .

ولنبحر فيها . . لنرى في طياتها ايمان المخلصين المبايعين . . أنصار رسول الله ﷺ .

نسبـــه

من بني اخوال النبي ﷺ ، أحد اعيان غزوة بدر واحد النقباء الاثني - عشر الذين بايعوا رسول الله ﷺ في ليلة العقبة الثانية .

وهو الصحابي الانصاري البخاري (من بني البخار) الخزرجي .

اسمه زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة ابن عمرو بن مالك بن البخار .

يكنى ويشتهر بأبي طلحة الانصاري وكان مشهوراً بهذا الاسم وكان يقول عن نفسه دائماً :

أنا ابو طلحة واسمي زَيْدٌ ... وكل يـومٌ فـي ســلاحي صـيــدٌ

امه من بني البخار وهي عبادة بنت مالك بن عدس بن زيد بن مناة بن عدي بن مالك النجار .

هذه الاسماء والانساب التي تنتهي الى بني النجار اخوال عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ترى ماذا تنجب في زمان ظهور الاسلام . . لقد انجبت ابو طلحة الانصاري صاحب الحسب والنسب والمال والجاه في المدينة ، ولـسوف نرى كيف كان إسلامه سلساً طيباً . . جليلاً عظيماً . .

يوم زواجه يوم اسلامه . . اكمل دينه ودنياه ، كانت فكرة الإيمان قريبة

من قلبه الرضي المجاهد . . فلم يحتاج في اسلامه الى مثابرة الداعية وترغيبه ان هي إلا كلمات من سيدة طيبة احبت صدقه ورجولته وكاد الإسلام يحيل بينها وبينه إلا انه استجاب لفطرته المغمورة بالخير الموفورة بالتقوى . . تُرى ما قصة اسلام أبي طلحة الانصاري ؟ لنسمع قصته مع ام سليم الانصارية الصحابية الوفية لرسول الله ﷺ .

اسلامه

« فما سمعنا بمهر كان قط أكرم من مهر ام سليم »[1] .

نعم فقد كان مهرها : إسلام أبي طلحة الانصاري رضوان الله عليه ، هذه السيدة الطيبة ام سليم بنت ملحان الانصارية الخزرجية ، فقد انجبت اخلص خادم للنبي ﷺ : انس بن مالك وكانت متزوجة من مالك بن النضر ومات مالك زوجها في الشام . . وجاء ابو طلحة الانصارية لخطبتها . .

فقالت له : لا ينبغي ان اتزوج مشركاً !

اما تعلم يا أبا طلحة أن الهتكم ينحتها عبدُ آل فلان (تقصد انه بشر منهم) وأنكم لو اشعلتم فيها ناراً لاحترقت !! .

فانصرف ابو طلحة وقد هز هذا الحديث كيانه ثم جاء اليها وقال :

يا أمُ سليم ! أنا على مثل ما انت عليه ، انا على دين الإسلام اشهد ان لا اله إلا الله ، وان محمداً عبده ورسوله .

فأجابته وهي مسرورة بما افاض الله عليها بزوج مسلم وقالت :

وما مثلك يا أبا طلحة يرد واستجابت لطلبه وتزوجا . .

---

(١) سير اعلام النبلاء ص ٢٩ جزء ٢ .

وكان مهرها الإسلام . . نعم الصداق وحسنت مرتفقاً « ولما بلغ ذلك الرسول قال : جاءكم ابو طلحة وغُرة الإسلام بين عينيه » ـ لقد تزوج ابو طلحة احدى السابقات للإسلام انصارية مؤمنة ـ واسلم بين يديها . . وتزوجها لدينها وظفر بذات الدين . .

تربت يدا ابي طلحة . لقد فاز بالدنيا وبالآخرة . .

تزوج سيدة عرفت بالصبر ، والمثابرة ، والحكمة وولدت له : عبد الله ، وابا عمير ، وكان لها موقفاً عظيماً يدل على صبرها وحكمتها . فقد مرض ابن من ابنائها واصبح في حال خطرةٍ ، وفي هذه الاثناء خرج ابوه ابو طلحة الى المسجد للصلاة واثناء خروجه « توفي الغلام » ، فاعدته ام سليم لوداعه للمثوى الأخير .

إسلامه (مع ام سليم)

وقالت لمن حولها لا تخبروه ، وعاد ابو طلحة الانصاري الى بيته فوجد ام سليم قد اعدت له عشاءه ، فتناوله ، ولما فرغ منه واستراح في فراشه قالت ام سليم يا أبا طلحة : ألم إلى آل ابن فلان استعاروا امانة من بني فلان فلما جاؤ وا في طلبها لم يردوها لهم . . رغم انها حق لهم وامانة اودعوها عندهم .

فقال ابو طلحة : والله ما انصفوا يا أمُ سليم .
فقالت : يا أبا طلحة ان الله قد استعاد امانته منك . .
فقال ابو طلحة : وما هي ؟ .
قالت : ابنك فقد قبضه واسترجعه .
فقال ابو طلحة : انا لله وإنا اليه راجعون ، حمداً لله وشكراً . .

وعندما أصبح من ليلته ذهب إلى رسول الله ، فلما رآه عليه الصلاة والسلام قال له : « بارك الله لكما في ليلتكما » .

فحملت ام سليم وانجبت عبد الله الذي سماه الرسول ﷺ ولما كَبُرَ عبد الله : قيل انه انجب سبع بنين كلهم قد ختم القرآن[1] وقيل عشرة جميعهم حفظوا القرآن . .

لقد حمدا الله وشكراه (ابو طلحة ، وام سليم) وبارك الله لهما في ليلتهما ، لأنهما حمدا الله في الضراء فبسطت عليهم رحمته وعطاءه ، لئن شكرتم لازيدنكم .

وكان ان وهب لهم الله من ذريتهم قرة اعين . . ورزقهم من الثمرات ولنترك هذا المشهد في بيت ابي طلحة . . ونخرج إلى « بدر » حيث شارك ابو طلحة الانصاري ، وكان له شرف المشاركة . . وظل التاريخ يردد عنه انه كان بدرياً . . ونال شرف البدريين الأوائل انهم السابقون السابقون إلى الإسلام . .

في يـوم بدر

جاءت جيوش الباطل تريد ان تسحق جيوش الحق ، ولكن الله عز وجل يقول للرسول الكريم ﷺ : ﴿ قُل جاء الحقُّ وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ﴾ يومها وقف الله عز وجل ينصر رسوله الكريم ويمده ورجاله بجنود لم يروها .

عندما دعا محمد ﷺ ربه وقال : « اللهم ما انجز لي ما وعدتني ؛

(١) طبقات ابن سعد حزء ٨ ص ٤٣٤ .

اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تُعبد بعد في الأرض أبداً » .

وظل يدعو عليه السلام حتى سقط رداءه ، فجاء ابو بكر الصديق فأخذ الرداء ثم قال : «يا رسول الله ! كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك به »[1] . ونزل جبريل يقرأ على رسول الله ﷺ استجابة الله لوعده فيقول : ﴿اذ تستغيثون رَبَّكُم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردنين ، وما جعله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إنَّ الله عزيزٌ حكيم ﴾ .

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمَنَةً منه وينزِّلُ عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ويربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديدُ العقاب ﴾[2] .

واستجاب الله لدعاء رسوله ﷺ واستغاثته وارسل الله عز وجل الملائكة لينصروا ابطال الاسلام وارسل عليهم سكينة واطمئنانة فنام الناس للحظات قصيرة وغشي النوم أبـا طلحة حتى قال : «لقد سقط السيف مني يوم بدر، لما غشينا من النعاس »[3] ولما افاق ابو طلحة الانصاري رفع سيفه وراح يصول ويجول يضرب بسيفه أئمة الكفر حتى انتصر المسلمون . وانكسرت شوكة الغرور والتكبر لهؤلاء الكفرة العجزة ، فعادت بقيتهم الباقية ذليلة مهزومة .

---

(١) حياة الصحابة للكاند هلوي جزء ١ ص ٥٠٠ طبعة دار الفكر بيروت .
(٢) سورة الانفال الآيات من ٩ ـ ١٣ .
(٣) سير اعلام النبلاء عن الامام احمد جزء ٤ ص ٢٩ .

يوم أُحــد

كان في يوم احد رامياً يرمي سهامه وهو واقف الى جوار رسول الله ﷺ، وكـان رامـياً ماهراً وكان الرسول ﷺ اذا رمى ابو طلحة الانصاري سهمه، رفع عليه السلام بصره يتابع اين يقع سهم ابي طلحة وكان يحمي صدر رسول الله ﷺ ،ويدفع صدره الكريم بيده وهو يقول، هكذا لا يصيبك سهم ما ولما انهزم الناس عن رسول الله ﷺ في ذلك اليوم كان ابو طلحة من شدة رمي قد كسر قوسين او ثلاثة مما يرمي بهم السهام وعندما يمر الرجال على رسول الله ﷺ يقول عليه السلام للرجل المار ومعه جعبة النبال « انثرها لابي طلحة » اي اتركها له ثم يمشي هناك إلى الناس يشجعهم فيصرخ ابو طلحة : يا نبي الله ، بأبي انت ، لا تشرف (لا تذهب) ، لا يصيبك سهم نحري دون نحرك « نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء » .

وفي ذلك كان يقول الرسول ﷺ ، « لصوت ابي طلحة اشد على المشركين من فئة » .

هكذا كان المشهد يوم احد . . يقاتل ابو طلحة الانصاري عندما انحسر الناس تكسر الاقواس من كثرة ما رمى من السهام . . يرمي سهمه وينظر الى حبيبه رسول الله ، تشغله سلامة رسول الله ﷺ ،«بأبي انت وامي يا رسول الله ، نحري دون نحرك » اموت وتحيا يا حبيب الله . .

نفسي فداءك يا رسول الله ، هذه هي نداءات ابو طلحة الانصاري يوم أُحد . . انه رجل عاهد وبايع وصـدق مـا عاهد وبايع حبيب الله الرسول ﷺ . لقد بايعوه على السمع والطاعة وبطلنا هو واحد من النقباء الاثني عشر الذين بايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة نعم يحضرنا قول الله عز وجل :

﴿من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ ولقد صدق ابو طلحة يوم أحد . . صدق وعده . . ونصر حبيبه رسول الله ﷺ .

وشاركته زوجته ام سليم هذا الشرف والجهاد فكانت تسقي المجاهدين والأبطال وتضمد الجرحى ، لم تشغلها سلامة زوجها ، وانما انصرفت تعمل لكل المسلمين بينما سهام زوجها تمرق من فوق رأسها لتصيب نحور الذين كفروا وقد كان لهما دور يوم حنين .

يوم غزوة حنين

كانت غنائم ابي طلحة يوم حنين كثيرة فلقد قال رسول الله ﷺ يوم حنين : « من قتل قتيلاً سلبه » .

ويومها صال وجال البطل رغبة في نصر الإسلام فقتل عشرين كافراً واخذ اسلابهم واموالهم وسلاحهم .

ومشى الموكب بعد النصر ، الذي تحقق بفضل الله حيث كان اليوم صعباً وتعرض المسلمون لامتحان صعب يتضح لنا عندما نقرأ الآيات الكريمة عن يوم حنين فيقول عز وجل :

﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم انزل الله سكينة على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تزوها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاءُ الكافرين ثم يثوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفورٌ رحيم﴾[١] .

ومشت ام سليم الى جوار زوجها في ذلك اليوم المبارك تحمل خنجراً

---

(١) سورة التوبة الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

تدافع به عن ابطال الإسلام ولما تساءل عنه ابو طلحة قالت : « إن دنا مني احد من الكفار لغرسته في بطنه » . وسمع الرسول ﷺ « ويقول ابو طلحة : يا رسول الله هذه ام سليم معها خنجر ! فقالت : يا رسول الله ان دنا مني مُشرك بقرت به بطنه »[1] .

بئرحاء .. مال رابح

سمع ابو طلحة صاحبه يقرأ قول الله تعالى عز وجل :

﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾[2] .

عند ذلك فكر ابو طلحة الانصاري وكان اكثر انصاري بالمدينة مالاً فعرج الى رسول الله ﷺ ، وقال : لقد سمعت قول الله عز وجل ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما احببتم ﴾ .

وإن احب اموالي إليَّ بئرحاء (وكانت مكان يتوضأ ويشرب منه الرسول والمسلمون في المدينة رضوان الله عليهم) .

وانها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها ، فضعها يا رسول الله حيث اراك الله .

فقال له عليه السلام : بخ ! (حسنا) انه مال رابح واني أرى ان تجعلها في الأقربين »[3] .

---

(١) طبقات اس سعد حرء ٨ ص ٤٢٥ .
(٢) سورة آل عمران الاية ٩١ .
(٣) حديث رواه انس س مالك ورد في صحيح البخاري جـ ٣ ص ٢٥٧ في باب الزكاة على الأقارب

وقد جعلها صدقة لاقربائه وللمسلمين من ذوي الحاجة انه كرم المؤمنين ، اللذين استبدلوا الجنة بالحياة الدنيا ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . . وينفقوا مما رزقهم الله من فضله ، سراً وعلانية ، وسطاء على المال ، لا أصحاب له ، رغبتهم في الدنيا زاهدة بعيدة ، يريدون رضى الله وفضله وطاعته ورحمته . .

فكيف بابي طلحة حبيب رسول الله ، ونحن نبحر في سيرته العطرة . . لقد قدم احلى ما ملك في الدنيا من مال حتى ينال البر وينال الخير الذي وعد الله به شريطة ان ننفق من احسن ما رزقنا الله من اموال . . حتى تذهب صدقة طيبة لها ريح طيبة تغفر لنا خطايانا كما تطفىء الماء النار . . رحم الله المتصدقين .

من صفات الرجل

كان جَلْداً قوياً ، عالي الصوت ، يميل الى السمرة ، كان رضوان الله عليه لا يحب السلطان . . لا يرغب في منصب ولا حاه ، ولا يرغب في ذلك على اخوانه المسلمين . . كان يقول في ذلك دائماً « لا أتأمَّرن على اثنين » .

كان صَوَّاماً في غير شهر الصوم حتى قالوا انه لا يفطر إلا فى سفر او مرض[1] كان قَوّاماً دائم الصلاة . .

نال شرف مصاحبة الرسول في غزواته ومشاهد كثيرة منها بدر ، أحد وحنين وغيرها . .

ونال شرف تواجده بجوار الرسول في مرضه . .

---

(١) طبقات ابن سعد جزء ٣ ص ٥٠٦

ونال شرف نزول القبر مشاركاً الناس من وداع الرسول الكريم يوم وفاته

وفي عام اربع وثلاثين هجرية غزا المسلمون .

« وقد روى انس رضي الله عنه ان ابا طلحة قرأ ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾[٢] فقال · استغفرنا الله ، وامرنا شيوخنا وشبابنا ، جهزوني .

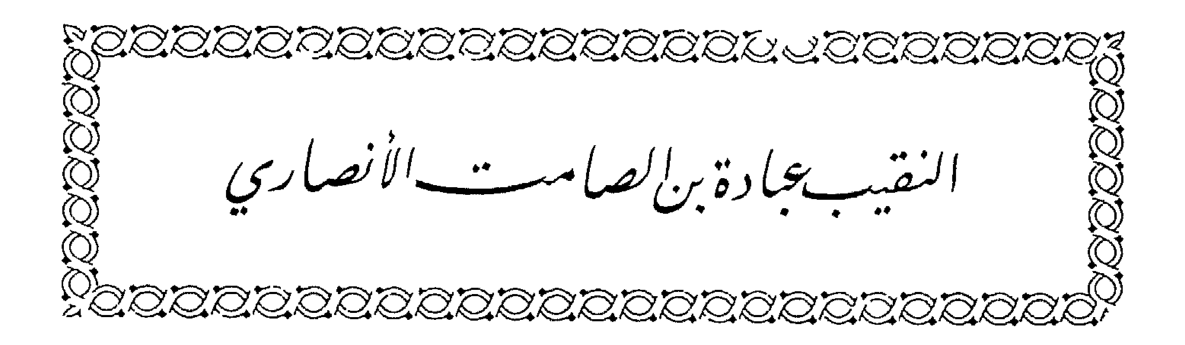
فقال بنوه : يرحمك الله ! انك قد غزوت على عهد رسول الله ﷺ وابي بكر ، وعمر ، ونحن نغزو عنك الآن .

قال انس : فغزا البحر ، فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام ، فلم يتغير» .

لم يتغير جلده بعد وفاته . . رحمه الله فقد كان طيباً طاهراً في حياته ومماته . . رحم الله ابا طلحة الانصاري .

رحم الله النقيب . . المبايع . . احسن بيعته فكان سمعاً مطيعاً لرسول الله ﷺ وللمسلمين اجمعين رضوان الله عليهم .

■ ■ ■



قال تعالى عز وجل :

﴿ إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نَفْسِهِ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾[1] . صدق الله العظيم .

حضر النقيب بيعة العقبة الأولى وبايع محمداً على أن لا يشرك به شيئاً ، ولا يسرق ولا يزني ، ولا يقتل أولاداً كما يفعل الجاهلون في أيام الجاهلية قبل الاسلام .

كان واحداً من اثني عشر رجلاً بايعوا الرسول أول بيعة في الاسلام .

وفي البيعة الثانية كان واحداً من النقباء الاثني عشر الذين تولوا أمر قومهم من الأنصار ويومها توجه الرسول الى الأنصار ونقبائهم الاثني عشر بالحديث يقول :

« أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

فأجابه أحدهم وهو البراء بن معرور آخذاً بيده ، ثم قال :

نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب . .

---

(١) سورة الفتح الآية رقم ١٠ .

كان البدء بيعة ، وتكملة البيعة جهاد في سبيل الله فقد تعلم القرآن وعلّمه للمسلمين .

فكان خيارهم . . شارك في بدر ، وناقش قضية « النفل » الغنائم . في هذه الغزوة ، كان لا يحب النفاق ووقف في وجهه حلفاؤه من يهود بني قينقاع .

وإذا جاءت موازنة بين الاسلام وأي شيء آخر فإن عبادة في صف الاسلام مهما كانت عاطفته ونخوته تملي عليه ذلك .

كان عبادة بن الصامت رجل المشاهد الكبرى كلها بحق فشارك يوم أحد ويوم بدر ويوم فتح مكة ويوم حنين، ويوم تبوك وعاصر العسرة في هذا اليوم الشديد : هل لنا تبحر في سفر ممتع مع حبيب رسول الله ؟

كان أنصاريًّا ضمن خمسة منهم شاركوا في جمع القرآن وتدوينه . . لا تفلح كلمات مختصرة عن عبادة فبطاقته مملوءة بالصور الجميلة والزهور اليانعة .

لنرى ذلك والحكم لله سبحانه وتعالى . .

نسبه

من هو عبادة بن الصامت ؟

« هو عبادة بن الصامت بـن قيس بن أحرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عون بن الخزرج . .

الامام القدوة أبو الوليد الأنصاري ، أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدريين ، سكن بيت المقدس »[1] .

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي جـ٢ ص ٥ .

هكذا قدم له الذهبي في التعريف به . .

أمه : هي قرة العين بنت عبادة بن مالك بن العجلان .

بعد هذه البطاقة الصغيرة من التعريف ببطلنا نقيب الأنصار عبادة بن الصامت . .

ننتقل فوراً إلى المدينة لنرى مشهد الخروج للقاء الرسول اللقاء الأول وعبادة بن الصامت .

خرج هو وعشرة رجال معه من المدينة لما سعوا عن دين محمد ﷺ ودعوته الجديدة . . ولنترك المجال لعبادة بن الصامت ليحدثنا عن هذا المشهد العظيم : قال عبادة : « كنا أحد عشر رجلاً في العقبة الأولى فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء قبل أن يفرض علينا الحرب . . بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ، ولا نأتي ببهتان نفدّيه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نعصيه في معروف ، وفي فوى فله الجنة ، ومن غشي شيئاً فأمره الى الله إن شاء عذبه ، وان شاء غفر له »[1] .

وانصرف الرجال بعد ذلك الى مدينتهم المنورة . . يتحدثون فيما بينهم عما تم في شعاب مكة في العقبة الأولى بينهم وبين رسول الله ﷺ .

خرجوا من تحت جنح الظلام يقطعون الطريق بينما صدى البيعة قد لمس قلوبهم وعقولهم ، ترى ماذا عن الرجل ؟ هل سيؤزره ربه بنصر معه عنده . . نحن معه في سبيل الله على الخير كله وضد قوى الشر أي كانت قوتهم . . حسبي أن حديثاً قد جال بخاطر عبادة وأصحابه وهم يقطعون الطريق عائدين الى يثرب .

---

(١) حياة الصحابة جـ ١ ص ٢٣٥ واخرجه الشيخان .

مع الرسول في البيعة الثانية

مر عام على مجيء مصعب بن عمير الى المدينة ، بذل فيه جهداً عظيماً فقد قال له رسول الله ﷺ عندما أرسله مع الأنصار في البيعة الأولى :

اقرئهم القرآن وعلمهم الاسلام . .

فراح يفعل ما أمرهُ حبيب الله عليه السلام . . ففقههم في دينهم حتى سموه مقرىء المدينة .

وكان مصعب يصلي بهم ، وذلك لكراهية الأوس والخزرج أن يؤم بعضهم البعض . ورجع مصعب بن عمير الى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم حتى قدموا الى مكة ، فواعدوا رسول الله ﷺ في العقبة وكان موعدهم أواسط أيام التشريق (وهي ثلاثة أيام بعد النحر ، كانوا يشرقون فيها لحم الأضاحي للشمس) وفي ذلك قال كعب بن مالك أحد الأنصار في بيعة العقبة الثانية :

خرجنا من حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء ابن معرور سيدنا وكبيرنا ، فخرجنا نسأل عن رسول الله وواعدناه العقبة .

ونمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ، واسماء بنت عمرو بن عدي .

فاجتمعنا برسول الله فتكلم عمه العباس يتأكد من بيعتنا ثم تكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

فأمسك البراء بن معرور بيد رسول الله وقال له: «نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء حروب وأهل السلاح كله ورثناها كابراً عن كابر »[1] .

وقال رسول الله : « أخرجوا منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على توقهم بما بهم » .

فاخرجوا منهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج بينهم بطلنا عبادة بن الصامت وثلاثة من الأوس . .

قال عبادة عن بيعته الثانية :

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ، على السمع والطاعة ، في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأثره علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .

هكذا كانت بيعة الرجل وأصحابه . . ولم يمض وقت طويل حتى جاء موكب النور من مكة يحمل الرسول وصاحبه الى المدينة ، ونزل في دار أبي أيوب الأنصاري ، وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فآخى الرسول ﷺ بين عبادة بن الصامت ، وبين ابن أبي مرشد الغنوي في المدينة المنورة .

فكان نعم الأخ لصاحبه المهاجر تقاسم معه العسر واليسر ، وعبادة الله عز وجل كانت جهاداً يسابق اليه كل واحد منهم الآخر فيه .

وبدأ دور عبادة الاسلامي من هذه اللحظة . . فهو أحد النقباء الاثني عشر ومن السابقين في البيعة . .

---

(١) سيرة ابن هشام ـ (باب ما جرى اثناء لقاء الرسول والأنصار) .

في يوم بدر

قال تعالى عز وجل :

﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بنيكم وأطيعوا الله ورسوله ، ان كنتم مؤمنين ، انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياتُهُ رادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرةٌ ورزق كريم ﴾[1] .

تزلت الآيات المباركة السابقة في غنائم بدر الكبرى وكان عبادة بن الصامت ممن رفع سيفه وشارك وضرب رمحه في صدور الكفار . .

ووقف الى جوار رسول الله في أول مواجهة بين المسلمين والكفار . .

ولقد جاهد كل بدري في ذلك اليوم المبارك جهاداً عظيماً ومن جلال وعظمة الموقف سمي كل من شارك فيه « بدري » أو « البدريين » نعم الأبطال كانوا في هذا المشهد العظيم . .

وقد كان لموضوع الآيات الكريمة سبباً نزلت فيه فيقول عبادة بن الصامت عن سورة الأنفال :

﴿ فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل فنزعه الله من أيدينا ، فجعله الى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين على السواء ﴾ .

لقد حظى عبادة بن الصامت إلى الآن بشرف ثلاث مواقف عظيمة بيعة

---

(١) الأنفال الآيات من ١ ـ ٤ .

العقبة الأولى والثانية . وها هو في يوم بدر يشارك أخوته وأصحابه وقد كتب الله لهم نصره ، وأمدهم بملائكة شداد قاتلوا معهم وغلبت فئـة قليلة مؤمنة . . جحافل وجيوش الكفر الذين ظنوا بقوتهم الظنون .

ولكن الله غالب على أمرة ينصر عبادة الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . .

مع يهود بني قينقاع

قال عز وجل :

﴿ ومن يقول الله ورسولـه ، والذين آمنـوا ، فإن حـزب الله هم الغالبون ﴾[١] .

كان بين اليهود من بني قينقاع وقبيلة الخزرج ومنهم عبادة بن الصامت كان بينهم حلف . . كل منهم يناصر الآخر إذا استنصره وقد لعب اليهود هذه اللعبة وشغلوا بها الأوس والخزرج في حروب عشرات السنين وجاء الاسلام ليدحض الباطل ويكشف الحق . .

وجاء الرسول ﷺ ودعاهم الى الاسلام ، فكان أن تأمروا وظنوا أنهم قادرون على محمد ﷺ وقالوا للرسول جهرةً ودون خجل :

« لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب . .

فأصبت منهم فرصةً ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنَّا نحن الناس . كيف يقول هؤلاء الناس وبهذه الجرأة هذا الحديث لرسول الله ﷺ ؟ » .

---

(١) الآية ٥٦ من سورة المائدة .

سمع عبادة ما حدث من حلفائه وحلفاء قومه فتوجه إلى رسول الله ﷺ يقول :

« يا رسول الله أتَولّى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأُ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم » .

وكان المنافقة عبد الله بن أبي قد ذهب الى رسول الله يقول : يا رسول الله أحسن في موالي « إني امرؤُ أخشى الدوائر » .

وكانت المقارنة بين عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي نزلت الآيات الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياءَ بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾[1] حقاً لقد كان حلف الله هم الغالبون . .

الحبيب الى قلب رسول الله

قال عبادة :

أيُّ أصحابك أحب اليك حتى أُحبه يا رسول الله ؟

قال رسول الله ﷺ :

« أبو بكر الصديق ، ثم عمر ، ثم علي » وسكت رسول الله .

فقال عبادة : فقلت ثم من يا رسول الله ؟

قال عليه السلام : « ومن عسى أن إلا الزبير ، وطلحة ، وسعد ، وأبو عبيدة ، ومعاذ ، وأبو طلحة ، وأبو أيوب وأنت يا عبادة » .

---

(١) الآيات ١ ٥ ٢ ٢ ٥ من سورة المائدة . .

وحسبي أن عبادة قد طار فرحاً بهذا التشريف النبوي الكريم . .

ثم أكمل رسول الله ﷺ :

وابي بن كعب ، وأبو الدرداء ، وابن مسعود ، وابن عوف ، وابن عفان ، ثم هؤلاء الرهط من الموالي : سلمان ، وصهيب ، وبلال ، وعمار .

رضوان الله عليهم أجمعين أحبوا الرسول فأحبهم وأحبهم ربهم كذلك نعم لقد أتى الله عز وجل يقول يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزه على الكافرين .

قال عز وجل فيهم :

﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآءُ والله واسع عليم ﴾[1] .

كيف لا يحبه رسول الله وقد كانت يده من أوائل الأيادي الأنصارية التي صافحته عليه السلام . . بايعه بيعة الجهاد ، بيعة الحق ، بايع رسول الله وهو في ضعف أمام الكفار ، وشاركه في بناء الدعوة واتساع نفوذها فحقت له هذه المنح النبوية الكريمة . . منحه الحب . . حب رسول الله . .

هنيئاً لكم أنصار رسول ، هنيئاً لكم حب رسول الله ﷺ ، هنيئاً لكم شرف هذه السيرة العطرة . .

. . مع معاوية في الشام . .

تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح شارك عبادة بن الصامت في فتح

(١) من الآية ٥٤ من سورة المائدة .

الشام فبذل الجهد كل الجهد كان في مقدمة الزاحفين الى هذه البلاد يضرب بسيفه كل رجل من الرومان كان يحتل أرض الأنبيـاء ومهبط الرسالات ، ورغم طول المعارك وأهوالها صبر عبادة وثُبُتَ ثَبْتُ الحازمين على أمرهم القابضين على دينهم بقوة لا تهتز ولا تيأس .

ولما أتم الله نصره واعز جنده ، نظر أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح حوله ليختار أميراً لمدينة « حمص » فلم يجد أمامه أفضل من عبادة لما أبلاه من بلاءٍ حسن في المعارك . وكان حاكماً عادلاً ، أقام الحق وأقعد الباطل ، نصر كلمة الحق وأنفد شرع الله على هذه الأرض . . ولم يخش في ذلك لومة لائم . .

وتمر السنون يتولى معاوية بن أبي سفيان ولاية الشام فيحكم في عهد عمر بن الخطاب ويسافر عبادة الى الشام ويمكث هناك يعلم أهله القرآن فقد كانت هذه خير مهمة يحب أن يكلف بها فقد خان الامارة وكرهها وأقسم ألا يكون أميراً على اثنين أبداً ، وفي فلسطين مكث عبادة بن الصامت قاضياً عليها من قبل الفاروق عمر . . وفي هذه الأثناء نشأ بين معاوية وعبادة خلاف على الأسلوب والحكم .

فعباده رجل يعرف الاسلام مبكراً يوم أن بايع محمداً ﷺ في العقبة الأولى والثانية فهو يقول : « بايعنا رسول الله ﷺ على ألا نخاف في الله لومة لائم » .

نظر عبادة فوجد الدنيا كلها في حكم معاوية بن أبي سفيان ، وسلطان البشر ظاهر بارز في حكم معاوية ، فلم تعجبه قصور معاوية ، ولا نظمه الدنيوية وأحس معاوية أن عبادة يهدر ملكه وسلطانه فضاق به ذرعاً ونشأ بينهما صراع تواترت أخباره الى الناس في الشام وفي ولايات المسلمين حتى ضاق

عبادة بن الصامت بفعل معاوية وعدم تقديره لثمرة جهاد المهاجرين والأنصار فارتد عائداً الى المدينة غاضباً من تسلط هذا الرجل ، كان عبادة يـرى أشياء ومعاوية لا يرى ذلك ، كان عبادة يريد أن يستمر زهد المسلمين في الدنيا وحبهم للآخرة ، وكان معاوية يرى قيادة اسلامية على نظام الملوك متأثراً بما سمع عن تصور كسرى وامبراطوريات الرومان وانتهى هذا الصراع بقسم من عبادة بن الصامت ، قسم غاضب قاله لمعاوية في مجلسه :

« والله لا أُساكنك أرضاً واحدة أبداً » .

وعاد الى المدينة ولزم داره فاستدعاه خليفة رسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولما سأله عن سبب عودته الى المدينة . . قال عبادة بن الصامت ما رآه في الشام من معاوية . . فهدأ عمر من روعه وقال له : « قبح الله أرضاً ليس فيها مثلك » .

إرجع يا عبادة مكانك .

وأرسل كتاباً لمعاوية يقول فيه: ان عبادة بن الصامت أمير نفسه ولا إمرة لك عليه ، هكذا كان يكرم العمل صاحبه ، وكلمة الحق لا يؤثرها إلا عالم بمعناها مقدراً له .

فقد كان عبادة بن الصامت والياً عادلاً ، مجاهداً فذاً شارك في معارك كثيرة في عهد معاوية في الشام وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين . . لم تكن الشام وحدها هي قضية عبادة بن الصامت ولم يؤد دوره المعهود فقط على أرض واحدة . فتارة في المدينة وأخرى في فلسطين وثالثة في حمص . . ولكن هذه المرة تشرفت مصر بقدوم عبادة بن الصامت

أرضها . . لقد شارك في فتح مصر مع عمرو بن العاص ولنرى هذه الأحداث عن قرب . .

مع عمرو بن العاص في مصر

تقدم عمرو بن العاص لفتح مصر واحتاج هذا العمل العظيم الى مدد قوي من الخلافة في المدينة فكتب ابن العاص يطلب المدد من أمير المؤمنين .

فأرسل عمر بن الخطاب أربعة جيوش كل جيش مؤلف من الف مقاتل اسلامي بطل وجعل قيادة الجيوش تحت أربعة أبطال هم : عبادة بن الصامت بطلنا الآن والزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، ومسلمة بن مُخَلَّد .

وفتحت مصر بعد جهد جهيد وطول عناء استمر شهوراً بل أكثر من عام ودخلت قوى الحق تضرب قوى الباطل وخلصت شعب مصر من بطش الرومان واستعبادهم ودخل عبادة بن الصامت الاسكندرية على المقوقس حاكم الاسكندرية يقول : « ليس غزونا رغبة في الدنيا ولا لأنها همنا ، وما يبالي أحدنا ان كان له قناطير من ذهب ، بل غايتنا أكلة يأكلها أحدنا فيسدّ بها جوعته ، وشملة يلتحفها » اعجب المقوقس بهذا الحديث واثنى عليه وقال :

« نحن تطيّب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل دينارين ، ولأميركم مائة دينار وخليفتكم ألف دينار » .

فرفض عبادة بشدة وقال في حزم : الاسلام أو الجزية ، وإما القتال بيننا .

وكانت كلمة حازمة . . تشاور فيها المقوقس مع أتباعه كثيراً .

وفي النهاية رضخ الرجل لعبادة بن الصامت ، ودفع الجزية صاغراً وأصبحت مصر كلها تسمع كلمات : الله أكبر الله أكبر خمس مرات كل يوم . . وطنية القراء لكتاب الله في صلاة الفجر لا يفتر أبداً حتى يومنا هذا . .
لقد كانت رحلة نقيب الأنصار طويلة ومتنوعة . . طاف فيها أرجاء كثيرة من المعمورة في سبيل رفع كلمة الحق . . وعهده الذي عاهد رسول الله ، منذ سنوات بعيدة هناك في جنح الظلام ، وفي أحد شعاب مكة . . ولم تفتر الهمة ولا هان العزم على نقيب الأنصار .

في وداع البطل

حسبي أن بطلنا لن يوافق على وداعنا له ، ونحن لن نوافق على هذا الوداع قبل أن نحيي فيه روح القتال ونتلمس منه القدوة ونشير الى رحلة بحرية قتالية شارك فيها وزوجته السيدة أم حرام بنت ملحان . . لم تكن رحلة بحيرة بل انها معركة فتح جزيرة قبرص لقد شارك فيها وزوجته وماتت أم حرام هناك في قبرص . . ترى هل يسمع صوت المؤذن الآن في قبرص . . لا أعرف وددت أن يتردد هذا الصوت في أرجاء العالم كله متهذية في لحظة وداعنا لسيرة العبادة . . هدية طيبة . . ولكن واقع الحال لا يفسد للود قضية ، فنحن والحمد لله نسمع صوت المؤذن في مواطن كثيرة بجهد الدعاة من شيوخنا الأفاضل وداعاً سيد الأنصار ونقيبهم .

وداعاً حبيب رسول الله ﷺ .

وفي أرض فلسطين في الرملة بالقرب من بيت المقدس في العام الرابع والثلاثين من هجرة رسول الله توفي عبادة بن الصامت الأنصاري . . عن اثنتين وسبعين سنة . . كانت رحلة لها وقع سريع نسترجع منه وقع الخطى الى العقبة ثم تأتي الغزوات كلها وعبادة لا يكل ولا يفتر .

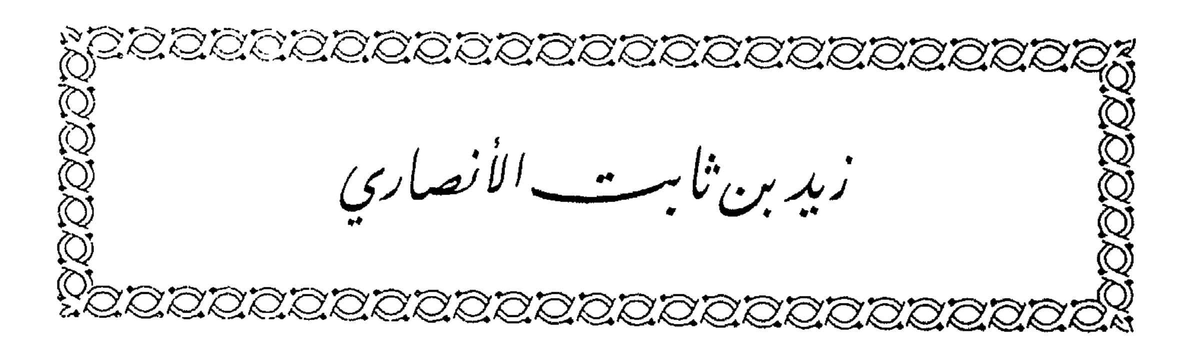
وازداد دبيب الخطى في الشام ومصر وقبرص وفلسطين وها هي الخطى قد سكنت على الأرض في الدنيا . .

وراحت في كوكبة جميلة بيضاء تدخل في رضوان الله وجناته .

سلام على عبادة . .

فنعم أجر العاملين . .

■ ■ ■



زيد بن ثابت الأنصاري

زيد . . من الراسخين في العلم . أول صفة حرصنا على أن نذكرها لبطلنا زيد بن ثابت قال عنه رسول الله ﷺ في الحديث الشريف عن انس ابن مالك « افرضهم زيد بن ثابت » .

أكثر الناس علماً بفرض الله . . لا للصلاة فقط ولكن أعلمهم بقضية هي من أصعب قضايا الفرض . . انها قضية « الميراث » .

كان وقوراً في مجلسه . . هكذا وضعه ثابت بن عبيد سمعاً كريماً في بيته . .

اسلم صبياً في العاشرة من عمره . . كان اللقاء الأول بينه وبين رسول الله ﷺ . . لقاء علم . . امسكه رجال الأنصار من يده وقدموه الى رسول الله يحفظ سبع عشرة سورة من سور القرآن . .

فطلب منه الرسول ان يدرس كتاب اليهود قائلاً له : فإني والله ما آمنهم على كتابي . . ولم تمض اسابيع قليلة حتى تعلم زيد بن ثابت الأنصاري واتقن كتاب اليهود . .

بداية صدق في العهد . . سواء كان العهد صغيراً او كبيراً .

انه واحد من الرجال الذي صدقوا عهدهم لرسول الله ﷺ رجال بني النجار في المدينة :

« رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » .

هذا الانصاري نتقدم به الى شبابنا وفتياتنا نموذجاً مشرفاً وُصِفَ بأنه حبر الأمة . . وعالمها الكبير . .

لنتقدم منه ونتعرف عليه عن قرب . .

ترى من هو زيد بن ثابت الانصاري . .

من قبيلة الخزرج . . ومن انصار المدينة . .

نسبه

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي . .

امه : النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي النجار . . ذرية بعضها من بعض . . نسل كريم طيب معه بني النجار الذين قال عنهم رسول الله ﷺ :

« انتم اخوالي ، وانا فيكم ، وانا نقيبكم » .

نشأ في يثرب « المدينة المنورة » وترعرع شبابه على أرضها . . واستقبل رسول الله منشداً « طلع البدر علينا . . . .
استقبل رسول الله ﷺ يقول . . مرحباً يا خير داع . . استقبله بسبع

عشرة سورة من القرآن حفظها من مصعب عمير سفيـر رسول الله في المدينة . . ذكاؤه وعلمه جعله يستوعب دعوة حبيبه رسول الله مبكراً . ذاق مرارة اليتم ، فعوض ذلك بحلاوة الايمان ، وطلاوة القرآن الكريم . مات ابوه يوم بعاث قبل هجرة الرسول ﷺ . .

تمرُّ السنوات ويكبر الفتى . . ويكبر معه ايمانه . . ويأخذ الدور الطبيعي في وسط اخوانه واصحابه من رجال الرسول الكرام رضوان الله عليهم . . لقد تحمل تبعات علمية في طريق الدعوة وكان خير عالم ، كان حبراً كبيراً في قضايا اسلامية هامة .

لنرى الامام الكبير ، شيخ المقرئين ، والفرضيين ، كاتب الوحي .

اللقاء الأول

قال زيد يصف لقاءه الأول برسول الله ﷺ :

أُتي بي النبي ﷺ مقدمة المدينة (اي عند مدخل المدينة) فقالوا : يا رسول الله ، هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة .

فقرأت على رسول الله ﷺ ، فأعجبه ذلك وقال : يا زيد ، تعلم لي كتاب اليهود ، فإنّي والله ما آمنهم على كتابي . .

قال زيد : فتعلمته ، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته (اي اتقنته) وكنت اكتب لرسول الله ﷺ اذا كتب اليهم[1] .

---

(١) سير اعلام النبلاء جـ ١ ص ٤٢٩ .

هكذا طاع وتعلم بسرعة : فلما سأله رسـول الله : اتحسن السريانية اي كتاب اليهود .

قلت : لا يا رسول الله . .

قال : فتعلمها. فتعلمتها في سبعة عشر يوماً[1] .

هكذا كانت البداية ، ولكن ما حدث بعد ذلك فكان شرفاً عظيماً لزيد ابن ثابت انه شرف الوحي . فقد قال زيد بن ثابت : كان رسول الله ﷺ اذا نزل عليه الوحي ، بعث اليَّ ، فكتبتُهُ[2] .

حافظ بطلنـا زيد على حفـظه واتقـانه للقرآن الكـريم في وجود الرسول ﷺ وبعد وفاته أيضاً ، فقد شارك في شرف جمعه وبذل الجهد كل الجهد ، وقد تحدث زيد ذاته عما حدث له عندهم ابو بكر وعمر في جمع القرآن وارادوا حسم هذه القضية وخاصة عندما قتل عدد كبير من المسلمين في معارك الجهاد وخاف الخلفاء الراشدون على القرآن ففكروا في جمعه .

ومصدقاً لوعد الله عز وجل : ﴿ انـا نحن نزلنـا الذكـر وانا لـه لحافظون ﴾ .

قال زيد في قصة جمع القرآن :

ان ابا بكر قال لي : انك رجلٌ شاب عاقل لا نتهمُكَ وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه .

قال زيد: عندما سمعت ذلك قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، قال ابو بكر : هو والله خير .

(١ ، ٢) سير اعلام النبلاء جـ ١ ص ٤٢٩ .

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر ، فكنت اتتبعُ القرآن اجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال . .[1] .

كان جمع القرآن شرف عظيم ناله انصار رسول الله ﷺ فقد قال انس ابن مالك في هذا الموضوع : جمع القرآن على عهد رسول الله اربعة كلهم من الأنصار : أُبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابو زيد وبقدر حبه واهتمامه بكتاب الله عز وجل . . فقد طبق تعاليمه باتقان وإيمان حتى قال رسول الله ﷺ :

« افرض أُمتي زيد بن ثابت » .

كان حكيماً بقدر ما ملأ الله صدره بالايمان ، وبقدر ما آتاه ربه من علمه وكيف لا يكون زيد بن ثابت كما اسلفنا وقد اعتمد عليه ابو بكر الصديق في كتابه القرآن العظيم في صحف ، وجمعه من افواه الرجال . . فكانت عند الصديق ثم تسلمها بعده عمر ، ثم كانت عند ابنته ام المؤمنين حفصة بنت عمر الى أن جاء عثمان وكلف ابن زيد (عثمان بن زيد بن ثابت) وجماعة من قريش الى كتاب هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض ملايين الملايين حمداً لله وشكراً له . .

في سقيفة بني ساعدة

لما مات رسول الله ﷺ وخرج المسلمون لمبايعة خليفة رسول الله ﷺ واجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة وقف جمع من الانصار يخطبون

---

(١) **البخاري** باب جمع القرآن .

ويجمعون البيعة لواحد منهم وقال الخطباء. رجل منا ، ورجل منكم يقصدون رجلاً مهاجراً مرة وأنصارياً مرة أخرى اميراً وخليفة للمسلمين .

بينما كان أبو بكر وعمر بن الخطاب من الوقوف أمام هذا الحشد الهائل التي يشير خطباؤه الى ابي بكر وعمر بالبنان : رجل منا ، ورجل منكم واستقر بطلنا المؤمن حرج الموقف ودخول الفتنة برأسها في شأن المسلمين فوقف خطيباً انصارياً ممن خطبوا في هذا المهرجان وقال :

« يا ايها الناس : ان رسول الله كان من المهاجرين ونحن أنصاره . وإنما يكون الامام من المهاجرين ونحن انصاره » .

تأثر ابو بكر من هذه الكلمات ويقف يرد تحية المؤمنين وحكيمهم زيد ابن ثابت الانصاري رضي الله عنه . .

قال ابو بكر : جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار ، وثبت قائلكم لو قلتم غير هذا ما صالحناكم » .

وامتدت الأيادي تصافح ابو بكر الصديق خليفة رسول الله وتعاهد على السمع والطاعة في المنشط والمكره. وعلى الا نشرك بالله شيئاً . . رحم الله زيد بن ثابت من الرجال الذين صدقوا في عهدهم « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» .

---

(١) سير اعلام النبلاء ص ٤٣٣ جـ ٢ .

تواضع العلماء

ما عاش عالم في أمة تقدر العلم حق قدره إلا وكان له شأناً عظيماً بين قومه واصحابه ولقد كان زيد بن ثابت الانصاري من علماء الصحابة في المدينة في حياة رسول الله ﷺ وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لذلك قدَّروه اصحابه من المسلمين حق قدره . وأجَلُّوه ، وجعلوه إماماً في كثير من القضايا . .

ومما يذكر في سيرته العطرة ما حدث بينه وبين احد علماء وفقهاءالمدينة المرموقين ابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس فقد رأى زيد بن ثابت قد هم بركوب ناقته ، فيقف امامه ويمسك له بركاب الناقة ، ويأخذ بزمامها . .

فيقول له زيد بن ثابت : خل عنك يا ابن عباس . .

فقال ابن عباس : هكذا أُمرنا ان نفعل بعلمائنا يا زيد فأمسك زيد بن ثابت بيد عبد الله بن عباس وقبّلها وقال له باسماً شاكراً :

هكذا امرنا ان نفعل بآل بيت نبينا محمد ﷺ . .

هكذا يكون تواضع علماء وخُلق واحد من انصار رسول الله ﷺ انه افرض امة المسلمين ، واكثرهم ارتباطاً بالقرآن فكيف بنا بأخلاقه وتواضعه . . اننا بحاجة الى خلق القرآن ومن حملوه في صدورهم أمانة فأخذناه من صدورهم الى قلوبنا . .

اخذنا من زيد بن ثابت الانصاري . . لذلك قال عمر عنه ذات مرة : ايها الناس من اراد أن يسأل عن القرآن فليأت زيد بن ثابت الانصاري . .

مجاهد منذ الصغر

أولاً ـ من يوم بدر :

خرج مع اقرانه الفتيان الذين دخلوا لتوهم في مطلع سن الفتى . . خرجوا يوم بدر للجهاد وتقدموا من رسول الله ﷺ هو واقرانه لكن الرسول ﷺ ردهم لصغر سنهم وجسمهم .

ثانياً ـ في يوم أحد :

كرر الفتيان طلبهم يوم أُحد، وكاد الرسول ﷺ ان يرفض اشراكهم في العمل فتقدم احد الفتيان ، وهو رافع بن خديج وامسك بحربته وبدأ يحركها ويقول للرسول ﷺ : « اني كما ترى يا رسول الله ، اجيد الرمي فاذن لي » .

عند ذلك اذن الرسول لرافع بن خديج ، وما هي إلا لحظات حتى اندفع فتى آخر هو « سمرة بن جندب » وراح يستعرض عضلاته امام رسول الله . انني استطيع ان اصرع رافعاً يا رسول الله ، عندئذ ابتسم الرسول وسمح لرافع بن خديج » وكان عمره خمسة عشر عاماً كما سمح لسمرة ايضاً . . ورد زيد بن ثابت لصغره ومعه عبد الله بن عمر . .

ثالثاً ـ في يوم الخندق :

في العام الخامس الهجري . . اجتمعت قريش والاحزاب كلهم ضد رسول الله وجاؤوا لحصار المدينة ولكن الله نصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، بدأ المسلمون حفر الخندق ليمنع الكفار من دخول مدينتهم وشارك الرسول ﷺ اصحابه في حفر الخندق ، وكان لزيد شرف المشاركة في هذا

اليوم فراح يحمل التراب غادياً رائحاً في همة المؤمنين ونشاط الراغبين في نصر دين الله . . وحسبي ان نظرات رسول الله تتبع زيداً وهو يحمل من اقرانه تراب الخندق وينام في هذا اليوم من شدة التعب حتى يسقط منه رمحه . . وحُفِرَ الخندق وانتصر الحق وزهقت روح الباطل . . ان الباطل كان زهوقاً . .

رابعاً ـ في يوم اليمامة :

بعد وفاة رسول الله ﷺ أرتدَّ المنافقون وذوُو النفوس الضعيفة عن دينهم وبدا وكأن الأمر قد انتهى بالنسبة للاسلام والمسلمين ولكن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، هكذا قالها مروية صحابي جليل يوم وفاة الرسول ﷺ وأكمل بالآية الكريمة : ﴿ وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل﴾ .

وفي اليمامة ظهر « مسيلمة الكذاب» يدعي النبوة ، ويفتن الناس في دينهم ويخرج جيوش الاسلام لتؤدب المرتدين وتضرب رؤوس ادعياء النبوة وكان يوم اليمامة هو اليوم الذي حصل فيه بطلنا زيد بن ثابت الأنصاري على وسام عظيم . . لقد اصيب يومها بسهم ، ولكن الله نجاه من كيد المرتدين ،وقتل في هذا اليوم عدد من حفاظ القرآن وقرائه مما جعل عمر يهرع الى خليفة رسول الله ابي بكر الصديق فيكلف زيد بن ثابت بجمع القرآن فيقول زيد بن ثابت موضحاً حجم هذه المهمة :

« والله لو كلفوني نَقْلَ جَبَل من مكانه ، لكان اهون عليَّ مما امروني به من جمع القرآن » .

خامساً ـ في يوم اليرموك :

كان في هذا اليوم مقاتلاً شجاعاً ، وقاضياً حصيفاً ،وحكماً اميناً ، كُلِفَ

بتقسيم الغنائم الكثيرة والمتنوعة بعد أن انتصر المسلمون في هذا اليوم المبارك ، فأدى الامانة ، واقام العدل بين المسلمين . . رحم الله زيداً فقد كان قاضياً ، أميناً وكاتباً للوحي كريماً حفيظ على ما أؤتمن عليه . . كتبت يده الكريمة وحفظ قلبه آيات كتابه الكريم . .

وداعاً بطل القرآن ، كاتبه وجامعه

وها نحن الآن نودع زيد ونحن نستحضر في نفوسنا كلمات الرسول عن زيد بن ثابت فقد قال يوماً للبراء رضي الله عنه :

« ادع لي زيداً بالكتف والدواة ليكتب » .

وجاء زيد وكتب الوحي ، وكتب ما أملاه عليه رسول الله ﷺ وها نحن نودع زيداً ونحن نتذكر يوم شجاره مع احد الرجال فقيل له عندما ذاع خبر الشجار : اتصنع هذا برجل لو مات الليلة ما دَرَيْتَ ميراثك من ابيك . .

وها نحن نودع زيد بن ثابت واحدهم يقول عنه :

« الناس على قراءة زيد ، وعلى فرض زيد » .

ونحن نودع زيد بن ثابت نتذكر قول الشعبي : القضاة اربعة : عمر وعلي وزيد ، وابن مسعود . .

ونتذكر قول ابن عباس : لقد علم الحافظون من اصحاب محمد ﷺ ان زيد بن ثابت من الراسخين في العلم . .

كثيراً ما استخلفه عمر بن الخطاب في المدينة لحكمته ، وعلمه الراسخ وكان نعم ما استخلف عمر بعده على المدينة .

كان زيد بن ثابت محدثاً كبيراً عن رسول الله : حدث عنه كثير منهم ، ابو هريرة وابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد الخدري ، وانس بنماللك ، وسعيد بن المسيب رضوان الله عليهم . .

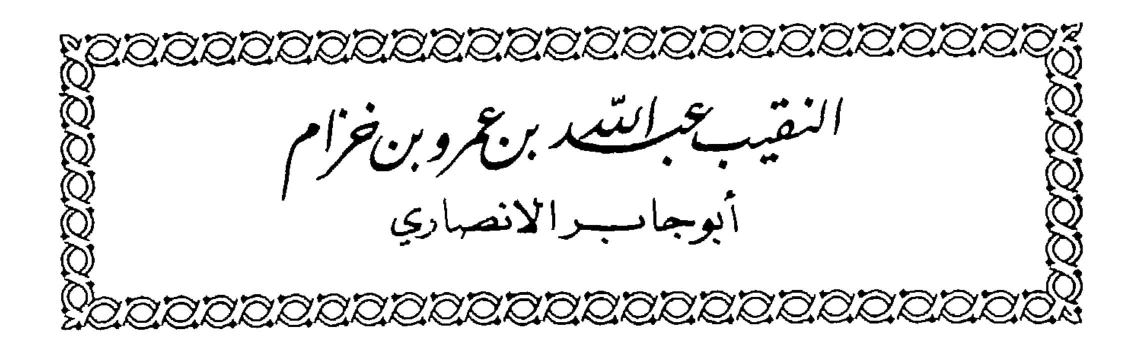
والآن نتذكر قول حسان بن ثابت وهو يرثيه يوم وفاته :

فمن للقوافي بعد حسّان وابنه ومن للمقافي بعد زيد بن ثابت

رحم الله زيد فقد مات سنة خمس واربعين من الهجرة وعمره ست وخمسون سنة .

وداعاً بطل القرآن ، كاتبه وجامعه . .

■ ■ ■



قال تعالى عز وجل :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] .

انه لشرف عظيم لنقيب الانصار عبد الله بن عمرو بن حزام أن تنزل هذه الآيات فيه وقد كان من أبطال أحد المعروفين . .

انه لشرف عظيم ان يكون بطلنا . . نقيب الخزرج . . مبايعاً لرسول الله ﷺ ليلة العقبة . . على السمع والطاعة ، في المنشط والمكره، في الحرب والسلم . .

اننا في رحاب احد البدريين ، يوم ظن الكفار ان النصر قادم لا محالة فزاد بطلنا ابو جابر عن الاسلام عند بئر بدر احسن ما يزود مسلم عن دينه وارتفع سيفه ليسكت صوت الباطل وليعلي صوت الحق في الدنيا منادياً بالتوحيد ، وباتباع محمد بن عبد الله ﷺ . .

انه واحد منهم . . من انصار رسول الله . . الذي طالما دعا لهم يقول : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الانصار ، ولابناء ابناء الأنصار لقد آووه ،

---

(١) الآية ١٦٩ ، ١٧٠ من سورة آل عمران .

ونصروه ، ووقفوا إلى جواره في ظلمة الليل .

ضربوا على يده . . فكانت بيعة الزمان . . شرفت تاريخهم العظيم . . تاريخ انصار رسول الله ﷺ . .

بطاقة تعريف

نسبه

عبد الله بن عمرو بن خزام بن ثعلبة بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج . .

يعرفه اصحابه : بأبي جابر . .
نقيب من نقباء الخزرج التسعة يوم بيعة العقبة الثانية[1] .
وواحد من الاثني عشر نقيباً في هذا اليوم المشهود . .
شهد بدراً وسنرى سيرته يوم بدر .
وشهد أُحُداً وكان يومه . . يوم لقائه بربه . .

والآن عودة إلى مشارف مكة . . لنرى مشهداً من مشاهد البيعة . . حيث يجلس امام الرسول في ما جلس من القوم بطلنا ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام امسك احد نقباء الخزرج . . البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ عندما طلب منهم البيعة : امسك بيده يقول : نعم والذي بعثك بالحق نبياً لتمنعنك مما نمنع منه آزرنا ، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله ابناء حروب ، واهل الحلقة (السلاح كله) ورثناها كابراً عن كابر . .

---

(١) سير اعلام النبلاء ترجمة رقم ٦٧ ص ٣١٤ ، ٣٢٠ مجلد ١ .

نعم يا رسول الله (والحديث هنا لأبي الهيثم بن التيهان) مقاطعاً البراء . .

« ان بيننا وبين الرجال وإنا لقاطعوها (يقصد اليهود) فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتذعنا »[٢] .

واشرق وجه الحبيب رسول الله ﷺ قائلاً :

بل الدم الدم ، والهدم الهدم . . انا منكم وانتم مني ، أحارب ما حاربتم ، واسالم من سالمتم .

نعم يا رسول الله : انت منا ونحن منك . .

وصافح عبد الله بن عمرو بن خزام (ابو جابر) رسول الله وصوت الكلمات الشريفة يتردد في آذانه : انا منكم وانتم مني ، احارب ما حاربتم واسالم من سالمتم . .

واصطف القوم لمصافحة رسول الله على البيعة وتسلل القوم في جنح الظلام عائدين الى المدينة المنورة وجاء معهم مصعب بن عمير ومكث يعلمهم القرآن . . ثم جاء اليوم العظيم يوم وصول رسول الله ﷺ وتشرفت ارض المدينة بخطى الناقة المباركة يتهافت عليها الناس فيقول عليه السلام : اتركوها فإنها مأمورة . .

ويبني الناس مسجد الرسول في المدينة بينما هو ضيف على ابي أيوب الأنصاري . وبنى المسلمون بيت رسول الله حجرات حول المسجد وملاصقة له . . وبدأ دور عبد الله بن عمرو بن حرام .

آخى الرسول بين كل المهاجرين والانصار الجميع اخوة . . وأبو جابر

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٩٠ .

واحدٌ من هؤلاء الذين فتحوا بيوتهم ووضعوا أرواحهم فداء لدينهم الحنيف ورسوله الكريم ﷺ . .

ومر عام وأراد الله سبحانه أن ينصر عبده وينصر جنده اراد ان ينصره إذ اخرجه الذين كفروا من مكة . . ثاني اثنين يقول لأبي بكر : لا تحزن ان الله معنا . . أراد أن يغلب به فئة كثيرة وهو واصحابه مستضعفين في الأرض . . فقراء في الدنيا ، اغنياء عند ربهم . . رحماء بينهم . .

وجاء يوم بدر ودارت رحاها بين ثلاثمائة مقاتل مسلم من المهاجرين والانصار وبين سبعمائة كافر مسلحين بأفضل أسلحة عصرهم . . وكان النصر جليف الفئة القليلة وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله . . سبحانه عز وجل كان أبو جابر رضي الله عنه بطلاً في هذا اليوم ، بدرياً بمعنى الكلمة ولكن سيشهد له يوم أحد وسيكون تاريخه الساطع . . إذن هيا الى أُحد لنرى أبا جابر . .

يوم أُحد

عندما دعا داعي الحرب يوم أُحد جلس عبد الله بن عمرو بن حرام يتحدث الى ابنه جابر حديثاً غريباً فقال : «يا جابر! إني لا أراني مقتولاً في هذه الغزوة بل لعلي سأكون أول شهدائها من المسلمين . . واني والله ، لا أدع أحداً بعدي احب الي منك بعد رسول الله ﷺ . . وإني على دنيا ، فاقض عني ديني ، واستوص ببناتي خيراً »[1] . .

في هذا اليوم إجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ . وخرجت قريش

---

(١) الطبقات لابن سعد ، وسير اعلام النبلاء من ترجمة عبد الله بن عمرو وسبق ذكر رقمها .

بفتيانها وفرسانها ومن اجتمع من العرب وانضم إليهم من غيرهم . .

واقبلت قريش بجموعهـا وخُيلائهـا ودنت جموعهم بـالقرب من المسلمين فلما علم بذلك رسول الله فقال عليه السلام للمسلمين : «إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً لي تذبح ورأيت في حد سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة . .

اما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في زباب سيفي (حد سيفي) فهو رجل من أهل بيتي يقتل »[1] .

هتف المسلمون جميعاً يقولون : يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا ، لا يردن أنا جبنا عنهم وضعفنا ، عندئذ لبس النبي ﷺ درعه وخرج للناس فقال الناس له : يا رسول الله ان شئت فاقعد فقال عليه السلام :

« ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته (درعه) أن يضعها حتى يقاتل » فخرج عليه السلام في الف رجل من اصحابه بينهم البطل عبد الله بن عمرو بن حرام ، وجمع غفير من الانصار شهدت لهم أُحد واستشهدوا فيها ودارت المعركة وأبلى انصار الرسول بـلاءً حسناً ولنرى ما حدث مع بطلنا في هذا اليوم المشهود .

دارت معركة عظيمة بعد ان نظم الرسول ﷺ حسب خطة محكمة كانت تدور حول النقاط التالية :

١ ـ خمسون رجلاً عليهم أميراً يلبس ثيابـاً بيضاء هو عبد الله بن جبير وموقعهم فوق الجبل ومهمتهم كرماة مهرة ان يدفعوا الخيل بالنبال ويحموا ظهر المسلمين ولا يأتيهِمُ الرماة من الخلف .

---

(١) سيرة ابن هشام غزوة أُحد .

وقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن جبير :

« ولا يأتونا من خلفنا ، وإن كانت لنا أو علينا فأثبت علينا لا نؤتين من قبلك » .

ودفع رسول الله اللواء لمصعب بن عمير ، وكان عدد المسلمين في هذا اليوم سبعمائة رجل . . وبدأت المعركة حرباً طاحنة كان لواء النصر فيها في البداية للرسول وللمسلمين . . وتكاثرت الغنائم واحس المسلمون ان الموقف قد تغير واصبحوا منتصرين لا محالة ، وكان الخطأ الأكبر من الرماة ترك الرماة موقعهم على الجبل وانهمكوا في الغنائم ، وانقلبت دفة المعركة حينما دارت مجموعة من الفرسان من المشركين وركبت الجبل وبدأت تضرب ظهور المسلمين وقُتِلَ حمزة عم الرسول ﷺ وصدقت رؤ ياه واحداً من آل بيته قتل واصيب عليه السلام في وجهه . . فقد رعاه عُتبة بن ابي وقاص فأصابه في فكه (فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ورماه عبد الله بن شهاب الزهري فشجه في جبهته) .

ووقع عليه السلام في حفرة التي حفرها الكفار ، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً عليه السلام . . فنزف وجهه الشريف بالدم . وقال عليه السلام عندما حاصره الكفار : « من رجل يشتري لنا نفسه ؟ فقام زياد ابن السكن في نفر من الانصار وعدوهم خمسة . . فقاتلوا دون رسول الله ـ دفاعاً عنه يقتل الواحد فيأتي الآخر حتى كان آخرهم حتى انهكته الرماح والنبال فسقط من شدة جراحه ثم جاءت جماعة من أبطال المسلمين ، فأبعدوا الكفار عن رسول الله وغلبوهم ، ومات الأنصاري وحده على قدم رسول الله . . اللهم ارحم الأنصار . . اللهم اغفر للانصار . .

اين بطلنا في هذه الزمام وصليل السيوف وصهيل الخيل . .

وصيحات الرجل وصوت رسول الله يسمعه المسلمون يناول سعد بن أبي وقاص النبل ويقول : ارم فداك ابي وامي ، ارم يا سعد فداك أبي وأمي . .

في وسط هذا الجمع الهائل انطلق ابو جابر يقاتل قتال الابطال يضرب بسيفه يميناً ويساراً . . وذهب في وسط الجموع يثير غباراً يئن منه الرجال وتسمع صيحات خلف الغبار . . انه سيف عبد الله ، ورمح أبي جابر . . وانقشع الغمام والغبار . . وبدأ المسلمون يبحثون عن قتلاهم وبينما كان « جابر » ابنه ينظر في جثث القتلى والشهداء ، وجده بين الشهداء وقد اسلم الروح ، ولكن ما أبكاه هو ان الكفار قد مثلوا بجسده . . وبكى جابر . . وبكى . . وحوله اهله يبكون بحرارة . . ومر بجواره رسول الله ﷺ فقال :

« ابكوهُ أو لا تبكُوه ، فإن الملائكة لتظله بأجنحتها » .

نعم لقد علم رسول الله ما حدث لأبي جابر ، جنة عرضها السموات والأرض ينعم فيها عبد الله بن عمرو بن حرام . . ولما جاءه جابر بن عبد الله ذات يوم قال الرسول ﷺ : يا جابر !

ما كَلَّمَ الله أحداً قط الا من وراء حجاب ولقد كلم اباك كفاحاً (اي في مواجهة) . . !! قال جابر : كيف يا رسول الله ؟ .

قال له ربه : عبدي ، سلني أُعطك .

فقال : يا رب اسألك ان تردني إلى الدنيا ، لأُقتل في سبيلك ثانية .

قال له ربه :

إنه قد سبق القول مني : انهم اليها لا يرجعون .

قال : يا رب ، فأَبلغ من ورائي بما اعطيتنا من نعمة .

ونزل قول الله عز وجل :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً ، بل احياءٌ عند ربهم

يرزقون ، فرحين بما آتاهم من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . . ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

وداعاً أبـا جابر . . نعرفك في الجنة ، نحسبك قد رزقت الجنة . .

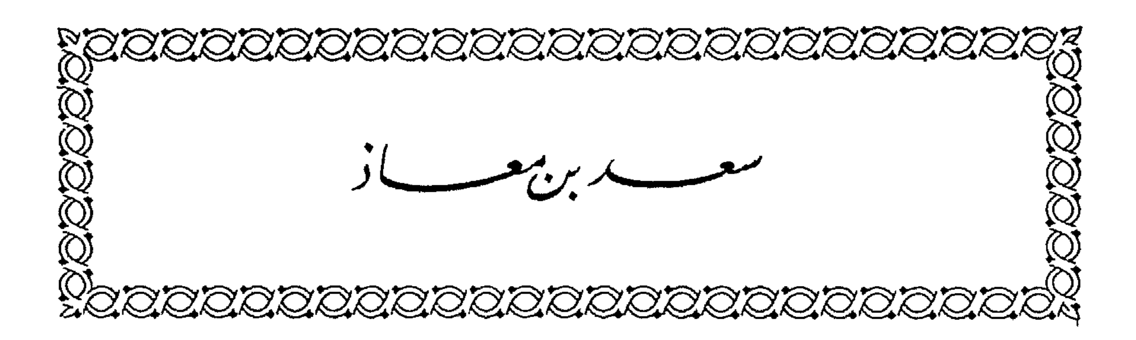
بشراك أبـا جابر . . لا حزن على قتلك بعد اليوم . . لا خوف على دينك بعد اليوم . .

لقد (ملأ الدنيـا) . . بفضـل سيفك وجهـاد اخوانـك من الانصار والمهاجرين وبارادة الله عز وجل . .

ودفن ابو جابر في مصرعه ، في ارض أُحد مع الشهداء . . هنيئاً لكم بما اسلفتم في الأيام الخالية . .

وداعاً لنقيب من نقباء الأنصار .

■ ■ ■



المولد والنشأة . .

في قول معاذ بن النعمان الكائن في المدينة المنورة والذي يتوسط منازل بني عبد الأشهل قومه . . وقبيلته الأوس .

في هذا المنزل ولدت « كبشة بنت رافع » وليدها الطيب . .

وأقبل « معاذ » يسمي ابنه . . يتمنى له في اسمه . . ككل أب يحلم بالسعادة لأبنائه . . اختار اسماً بهذا المعنى . . سماه « سعداً » نعم سعد بن معاذ . . وفرحت الأوس كلها بمقدم سعد بن معاذ بن النعمان لم يكن في ظنهم أنه ذات يوم سيدهم . . بل وشهادة تاريخ لابن من أبنائهم كان له دوراً في أشرف وأنبل دعوة وجدت على وجه الأرض . .

شبّ الفتى على كرم قومه . . وشجاعة العرب . . وإقدام الفارس المغوار وأباء ما بعده أباء . . الخلق الحسن منشأه الذي نشأ عليه . . بياض وجهه . كنصاعة مستقبله الزاهر .

اقترابه جعله فارس مغوار . . كلمته محسوبة على العدو والصدق نشأ شجاعاً . . أبياً . . فأصبح في مقدمة صفوف بني عبد الأشهل بل وفي طليعة فرسان الأوس . . قلبه متفتح . . وكلمته نافذة . .

نما سعد وترعرع . . وأخذ دوراً بين رجال الأوس في المدينة . . حتى أصبح مطاعاً . . طاعة السادة والأئمة . .

جعلته الأوس سيدها . . وشيخها . . ونعم السيد والشيخ سعد بن معاذ . . وهنيئاً للأنصار بابن الأوس . .

الزواج المبارك

كيف يكون زواج السيد ؟. سيد الأوس . . إنه زفاف الأشراف . . أصبح الفتى « سعد » شاباً فارعاً . . قوياً . . فيه فتوة الفرسان وبهاء الشباب . . وطلعة الشروق بوجهه الحسن . .

وهند بنت سماك بن عُتيك . . تتمنى في سعد زوجاً . . ولقد جهلت أنها ستكون غداً أسعد سيدة تتزوج في المدينة ، بما جاءت به الأيام والأحداث من شرف وعظمة للزوج المرتقب سعد بن معاذ . . سيد الأوس .

بارك الله هذا الزواج . . وبورك من بني عبد الأشهل وسَعُدَ معاذ بن النعمان والده وأمه كبشة بنت رافع . . وقرت عيناهما بالفتى . .

وتم الزواج المبارك في المدينة . . وتبارى الفرسان في الحفل . .

وتزاحمت الأوس كلها لزفاف السيد الشاب . . القوي المغوار .

ومضت السنون . . وينجب البيت الكريم فتاه الأول عمرو بن سعد . . وعبد الله بن سعد . . فتسعد الأسرة . . ويغبط السيد بالفتية الصغار . . وتبدأ العيون تتطلع والأفئدة تستعدّ لما يجيء به القدر . . لهذا البيت . . نعم ما جاءت به الأقدار من هناك من الجنوب . . من مكة . . حيث الدعوة في مهدها . . وسعد بن معاذ في أوج قوته وأسعد أيامه فتوة . . وفروسية . .

ماذا عن هذا الزائر الغريب من مكة ؟ ما اسمه ؟ مصعب بن عمير . . ولما جاء ؟ . . وفيم يقرأ هيا لنرسل له ابن الخالة أسعد بن زرارة ليرى الحدث . . ونسعد بالأحاديث والتراتيل الشريفة .

إســلامـه

جاء سعد إلى قومه .

ثم قال سعد : يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون رأيي فيكم ؟

قالوا : سيدنا ، وأشرفنا ، وأوصلنا ، وأفضلنا رأياً وأفضلنا نفساً وسريرةً . . وتواضعاً . .

قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرامٌ حتى تُسلِمُوا ! !

سمع بنو عبد الأشهل هذا الكلاَم من سيدهم . . وساد الصمت بُرهة قليلة ثم أقبلوا جميعاً على الإسلام . . وأسلموا جميعاً .

وكان من أكثر الناس بركة على الإسلام ودخل الزائر بيته القادم من مثله وأصبح مقراً للدعوة في المدينة . . إنه دار سيد الأوس . .

ولكن . . .

من الرجل القادم ؟ من هذا الزائر المكي ؟ وكيف أسلم بعد ؟ ومتى كانت البداية ؟ لقد كانت البداية عندما سمع « سعد بن معاذ » ذات يوم أن رجلاً يسمى « مصعب بن عمير » قد جاء من مكة يدعو إلى دين جديد . . بينما يجلس معه ابن خالته « أسعد بن زرارة » .

نعم لقد جاء مصعب زائراً وسفيراً من رسول الله الى يثرب ليدعو الى هذا الدين ويعلم الناس القرآن . .

غضب سعد في البداية . . وأرسل صديقه وخليفه « أسيد بن حضير » ليستطلع الأمر حيث جلسا مصعب ، وابن زرارة في بستان من بساتين بني عبد الأشهل . . بل وليطردهما إن أمكن ذلك من هناك . .

لم يعد « أسيد بن حضير » وطال انتظار سعد ساعات وساعات . . ترى ما الذي حدث!! لقد انشرح قلب « أسيد » لما سمع القرآن . . ولم يعد يذكر موعداً بالعودة الى صاحبه سعد . . تلك هي كلمات الحق كالنور تقذف في القلوب فتنيرها . . ولقد أنار الله قلب « أسيد بن حضير » ولم يعد إلى « سعد بن معاذ » !! عندئذ أصاب الرجل القلق فذهب الى بستان القرآن . . وهش في وجهه مصعب بن عمير ، وأسيد ، وأسعد فأشاح بوجهه عن صاحبه « أسيد بن حضير » وعبس في وجه « مصعب » وتوجه بالحديث الى ابن خالته أسعد بن زرارة . . ظناً منه أنه قد خانه في ديارهم باستضافة رجل غريب . . فقال له :

« يا أبا أُمامة : أَتَغشانَا في دارنا بما نكرَهُ ؟ .

أما والله لولا ما بيننا من القرابةِ ، ما رُمتُ هذا مني » .

فتبسم له مصعب وقال له : اجلس أيها الرجل . . وما كاد يسمع سيد الأوس وبنو عبد الأشهل هذا الكلام الطيب والآيات المباركة ، حتىٰ شرح الله قلبه . . وقذف بنوره في قلبه . . فانتفض واقفاً يريد الطهارة . . فتطهر . . وجاء إلى « مصعب » يقول : أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . .

وتعلم القرآن . . وصلى ركعات مع مصعب . . ثم عاد الى قوم يقول : إن كلام رجالكم ونسائِكم عليّ حرامٌ حتى تسلموا . فأسلم بنو عبد الأشهل . .

ودُعي الضيف إلى الدار . . ودخل « مصعب بن عمير » دار سعد التي أصبحت سفارة رسول الله في يثرب (المدينة المنورة) وبوركت الدار . . وتباركت المدينة . . بما يخرج من نسيم من دار سيد الأوس . . وأحد أبطال الاسلام .

مرحباً أخا الإسلام
مرحباً أمين الأمة في داري . .

أنشدت بنات الأنصار . . نشيد الهجرة : لتستقبل سيد البشر القادم من الجنوب من مكة المكرمة . .

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع . .
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع . .

هرول سيد الأوس . . وأحد المبايعين . . بل ونقيبهم الذي بايع الرسول منذ فترة قصيرة هناك عند منطقة العقبة . . نعم لقد رضي الله عنه منذ أن أسلم وبايع محمد ﷺ كنقيب من النقباء الاثني عشر من بيعة العقبة متزعماً سبعين رجلاً وامرأتين . .

هرول الصحابي يستقبل صاحبه . . وعلى أبواب المدينة ازدحم الموكب حول الناقة وأنار رسول الله بموكبه شوارع المدينة .

حتى بركت عند دار أبي أيوب الأنصاري . . في أرض بني النجار . . وجلس الرجال حول خير البشر . . وبدأ ينظم شؤون المسلمين . . فالضيوف القادمون يريدون الاستقرار بعد أن هاجروا من ديارهم . . وتركوا أموالهم وأهلهم من أجل صاحبهم ودعوته . . انهم المهاجرون . . وآخى

الرسول بينهم . . ويشاء العلي القدير أن يتأخى أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح . . المهاجر الأواب . . مع سيد الأوس وأول المبايعين . . سعد بن معاذ . .

مرحباً أمين الأمة في دار سعد بن معاذ . .

مرحباً أخا الإسلام . . وآخى الرسول بينهما مهاجراً عظيماً هو أبو عبيدة ، عامر بن الجراح .

وأنصاري ومن هو سعد بن معاذ . . سيد الأوس وبني عبد الأشهل .

مستشار رسول الله في بدر

في غزوة بدر . . خرج الرجال لنصرة الحق . . ونصرة حليفهم رسول الله خرجوا وهم مستضعفون في الأرض . . وما النصر إلا من عند الله . .

وجلس الرسول في مجلس حربه ورجاله المدافعين عن الاسلام وتوجه الى الأنصار ورفع رأسه قائلاً :

« أيها الناس . . أشيروا علي »

ووقف السيد والنقيب يشير على رسول الله . . ويقدم له السمع والطاعة على المنشط والمكره .

قال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا معاشر الأنصار يا رسول الله !

فقال الرسول ﷺ : نعم .

فقال سعد : يا رسول الله لقد آمنّا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق ،

لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، انا لصُبرٌ في الحرب صُدقٌ في اللقاء لعل الله يريك ما تقربه عينك ، فسر بنا على بركة الله »[1] .

وسُرَّ رسول الله بكلمات سعد . . وقال على الفور : سيروا وابشروا ، فإن الله تعالى قد وعد في احدى الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم . .

وكان سعد هو البُشرى في هذه الغزوة . . فقد نصرهم الله ببدر . .

سعد مع الرسول في المدينة

كان صاحب الرسول سعد بن معاذ ما زال يذكر يوم بدر حينما امتعض لترك الأسرى دون حكم وقتل . .

قال له رسول الله : كأنك يا سعد تكره ما يصنع المسلمون بالأبقاء على الأسرى .

فقل : أجل يا رسول الله . . فالقتل هو جزاء أهل الشرك . ثم شهد مع رسول الله « أحداً » وثبت معه . . ولم يتركه أبداً . .

وعندما هم الكفار لضربه أرادوا فيها نهاية الدعوة والقضاء الكامل على رسول الله وأصحابه . . وبدأ في الأفق تحالف قريش مع القبائل ويهود المدينة فقد تحالفت قريش مع قبيلة غطفان ، وبنو قريظة في المدينة .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٢

ولما بدأ المسلمون الاعداد لحفر الخندق أرسل الرسول ﷺ **« سعد بن معاذ»** سيد الأوس ومع سعد بن عبادة سيد الخزرج . . الى اليهود «يهود بني قريظة » ليستطلعوا أمر تحالفهم ويذكرونهم بعهدهم لرسول الله **بأن لا يخونوا المسلمين .**

عند ذلك قال سادتهم للسيدان (ابن معاذ ، وابن عبادة) : « ما بيننا عهد ولا ميثاق » .

وأهانوهم في الرد والقول . . فعاد الرجلان والغيظ يملأ قلوبهم من خيانة هؤلاء القوم . . ولقد وضح أمر تآمرهم على المسلمين وهم بداخل المدينة وفي ظهر المسلمين . . عندئذ أرسل الرسول ﷺ رسولاً لهم ليحصلوا على ثلث ثمار المدينة مقابل أن يبقوا على عهدهم وألا يقاتلوا المسلمين . . ووافقه زُعماؤُهم: « عُيينة بن حصين » ، « والحارث بن عوف » قادة غطفان . . وقبل أن يوقع الرسول الاتفاق ، استشار سعد بن معاذ زعيم الأوس وسعد بن عبادة زعيم الخزرج فقالَ الرجلان :

يا رسول الله ، أمر تحبه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله به ؟ إذا كان كذلك : فلا بد من الطاعة ، والعمل به . . أم هذا شيء تصنعه لنا ؟ وتفعله من أجلنا . .

فأجاب عليه السلام :

« بل شيء ، أصنعه لكم : والله ما أصنع ذلك الا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة (أي اجتمعت كلها ضدكم) » .

فأجاب سعد في حزم :

يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء والقوم على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة إلا قرى (أي ضيافة) أو بيعاً . .

فحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ! ! والله ما لنا بهذا حاجة .

والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . .

فقال الرسول ﷺ : « فأنت وذاك ، أي أنت والسيف » .

ولقد صور القرآن الكريم حالة الكرب التي كان عليها المسلمون في هذه اللحظات إذ يقول عز وجل :

﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذْ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك أبتُلِيَ المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾

صدق الله العظيم . .

وخرج سعد مقاتلاً حاملاً درعه وفي يده سيفه وهو يقول :

لَبِّثْ قليـلاً يشهد الهيجـاء جَمَـل   لا بأس بالموت إذا حان الأجـل

ثم دارت مفاوضات حول الخندق أصيب فيها سعد بسهم رماه أحدهم . . فأصابه في ذراعه فنزف كثيراً . . وحمله المسلمون ليمرضوه في خيمة « رفيدة الأسلمية » وكانت قد وهبت نفسها لعلاج الجرحى من المسلمين وتطبيبهم . .

« اللهم يا منزل الكتاب ويا سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم » .

بهذا الدعاء كان يبدأ يوم المسلمين خلف الخندق بعد حفره وقد طال حصار الكفار للمدينة حتى بلغ شهراً . . وأصابهم الجوع والخوف والضعف والهزال . . وجدّوا في الدعاء كثيراً . . وجاءت ريح صفراء عاتية أتت عليهم ، تحمل غبارها ورمالها . . فمزقت خيامهم . . وأطارت نيرانهم . . فأطلقوا سيقانهم للريح وعادوا من حيث أتوا . .

وأتم الله النصر للمؤمنين وكانت نعمة من الله عز وجل سعد بها بطلنا سعد وبينما كانت رفيدة تضمد جراحه نزل قوله عز وجل :

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذا جاءتكم جُنُودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾(١) .

نعم لقد عادوا من حيث أتوا لأن الله عز وجل ردهم بغيظهم ولم ينالوا ما أرادوا بل سُلط عليهم جزاء ما أضمروا النوايا . . والله قادر على كل شيء . . لقد حمى الله عز وجل المسلمين من القتال . . وكفاهم شره . بأن سلط جنودهُ على الكفار حينما احتاج حال المسلمين لذلك فقد قال عز وجل :

﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾(٢) .

هكذا تم النصر للمؤمنين . . وهُزم الأحزاب . . وبقي دور هؤلاء الخونة في المدينة بني قريظة اللذين شاركوا في المؤامرة على الرسول وأصحابه من المهاجرين والأنصار فتوجه عليه الصلاة والسلام اليهم حيث حصونهم التي اعتقدوا أن مناعتها مـانعتهم من أيدي ابطال المسلمين وسار اليهم عليه السلام وحاصرهم برجاله ولكن ما دور سعد بن معاذ في ذلك .

مستشار رسول الله في بني قريظة

حاصر المسلمون بنو قريظة في حصنهم المنيع وطال الحصار أكثر من

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٦ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

نصف شهر ، طال عليهم الحصار ، أشرفوا على الهلاك ، تأكدوا دون ريب ولا شك أن النبي ﷺ لن يتركهم دون حساب . . لا بد من تصفية حسابه معهم . . جزاء خيانتهم وتآمرهم مع أئمة الكفر .

جلس القوم في حصنهم يتدارسون مع رئيسهم . . كعب بن أسد ، ماذا نفعل ؟ . . فقال رئيسهم : أمامكم ثلاثة حلول لا رجعة عن واحد منها وهي :

أ ـ أما الإيمان به كثير مرسل . . وجاء ذكر ما يماثل شريعته في التوراة .

ب ـ أو نقتل نساءنا وأطفالنا ولا نترك شيئاً نخشى عليه من المذلة ، وبذلك نقاتل حتى نموت أو ننتصر .

جـ ـ أما أن نهاجم محمد الليلة ليلة السبت لأنه يعلم أننا لن نحارب فيها فيأمن فنباغته وأصحابه . . لعلنا ننتصر . .

اعترض القوم على الثلاثة حلول حتى غضب عليهم الرجل وقال :
« ما بات رجُلٌ منكم منذ ولدته أمه حازماً »(١) .

وبعدها اشتد حصار المسلمين . . وأرسل الى الرسول ﷺ يرضون حكمه عليهم . . فخرجوا مصبحين . . وقام المسلمون فكتفوا الرجال منهم وأجلسوهم في مكان بعيد ، والنساء والصبيان في موضع آخر . . وجاء زعماء من « الأوس » يطالبون بحق اعتبروه ضرورياً لما أعطى الرسول مثله للخزرج في المدينة بقصد المساواة فقد وهب الرسول بني قنيقاع للخزرج حين نزلوا على حكمه . . لأنهم حلفاء لهم . . لذلك طالب الأوس بحقهم في حلفائهم بني قريظة .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٧ .

فقال عليه الصلاة والسلام : يا معشر الأوس ! « ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم » ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : فذاك إلى السعد بن مُعاذ .

فوافق القوم وبنو قريظة على ذلك . . على أمل أن يخفف عنهم سعد لأنهم حلفاء قبيلة قبل ظهور الاسلام . .

وجيء بسعد الجريح على حمارٍ يركبه . . مما أصابه من جرحه . .

فقال عليه السلام : « قوموا الى سيدكم » . . ففعلوا . .

فقالوا له : يا سعد . . قد ولاك رسول الله أمر مواليك لتحكم فيهم فتوجه اليهم (بني قريظة) سعد بالكلام وقال : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه .

قالوا : نعم .

قال : وعلى رسول الله ﷺ وأشار اليه . .

فقال عليه السلام : نعم .

فرفع وجهه وقال : أحكم أن يقتل الرجال المقاتلون وتقسم الأموال . . وتسبى النساء .

فقال عليه السلام : « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى »

ثم عاد الرسول الى المدينة ومعه بني قريظة في اليوم السابع من ذي الحجة سنة خمس هجرية وحبسهم في دار « رملة بنت الحارث من بني النجار » وهي دار الوفود في المدينة . . أو دار الضيافة . . ثم أمر عليه السلام بضرب أعناقهم . . وأسلم منهم اثنان فعفى عنهما .

ونزل قوله تعالى : ﴿ وانزل الذين ظاهروهم من أهـل الكتاب من

صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون ، وتأسرون فريقاً ، وأدرككم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها ، وكان الله على كل شيء قديراً ﴾[1] صدق الله العظيم .

.. وداعاً سعد بن معاذ ..

قضى سعد بما أمره الله عز وجل في بني قريظة .

وعاد لتكميل علاجه الا أنه مات في مسجد رسول الله .. وبكاه المسلمون .. فقد مات شهيداً .. كان عمره قد بلغ السابعة والثلاثين .

وخرج الرسول مودعاً سعد الى البقيع حيث دفن .

ثم قال عليه السلام: (ان الملائكة كانت تحمله عنكم) لما قال الناس ما أخف جنازته .

وبكته أمه تعوّل وتندب حظها .. فعلق عليه السلام قائلاً :

« كل باكية تكذب إلا أم سعد »

ثم ربت عليها مهدئاً : « ابنك أول من ضحك الله له .. وقد اهتز عرش الرحمن له » رحم الله أبا عمرواً .. زعيم الأنصار .. وأحد الإثني عشر المبايعين في العقبة .

رحم الله سعد بن معاذ .. حكم بما أمر الله .. ولم يخش في ذلك لومة لائم ..

رحمة واسعة .. وهنيئاً لك في موكب الصديق والشهداء .. الأبرار ..

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٦ ، ٢٧ .

أبو أيوب الأنصاري

قال تعالى عز وجل :

﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾[1] .

قرأ أبو أيوب الانصاري هذه الآيات ثم هتف قائلاً :

« لا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً » لم يترك غزوة إلا غزاها مع رسول الله . .

شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ يشهد له التاريخ الاسلامي بهذا بدءاً من غزوة بدر الى فتح القسطنطينية في عهد معاوية بن ابي سفيان .

كان رضوان الله عليه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله والرسول عليه . . في الحرب والسلم في المنشط والمكره . .

كان رضوان الله عليه :

أول المبايعين لرسول الله .

مضيافاً كريماً لرسول الله ولاصحابه . .

شجاعاً مقداماً لا يخشى في الحق لومة لائم .

---

(١) سورة التوبة الآية ٤١ .

**ولكن لنبحر في سيرته . . ونستنشق من روضته . . زهرة بعد زهرة . .
فان لكل زهرة من حديقته رائحة من روائح الايمان . .**

من هو أبو أيوب ؟

قال تعالى عز وجل :
﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسانٍ رضي الله عنهم ورضوا عنه، واعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾[١] .

كان من السابقين الأولين . .
كنيته أبو أيوب الانصاري البخاري
واسمه : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عون بن غنم بن مالك ابن النجار .

أمه : هند بنت سعيد بن عمرو معد بني الحارث ابن الخزرج .

بدأ لقاؤه برسول الله ﷺ عندما خرج من يثرب « المدينة المنورة » قاصداً هذا اللقاء . . يشارك اصحابه أنصار رسول الله ﷺ وفي جنح الليل وعلى مشارف مكة التقى أبو أيوب بحبيبه وصاحبه رسول الله ﷺ في بيعة العقبة . . بايعه على السمع والطاعة . . ونصرة الحق . .فكان خير ناصر له .

عاد بعد البيعة الى المدينة المنورة . . مسلماً مؤمناً . . يدعو إلى الحق ويستمع الى مصعب بن عمير في دار أسعد بن زرارة .

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

ولكن داره كان ينتظر حدثاً هاماً . . وضيفاً كريماً . . هذا الضيف جعل داره من أطهر واشرف البيوت في المدينة المنورة كلها . .

ترى من هو الضيف القادم ؟ . . من هو الضيف الذي شرَّف بيت أبي أيوب الأنصاري ؟. انه رسول الله ﷺ . . لقد اقترب الموعد . . موعد الهجرة .

الرسول في بيته

عندما خرج الرسول ﷺ من مكة مهاجراً الى المدينة ومعه صاحبه ابي بكر الصديق . . تلقته جموع الناس في المدينة . . بقلوب مملوءة بالحب . . والشوق للقاء الصاحب والحليف والرسول الامين . .

وكل منهم فتح بيته يريد أن ينال شرف استقبال محمد بن عبد الله . .

لقد طال الانتظار لأن الرسول مكث في « قباء » خارج المدينة أربعة أيام بنى في هذه الأيام الأربعة أول مسجد في الاسلام وهو مسجد قباء . . وخرج عليه السلام من قباء . . وكان المشهد على مشارف المدينة أصحابه يهرولون للسبق في لقائه عليه السلام . .

السادة والرعية في المدينة من الانصار يحيطون بالناقة وكل منهم يريد ان يستضيف صاحبها . . ويقولوا : اقم عندنا يا رسول الله انت ضيفي يا حبيب الله .

فيقول عليه السلام مشيراً الى الناقة : « دعوها فإنها مأمورة » .

فيعيد القوم دعوتهم : هلم الينا يا رسول الله الى العدد والعدة والمنعة . .

فيكرر عليه السلام : « خلوا سبيلها ، فانها مأمورة » .

فترك الناس الناقة وراحت ابصارهم وقلوبهم تتبع خطواتها المباركة . . وكلما مرت بدار من الدور اعترضها اصحابها . فهذا سعد بن عبادة يعترض الناقة ، ومعه المنذر بن عمرو . . امام ديارهم ـ ديار بني ساعدة ـ ليستضيفوا الرسول ولكن كرر الرسول : « دعوها فانها مأمورة » .

فدعوها وساروا حولها . . ترى اين المنزل المبارك ؟ .

وما هي الا لحظات حتى وصلت الناقة إلى ساحة توازي بيت أبي ايوب الأنصاري . . ودارت دورتها وبركت امام منزل ابي أيوب ثم نهضت . . ولم ينزل عنها رسول الله . . وعيون ابي ايوب تتابع المشهد بقلق المحب . . المتمني لهذا المنزل العظيم .

وفجأة التفتت الناقة خلفهما وعادت إلى مكانها مرة اخرى ثم بركت امام بيت ابي أيوب . . وهلل الرجل . . وسعد سعادة كبيرة بهذا المنزل . .

وساعد رسول الله ﷺ على النزول من على ناقته ورحب بصاحبه ابي بكر الصديق ، وحمل ابو أيوب الانصاري متاع رسول الله ﷺ . . ومضى بها الى داخل الدار . .

كان منزله رضي الله عنه مكون من طابقين . . فأخلى الطابق العلوي لرسول الله ﷺ لكن الرسول ﷺ فضل ان يبقى في الطابق الأول فنزل ابي ايوب على رغبة رسول الله ﷺ .

وقد صعب على الصحابي الكبير ان يكون هو وزوجته في الدور العلوي ولم يهدأ له بال ولا لزوجته في ليلتهما الأولى لضيافة الرسول إلا بعد أن أصبح الصبحُ . . وتوجه الرجل الى رسول الله ﷺ يقول له : يا رسول

الله . . ما رأيت النوم هذه الليلة . . لا أنا ولا زوجتي أم أيوب فقال عليه السلام : ومم ذاك يا أبا أيوب ؟ .

فقال رضي الله عنه : خشيت ان تزعجك حركتنا فوقك يا رسول الله . .

وخشيت أيضاً ان أكون بينك وبين الوحي . .

هون الرسول ﷺ على أبي أيوب وخفف من قلقه . . ولكن الرجل ظل على قلقه حتى وافق رسول الله على أن يبدل ذلك الوضع ، وصعد هو الى أعلى . . ونزل أبو أيوب وزوجته إلى أسفل . .

وعلى هذا الحال أقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب سبعة أشهر اتم خلالها المسلمون بناء مسجده صلوات الله وسلامه عليه في الأرض الخلاء المقابلة لبيت أبي أيوب . . ثم أقام المسلمون حجرات للرسول ﷺ ولازواجه وكان عليه السلام نعم الجار لأبي أيوب . .

واصبح عليه السلام أحب الناس الى قلب أبي أيوب الانصاري . . حتى صار وكأنه واحداً أقرب الناس الى بيت رسول الله . . زالت الكلفة بينهما .

وفي هذا المقام : نذكر قصة تدل على قرب أبي أيوب من الرسول ﷺ ومن قلب الرسول ﷺ . . فقد خرج ﷺ ذات يوم جائعاً . . يبحث عن الطعام فلقيه أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما . .

عندما التقى بهما عليه السلام بادرهما بالسؤال : ما أخرجكما هذه الساعة ؟ .

فأجاب عمر وابي بكر رضي الله عنهما : والله ما اخرجنا الا الجوع يا رسول الله ؟

فأجابهما عليه السلام : وانا ، والذي نفسي بيده ما أخرجني غير ذلك . .

عندئذ اختار الرسول ﷺ احب مكان إلى قلبه وهو بيت أبي أيوب وقال لهما : هيا الى بيت ابي ايوب الانصاري . . فلما وصلوا الى الدار وطرقوا بابه : خرجت لهم ام ايوب ورحبت وهللت برسول الله ﷺ وصاحبيه وهشت وبشت لهم . . وسمع أبو أيوب رضي الله عنه صوت زوجته ترحب برسول الله ﷺ فقام وجاء بالتمر والرطب ، والبسر .

وقال موجهاً حديثه للرسول ﷺ : يا رسول الله احببت ان تأكل من التمر والرطب والبسر ، ولأذبحن لك ان شاء الله . .

فأجابه الرسول : إذا ذبحت فلا تذبحن ذات لبن .

مع الرسول

وذبح أبو أيوب للرسول وصاحبيه ثم اعدت ام أيوب رضي الله عنها طعام الرسول . . وجاءت به أمام ضيوفهم .

وأكل الجميع وبعدها قال عليه السلام بعد ان حمد الله وشكره على نعمته قال عليه السلام : ـ

والذي نفسي بيده ان هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ، فاذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فيه فقولوا : بسم الله ، فاذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الذي هو اشبعنا وانعم علينا فأفضل .

ولهذه الضيافة جزاء خير من الرسول ﷺ . . فقد قدم لابي أيوب جارية

صغيرة كانت تخدمه في داره . . واوصاه بها خيراً فأعتقها أبو ايوب عندما كانت في داره .

اي رجل هذا ؟ واي كرم يوصف بما فعل أبو ايوب رضي الله عنه مع صاحبه لقد كان يرسل له عشاءه كل يوم ، بعد ان تعده وتتقنه ام أيوب ـ فاذا رد عليه السلام شيئاً من الطعام . . اقبل أبو أيوب يأكل وزوجته من مكان يده الكريمة . . ابتغاء البركة . .

وذات يوم أرسل أبو ايوب طعاماً لرسول الله فيه بصل وثوم ، فرده عليه السلام . . دون ان يمسَّه . .

فعرف أبو أيوب ان الرسول لم يأكل منه . . فذهب اليه متسائلاً خائفاً . . مما حدث . . فهو حريص على نيل شرف الضيافة .

فقال عليه السلام : اني وجدت فيه ريح هذه الشجرة (يقصد البصل والثوم) وانا رجل اناجي . . اي يوحي الي . . فأما انتم فكلوه . .

عندئذ عاد ابو أيوب وأكل هذا الطعام ولكن لم يصنعه مرة اخرى للرسول ﷺ .

مع اصحابه المهاجرين

شارك أبو أيوب المسلمين في كل عمل لصالح الاسلام في المدينة . .

فعندما جاء الرسول ﷺ الى المدينة آخى بين أبي أيوب الانصاري وسفيره مصعب بن عمير .

وقد كانت نعم المؤاخاة . . بين حبيب وحبيب . مصعب الخير هكذا كان يسميه اصحابه ، وبين أبي أيوب الذي قال عنه عليه السلام « لا يصيبك

السوء يا أبا أيوب» .

كان مصعب من السابقين المهاجرين في الاسلام . .

وكان من اغنى المسلمين في مكة . . وابتلى في ماله . . وضاع منه بسبب اسلامه . . فجاهد وصبر ، وهاجر للحبشة في الهجرة الأولى . وظل الاخوان في الله . . على أحسن ما تكون الأخوة حتى جاءت غزوة أُحد واعطى مصعب اللواء فاستشهد في احد . . رضوان الله عليه . .

وبكاه صاحبه أبو أيوب وتألم لفراقه لكن سيكون اللقاء في الجنة ان شاء الله . .

في جانب آخر تصدى ابو أيوب الانصاري للنفاق والمنافقين في المدينة . وأعلن عليهم الحرب في كل مجلس يجلسونه . . وذات يوم جلسوا (المنافقون) في المسجد يستهزئون ، ويسخرون ، عندئذ أمر الرسول ﷺ بطردهم فقام أبو أيوب رضي الله عنه . . ولطم واحداً وطرده .

وسحب الآخر من رجله سحباً إلى خارج المسجد والقاه خارجه . .

كان رضوان الله عليه راوياً من رواة الاحاديث الأوائل . . فقد روى عن الرسول ﷺ .

مع المسلمين في المدينة

مائة وخمسة وخمسين حديثاً . . جاء بعضها في صحيح البخاري ومسلم .

فقد روى رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قوله : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » .

وعلمه الرسول ﷺ الاستخارة في موضع الزواج . . بأن يتوضأ ثم يصلي ثم يحمد الله ويدعو دعاءَهُ المدون :

اللهم ، انك تقدر ولا أقدر

وتعلم ولا اعلم ، وانت علام الغيوب

فاذا رأيت لي في فلانة ـ خيراً في ديني

ودنياي وآخرتي فاقدرها لي

وإن كان غيرها خيراً لي منها فأمضي لي .

تلك من الأشياء التي قدمها أبو أيوب نصيحة للمسلمين سمعها من رسول الله ﷺ .

وظل على العهد مع صاحبه ما عاش في المدينة .

كان يعيش حياة مجاهد ولكنها كانت حياة هادئة ساكنـة سكون المؤمن ، فلم يشارك في فتنة بلسانه ، ولم يكن طامعاً في منصب أو جاه .

كان دائم الوداع للحياة ، شاهراً سيفة يصلي صلاة مودع ولا يتكلم بحديث ، يعتذر منه .

وكان عفوف النفس مما في أيدي الناس . .

كان حليف على حقد معاوية تحت مبدأ ان البيعة اخذت لعلي وقتل علي بن أبي طالب . . وفي عهد معاوية كثرت الفتوحات الاسلامية . . وكان من أشهرها فتح القسطنطينية . . فخرج أبو أيوب مقاتلاً . . ولنخرج لوداعه . .

وداعاً أبا ايوب

لما كان أبو أيوب الانصاري حبيب رسول الله . . أُجزل له العطاء حباً فيه وفي رسول الله ﷺ ومن ذلك نذكر قبل وداعه ان ابن عباس كان اميراً على البصرة . . في عهد علي بن ابي طالب ووفد عليه أبو أيوب، فبالغ ابن عباس في اكرامه وقال له : لاجزينك يا أبا ايوب على انزال النبي ﷺ عندك فأعطاه من كل شيء اربعين الفاً ، عشرين مملوكاً ، ومتاعاً كثيراً . . من فرش وغطاء . . أي متاع بيت كامل . .

شارك أبو أيوب في فتح القسطنطينية . . ومرض الرجل عند سور القسطنطينية وعند مرضه قال لأصحابه وقال : ايها الناس ، اذا قبضت فلتركب الخيل ، ثم سيروا حتى تلقوا العدو ، فيردوكم فاحفروا لي ، وادفنوني ، ثم سوُّوه .

فلتطأ الخيل والرجالُ عليه حتى لا يُعرف (اي لا يعرف مكان قبري) فاذا رجعتم ، فاخبروا الناس أن رسول الله ﷺ اخبرني ، « لا يدخل النار احدٌ يقول ، لا إله إلا الله » .

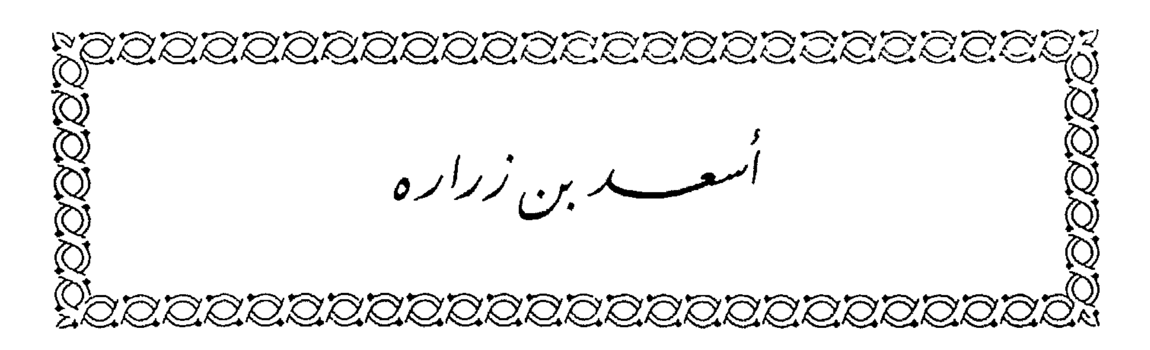
ومات أبو أيوب ودفن في القسطنطينية وتساءل الروم : يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن ، ماذا حدث عندكم ؟

فأجاب العرب : « مات رجل من اكابر اصحاب نبينا » .

رحم الله أبا أيوب : مات أبو أيوب سنة اثنتين وخمسين هجرية ، وصلى عليه ودفن بأحد حصون القسطنطينية[1] (استانبول حالياً) .

---

(١) الاستيعاب جـ ١ ص ٤٠٣ .



في البدء كلمة

قال تعالى :

﴿ الذين آمَنُوا وتطمئنُّ قُلُوبُهُم بذكرِ الله أَلَا بذكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ آلَّذِينَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ طوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَّآبٍ ﴾(١) .

أبو أمامة « أسعد بن زرارة » أول انصاري يدخل الإسلام .

وأول المبايعين للرسول ﷺ عندما نتحدث عنه يحضرنا قول الله عز وجل :

﴿ والسَّابِقُونَ السابقون ، أولئك المقربون ، في جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين ، على سررٍ مرضونةٍ ، متكئين عليها متقابلين ، يطون عليهم ولدان مخلدون ﴾(٢) صدق الله العظيم .

كانت داره الكريمة باستضافة سفير رسول الله ﷺ المهاجر الدائم مصعب بن عمير . . وأسلم في هذه الدار أشرف وأنبل رجال المسلمين . .

جاءه أسيد بن حضير واسلم وسعد بن معاذ ثم أسلم وسعد بن عبادة

---

(١) سورة الرعد الآية ٠

(٢) سورة التوبة الآية :

وكل أهل المدينة من الانصار مروا على هذه الدار الكريمة . .

لن نأخذ مقتطفات من هذه السيرة العطرة سيرة الزعيم الانصاري والسباق الى الاسلام « أسعد بن زرارة » .

بل سنبحر في سيرته العطرة وفي بستانه النضر . . لنراه مع رسول الله ﷺ . . وواحداً من رجال كتيبة الإسلام الأولى . .

والآن الى سيرته العطرة . .

في المدينة (يثرب)

كانت يثرب أو « المدينة المنورة » حالياً تعيش قبل هجرة الرسول إليها حالة حرب دائمةٍ بين طائفتين هما قبيلة الأوس ، وقبيلة الخزرج . . وكان اليهود طائفة أخرى في المدينة تلعب دوراً خطيراً في هذه المعارك فالأوس والخزرج اغلبية في العدد بالنسبة للقبائل القاطنة « الساكنة » في المدينة بينما يهود المدينة : بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قنيقاع قلة لا يتناسب عددها مع أعداد الاوس والخزرج الهائلة . لذلك لعب اليهود دوراً كبيراً في ضرب القبيلتين . . وجعلوا من انفسهم اغنى أغنياء المدينة (المال ـ التجارة والبساتين والابل والحصون المحصنة كلها لهم (أي لليهود) وحاربوا بالمال بجوار الفتنة واشعال نارها بينهم .

ولقد طالت الحروب بينهما (الأوس والخزرج) وسقط القتلى بأعداد كبيرة وقل الزرع والضرع والمال . . وافتقد الأوس والخزرج نعمة الأمن والأمان على انفسهم وعلى اعراضهم . . فكل يتربص بالآخر فهم على هذه الحال قوم لا أخلاق لهم . . فقد فشلوا في انهاء نزاع بينهم يأكل الابيض

والاسود . . ويقضي على النسل والزرع .

في هذه الأجواء عاش أسعد بن زرارة ينتظر الخلاص . . الخلاص مِمَنْ ؟ انه الخلاص من الجاهلية . . وأنصابها وازلامِها . . من عبادة الاصنام . . وكان ينتظر وينتظر مجيء اليوم . . الذي طال انتظاره .

وهمَّ لزيارة مكة . . وكان اللقاء عفوياً جميلاً . . لم يخطط له ولم يكن له مقدمات . .

نسبه :

هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجار . السيد نقيب بني النجار « يُكنى » أبو أمامة الأنصاري الخزرجي . من كبراء الصحابة[1] .

وأمه : المزيعة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبجر . خاله سعد بن معاذ . .

نشأ ابو أمامة الأنصاري في المدينة . . بين قومه حتى اصبح سيد قومه مسموعاً مطاع الكلمة . .

انجب ثلاث بنات هُنَّ : حبيبة ، وكبشة ، والمزيعة على اسم جدتها ام أسعد لم تنجب ذكوراً . .

جميع بناته الثلاث بايعن رسول الله وأسلمن . . وعشن في بيته ﷺ . .
هذه اسرة اسعد بن زرارة التي استقبلت سفير رسول الله في المدينة المنورة مصعب بن عُمير . .

---

(١) سير اعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٩٩ .

واستقبلت الرسول ﷺ مهاجراً عندما نزل المدينة . .
ترى ما قصة اسلام اسعد بن زرارة لنرى ذلك بجلاء . .

إسلامه

خرج « أسعد بن زرارة » الى مكة ومعه رجل يسمى « ذكوان بن عبد قيس » كانا متنافرين وأرادا أن يتحاكما في امر بينهما الى عُتبة بن ربيعة وبينما هم على مشارف مكة سمعا بخبر رسول الله ﷺ . . فجاءا اليه عليه السلام وتركا « عُتبة بن ربيعة » فعرض عليهما الاسلام . . وقرأ عليهما القرآن . . فأنا والله قلب اسعد بن زرارة وصاحبه ونسيا ما كان فيه يختصمان واسلما[1] . . ثم رجعا إلى المدينة مسلمين لله ولرسوله ﷺ . . واخبرا الناس بما فعل كل منهما . . لقد خرج الرجلان متنافرين وها هما يعودا أخوة في الأسلام وكانا لهما شرف اول رجلين يدخلان المدينة بالاسلام .

لقد استجاب أسعد لدعوة الرسول ﷺ استجابة عفوية جميلة . . فلم يحاور كثيراً . . كانت نوعيته مستجيبة للاسلام بأسرع ما يكون . . لقد استجابت فطرته التي فطره الله عليها . . لتقبل كل ما هو عدل وترفض الظلم . . الفطرة التي تؤمن بوحدانية الخالق وقدرته على كل شيء . .

وعاد أسعد يحدث الناس بما سَمِعَ في مكة عن محمد بن عبيد الله ﷺ . . فاستجاب له قلة من اصحابه واصدقائه . .

وفي العام التالي صحبهم الرجل الى مكة بعد ان علمهم ما سمع من الرسول عن دينه الحق ودعوته الصالحة . .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٣٩ .

وانطلق الركب الى مكة قاصداً لقاء رسول الله ﷺ وكانت البيعة . . بيعة العقبة الأولى . .

المبايعة (بيعة العقبة الأولى)

وصل أسعد بن زرارة الى مكة في جنح الظلام ومعه أحد عَشَرَ رجلاً ممن استجابوا له وكانوا هم :

١ ـ عون بن الحارث .

٢ ـ معاذ بن الحارث ابنا عفراء .

٣ ـ رافع بن مالك العجلان .

٤ ـ وذكوان بن قيس الذي صحبه في العام الماضي .

٥ ـ وعبادة بن الصامت .

٦ ـ ويزيد بن ثعلبة .

٧ ـ العباس بن عبادة بن نَضلة .

٨ ـ عقبة بن عامر .

٩ ـ قطبة بن عامر .

١٠ ـ ابو الهيثم بن التيهان

١١ ـ عويم بن ساعدة(١) .

والتقى بهم الرسول ﷺ وقرأ عليهم من الآيات الكريمة قول الله عز وجل : ﴿ وإذا قال ابراهيم رَبِّ اجعل هذا البلد آمِناً ، وارزقه أهله من الثمرات مَنْ آمَنَ آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾(٢) إلى آخر الآيات الكريمة .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ١٧٨ جـ ٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٤٦ .

وفي هذه البيعة بايع أسعد بن زرارة واصحابه رسول الله على بيعة النساء اي يدافعون عنهم كما يدافعون عن أبنائهم ونسائهم واعراضهم وبايعوه على :

ـ ألا نشركَ بالله شيئاً . .

ـ ولا نسرق ، ولا نزني .

ـ ولا نقتل اولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفدّيه بين ايدينا وأرجلنا .

ـ ولا نعصيه في معروف[1] .

فأجاب الرسول ﷺ عليهم قائلاً :

« فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر »[2] .

ووقف اسعد بن زرارة ومد يده مصافحاً رسول الله ﷺ وموجهاً حديثه لاصحابه ممن شاركوه في البيعة فقال :

أيها الناس : هل تدرون على ما تبايعون محمداً ؟ . إنكم تبايعونه على ان تحاربوا (من أجله ومن أجل دعوته) العرب والعجم والجن والانس جميعاً . .

فأجابوا : نحارب من حارب ، ونسالم من سالم . .

ثم قال أسعد بن زرارة للرسول ﷺ :

يا رسول الله اشترط عليَّ !

فقال عليه السلام :

« تبايعوني على ان تشهدوا ألا إلّه إلا الله واني رسول الله وتقيموا

---

(١) رواية عبادة بن الصامت عن بيعة العقبة ـ حديث رواه البخاري ومسلم .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص ١٨٠ .

الصلاة ، وتؤتوا الزكاة والسمع والطاعة ولا تنازعوا الأمر أهله ، وتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وأهليكم » .

قالوا :

نعم . . هذا لك يا رسول الله . . فما لنا .

فأجابهم عليه السلام : « الجنة او النصر . . » نِعْمَ ما وعدهم رسول الله ﷺ . الجنة وَعدَ المتقين والنصر لجند الله بإذنه تعالى ولقد رُزقوا الجنة بعملهم الصالح . . وجاءهم نصر الله عندما فُتحت مكة للاسلام والمسلمين بعد ذلك بسنوات قليلة نعم : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً ﴾[1] صدق الله العظيم .

سبحان الله . . سبحان الله . . الغفور الرحيم . . التواب . .

عاد الوفد من مكة يصحبهم السفير مصعب بن عمير وقضوا طريقهم يسبحون ويستغفرونه ونزل مصعب في ضيافة اسعد بن زرارة . . فكان في منزل اخيه وفي داره . . أكرم مثواه . . واحسن ضيافته . . ودخَل الناس في دين الله أفواجاً على عتبات بيته الكريم . . وقد قام أسعد بحماية صاحبه مصعب . . وقدم له كل العون . . مادي وادبي . .

أقنع اسيد بن حضير وهدأ من ثورة ابن خالته سعد بن معاذ . . واسلم الجميع .

مضى عام على وجود مصعب في المدينة وكان عليه مهام أخرى سيكلف بها من قبل رسول الله فعاد الى مكة تاركاً اماماً خلفه يؤم المسلمين من انصار رسول الله في المدينة من الصلاة . .

---

(١) سورة النصر مدينة كاملة .

واتفق الأوس والخزرج على امامة «أبي أمامة » اسعد بن زرارة لهم في الصلوات الخمس وفي ايام الجُمع .

كان أول من جَمَّعَ بالمسلمين في المدينة . . أي اول من صلى بهم الجمعة وذلك في ارض واسعة تسمى « نقيع الخضمات » سهلة منبسطة وكان عدد المسلمين يومئذ أربعين رجلاً . . لذلك كان الانصار كلما نادى مؤذن الجمعة . . استغفروا لأبي أمامة « اسعد بن زرارة » وذكروه بالخير واستعادوا ذكريات أول جُمعة صلوها جماعةً في المدينة بعد رحيل مصعب بن عمير . انها ذكريات البدايات وما اعظمها من ذكريات ذكريات السابقين الأولين . . اولئك هم المقربون . . الذين ضربوا الأوثان وسخروا منها . . ومن عبادها . . فقارعوا الجهل والجاهلية بالحجة والبرهان ولكن كيف ذلك لنرى . .

الحرب على الوثنيين والاصنام

اجتمع أسعد بن زرارة ومعه رجلين من المؤمنين وهما عمارة بن حزم ، وعوف بن عفراء . .

واتفق الرجال على تنبيه الجاهلين امر دينهم وبدأوا يغيرون على الأصنام . . اصنام بني مالك بن النجار . . فيكسرون منها شيئاً او ينكسونها . .

وفي الصباح يتضاحكون . . ويتساءلون الا تستطيع هذه الآلهة ان تمنع نفسها ـ او ترعى شأن نفسها فما بال من يعبدونها لا تنفع ولا تضر بشيء بل هي أصنام لا تنطق . .

هكذا ساهم الصحابي الجليل في هدم عقيدة الشرك وأوهام الوثنية . . بالحجة والمنطق . . بالفكر والعقل . . لعله أشد حرباً من السيف . .

مسجد التقوى

قال تعالى : ﴿ المسجد أُسس على التقوى من اول يوم أحقٌّ أن تقوم فيه﴾ . . صدق الله العظيم . .

قبل مجيء رسول الله ﷺ كان يصلي « أسعد بن زرارة » الصلوات الخمس ـ وصلاة الجمعة في مسجد بناه ـ جاء بعد ذلك الرسول مهاجراً وبنى مسجده الذي اسسه « أبو أمامة » رضي الله عنه . . نعم اسسه على تقوى .

وقد روت[1] احدى الانصاريات انها رأت اسعد بن زرارة قبل مقدم النبي ﷺ يصلي بالناس الصلوات الخمس يجمع بهم في مسجد بناه . .

قالت : « فانظر الى رسول الله ﷺ لما قدم ﷺ من ذلك المسجد فهو مسجدُه وبناه »[2] .

رضي الله عن أبي أُمامة أسس مسجده على التقوى وصلى فيه أماماً لأشرف رجال . . ناصروا الرسول طاعة الله ـ ولدعوته . . وحباً في دينه . . وكتاب الله الكريم . .

ومرت الايام وجاء الرسول مهاجراً وبنى مسجده وشاركه في بنائه اسعد ابن زرارة ولم تمض سبعة اشهر على الهجرة إلا وقد أصابه مرض . .

---

(١) الراوية ام خارج عن النوار ام زيد بن ثابت .
(٢) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٣٩ .

وها نحن في وداع أول مبايع لرسول الله من الأنصار وسباق الى دعوة الرسول بفطرته وحلاوة قلبه ونصاعة صدره ووجدانه . .

وداعاً أبي أُمامة

اشتد مرض أسعد الذي أصابه في حلقه فنصح رسول الله ﷺ بعلاج « أبي أمامة » .

وراح اليهود يتندرون ويقولون بسخرية :

ـ اين محمد يدفع عن ابي أمامة هذا المرض والبلاء ؟

فلما سمع رسول الله ﷺ هذا قال :

«قاتل الله اليهود[1] ـ يقولون لولا دفع عنه ولا املك له ولنفس شيئاً ، ولا يلوموني في ابي أمام» . . صدق رسول الله ﷺ .

ثم امر عليه السلام أبا أُمامة عندما اتاه زائراً وقال : اكتو فإني لا الوم نفسي عليك[1] .

ثم كُوي أَسعد بن زرارة في حلقه مرتين . . ولكنه اشتد عليه المرض فمات أسعد بن زرارة . . بعد ان اوصى بناته رسول الله وهن مزيعة ، وكبشة ، وحبيبة . فَعِشْنَ في بيت رسول الله مع بناته ـ حتى انه جاءه ذات يوم عليه السلام حلى فيه ذهب ولؤلؤ ـ فحلاهن منه[2] .

ولما مات أبو أُمامة حزن قومه عليه وقالوا لرسول الله ﷺ **مات نقيبنا سعد** يا رسول الله ، فنقب علينا نقيباً . فقال عليه السلام : **أنا نقيبكم . .**

(١ ، ٢) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٤٠ .

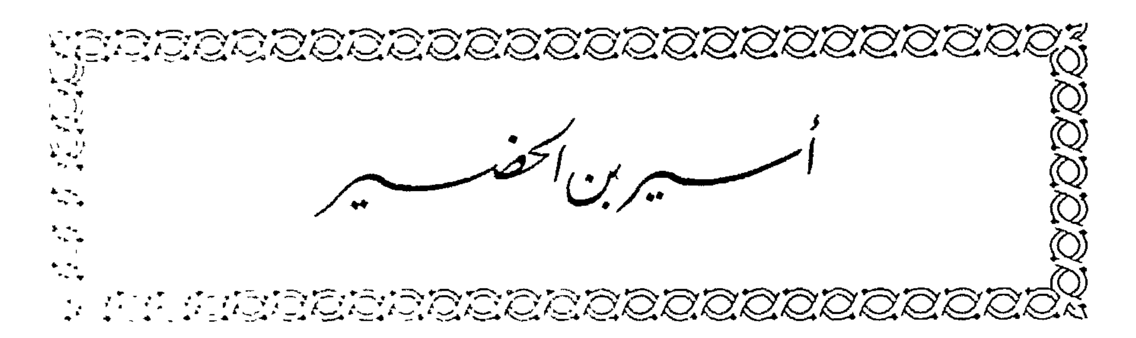
هذه مكانة أبي أمامة عند رسول الله ﷺ فهو نقيب بني النجار خلفاً **لأبي أمامة تكريماً لبيعته الصادقة** ووفاءه . . وكان رحمه الله اول انصاري **يدفن في** البقيع . .

كما كان عثمان بن مظعون **أول مهاجر دفن** بالبقيع[1] وغسَّلَه رسول الله ومشى في جنازته ودفنه بالبقيع رضوان الله عليه .

■ ■ ■

---

(١) طبقات ابن سعد جـ٣ ص ١٤٠



البداية من عند الملائكة والفرس

السماء صافية في المدينة . . والليل ساكن . . والظلام يغطي الأفق . . بينما جلس أُسيد بن الحضير في فضاء خلف بيته يردد بصوته الرخيم . . ونطقه الصحيح الآيات الكريمة التي تقول :

﴿ آلم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزِلَ من قبلك وبالآخرة هم يؤمنون ﴾[1] .

وإذ بفرسه تدور دورة كاملة . . كادت أن تنزع رباطها من الأرض توقف الرجل قليلاً . . فتوقفت الفرس . .

فعاد يقول الآية الكريمة :

﴿ أولئك على هديٍ من ربهم ، وأولئك هم المفلحون﴾ .

وتكررت حركة الفرس مع القراءة وسكونها عندما يسكت أسيد وبينما هو ذلك . . رفع وجهه إلى السماء فإذا بغمامة في السماء معلقةٌ بها مصابيح أضاءت السماء كلها . . جعلت الرجل يعجب لهذه الظاهرة . . وهنا خطر له خاطر أن يسأل الرسول ﷺ عن هذه الظاهرة صباح الغد إن شاء الله . .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤ .

وتقدم إلى رسول الله ﷺ وقص عليه ما حدث معه بالأمس . . فقال عليه السلام :

« تلك الملائكة كانت تسمع لك يا أُسيد ولو أنك مضيت في قراءَتِكَ لرآها الناسُ ولم تستتر منهم »[1] .

تلك هي بداية حديثنا عن ذلك الأنصاري البطل . . ولكن من أين بدأ إسلام الرجل ومتى ؟ . . لذلك قصة احداثها هناك عند العقبة حيث يجلس الرسول ﷺ مع أشراف الأوس والخزرج . .

. . المولد والنشأة . .

في دار « حُضير الكتائب » أحد سادة الأوس في الجاهلية ولد أُسيد . إذن فهو « أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ولدته السيدة : أم أسيد بنت النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل . . مات والده في معركة « بُعاثِ » التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية مات وهو سيد القوم وزعيمهم . .

ورث «أُسيد» زعامة والده على القوم بعد وفاته . . وورث عنه الشجاعة والإقدام . . وفن الفروسية التي كان عليه العرب قبل الإسلام .

كان بجانب فروسيته . . قارئاً مثقفاً كاتباً في وقت ندر فيه الكاتب عند العرب ، سباحاً ماهراً يجيد العوم . . وصفوهُ القوم بالكمال . .

تجمعت صفات كثيرة في « أُسيد بن الحضير » جعلته مهيئاً لأن يكون زعيماً من زعماء الأنصار . . سوف يكون له دوراً عظيماً فيما بعد . .

---

(١) الاصابة جـ ١ ص ٦٤ ، الاستيعاب جـ ١ ص ٣١ .

وسمعت المدينة كلها والأوس والخزرج . . ومنهم بنو عبد الأشهل قومه دعوة الرجل القرشي من مكة . . وترامت إلى أسماعهم بدايات الدعوة ومولدها في قريش . .

وكان الأشراف من الأوس والخزرج لا يفتأ الواحد منهم ، ولا يمر وقت طويل دون الاطلال على مكة حيث بيت الله الحرام الذي بناه ابراهيم وجاءت الفيلة من الحبشة لتهدمه . . فحماه الله عز وجل بطيرة الأبابيل وكل ساكني الجزيرة يعلمون قصة الفيلة وسموه بعام الفيل . .

وكانت بداية دخول « أُسيد بن الحضير » الإسلام قد اقتربت فقد وصل صدى الصوت ودويه الهائل إلى المدينة في صورة رجل من سفراء النبي ﷺ كان دائم الهجرة . . وكُلِفَ بنشر الدعوة في المدينة . . ألا وهو مصعب بن عمير . . ماذا حدث إذن بعد ذلك . .

لقاء الأعيان في بستان بنو عبد الأشهل

في أحد بساتين بني عبد الأشهل جلس « مصعب بن عمير » وبجواره أسعد بن زرارة يقرأ كل منهم كتاب الله عز وجل . . وذاع خبر الزائر الضيف . . وفي منزل سعد بن معاذ ترامى الخبر إلى الأسماع بينما يجلس معه صديقه « أُسيد بن حضير » . .

فقال « سعد » : أنت يا أُسيد إن أسعد بن زرارة بن خالتي . . ولا أريد أن أتحدث مع هذا الرجل أمامه . . اذهب واطرد هذا الرجل من ديارنا . .

سمع « أُسيد » حديث سعد فقام من مجلسه قاصداً بستان الخير . . وموقع السفير المهاجر : مصعب بن عمير . . وتقدم منهم وفي يده حربته . . وقد أخذته كلمات سعد بن معاذ . . إذن فليطرد هذا الرجل فتحدث قائلاً :

ما جاء بكما إلى ديارنا أيها الرجل . . أظننتم أننا ضعفاء لا نستطيع حماية هذا المكان . . ، . . ، وهدد أسيد وتوعد . .

وقال لهما ابتعدا عن هذا الحي . . والا فالسيف بيننا . .

اشرق وجه مُصعب بن عمير وقال له : يا سيد القوم هل لك في خير من ذلك ؟

فقال أسيد : وما هو ذلك الخبر ؟

قال مصعب : اجلس الينا أولاً ، ثم اسمع ما نقول . . فإن رضيت بما نقول فاقبله . وإن لم ترضه تحولنا عنكم وتركنا مكاننا هذا .

فقال: أُسيد: معك حق فقد أنصفت في عرضك. . ووضع رمحه وجلس يسمع من مصعب عن هذا الدين القيم ، ويقرأ عليه القرآن .

امتلأ قلب أسيد بالنور . . وأشرق وجهه الكريم بالإيمان والتفاؤ ل مما سمع . وقال لمصعب بن عمير : ـ ما أجمل هذا الذي تقول ! ـ وما أعظم ذلك الذي تتلو ! إذن ماذا أفعل إذا أردت الدخول في الإسلام . .

فقال مصعب: «ثيابك تطهر» وتغتسل وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ثم تصلي ركعتين .

اقترب أُسيد من البئر فتطهر بمائها ، وشهد أن لا إلّه إلَّا الله وأن محمداً عبده ورسوله ثم صلى ركعتين . وكانت هذه اللحظة هي البداية التي جعلت من « أُسيد » فارساً من فرسان المسلمين ، نال شرف صحابة محمد ﷺ ثم تبعه سعد بن معاذ الذي أرسله ليرى مصير الرجل الداعية في البستان فأسلم سعد بعد أُسيد بن حضير وانضم بذلك رجلان من سادة الأوس المرموقين .

جد أُسيد في حفظ القرآن بعد ذلك . . وبعد أن أخذ مصعب بن عمير بلباب عقله حيثما قرأ عليه آيات من القرآن هناك في بستان بني عبد الأشهل

في صحبة أسعد بن زرارة ، وسعد بن معاذة كان أُسيد من القراء المجدين والمجيدين لقراءة كتابة الله عز وجل . كان أكثر ما يقرأه ليلاً وفي الفجر (قرآن الفجر) إن قرآن الفجر كان مشهوداً . .

والآن متى نلتقي برسول الله ﷺ . . لنبايعه على السمع والطاعة وحسبي أنهم تساءلوا عن موعد هذا اللقاء . . وألحوا على مصعب بلقاء رسول الله ﷺ .

وكان اللقاء . . الذي أسفر عن أخطر وثيقة نظمت دولة الإسلام في المدينة كان هناك في العقبة . .

ولننتقل إلى هناك لنعرف ما دار بين أشرف الخلق ﷺ وأنصاره . . من الأوس والخزرج . . الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . وزادهم الله إيماناً . .

. . اللقاء والبيعة . .

في يوم من أيام ما بعد النحر[١] . . واعد الرسول ﷺ وفد من يثرب ومن أكبر القبائل فيها هما الأوس والخزرج . . واعدهم أن يلقاهم عند العقبة وهي إحدى شعاب مكة . . وكان وقت موعدهم الليل . .

وجاء الرجال وباتوا ليلتهم هناك وفي منتصف الليل أو ثلثه خرجوا للقاء الرسول ﷺ متحفين . . ومتسللين حتى لا تراهم أعين من قريش واجتمعوا في الشِّعْب عند العقبة .

(١) وهي أيام التشريق كما يسمونها ، وهي بعد يوم النحر وفيها كان العرب يقددون اللحوم الشمس .

وقد بلغ عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين هما : نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو .

وجاء صلوات الله وسلامه عليه بصحبة عمه العباس بن عبد المطلب ، الذي كان يشجع ابن أخيه ويحرص عليه رغم أنه في هذا الوقت لم يكن قد دخل الإسلام بعد . . ورغم ذلك وقف خطيباً وبجواره الرسول ﷺ فقال :

يا معشر الخزرج : « إن محمداً منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده »[1] فقال الأنصار من الأوس والخزرج :

قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله ، فخذ بنفسك ولربك ما أحببت تكلم الرسول ﷺ : فتلا القرآن ، ودعا الى الله ورغبهم في الإسلام ثم قال عليه السلام : « أبايعكم على أن تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فوقف أحد الأنصار وهو البراء بن معرور ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه نساءنا . وتحدث السادة مؤيدين ومعززين اتفاقهم مع رسول الله الذي تبسم وقال : (الدم الدم ، الهدم الهدم) أي دمي ودمكم واحد أمنع وأقاتل من أجلكم وأنتم كذلك فذمتي وذمتكم وحرمتي وحرمتكم أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم .

. . مع رسول الله ﷺ . .

بأبي أنت وأُمي يا رسول الله . . هكذا كان يتحدث دائماً إلى رسول الله

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٦٣ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

ﷺ . فمنذ أن جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة ومصعب على العهد والوفاء .
نعم فهذا ما سمعه أُسيد في آيات القرآن الكريم حيث يقول عز وجل :

﴿ والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾[1] .

نعم لقد جاء المهاجرون من مكة . . وآخى الرسول ﷺ بين أسيد الشريف في قومه . . وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ . . أحد فقراء مكة . . ولم يكن سيداً بمعناها الدينوي . . بل مسلمٌ مؤمن مهاجر إلى الله عز وجل في سبيل دينه وحباً في رسول الله ﷺ ودعوته العظيمة . .

كان أسيد كريماً مع أخيه زيد . . وفيه له . . أفسح له داره . . فجعله لباساً له في ليلة . . وشريكاً له في معاشه . . هكذا كانت الدنيا هينة بسيطة في نظرهم ، تساوت في عقولهم زينتها وزخرفها مع حيربها ونقرها . . أحب الرسول أُسيد . . وكان يصدقه ويداعبه لأنه كان رجلاً هشاً . . بشاً صاحب طرفة ونكتة . . ومن ذلك ما حدث له في أحد الأيام . . بأن رسول الله ﷺ غمز أُسيد بن حضير في خاصرته (وسط جسمه) فقال أسيد ضاحكاً يقصد المرح : أوجعتني يا رسول الله . .

فأجابه الرسول ﷺ : «اقتضي مني يا أُسيد» هكذا كان عدله حتى في هزله وجده . . كان يمرح ويلتزم بالصدق والعدل . .

فقال أسيد : إن عليك قميصاً ، ولم أر على جسدي قميص (يقصد أن جسمه الشريف مغطى ولكنه غمزه في جلده) .

فرفع عليه السلام قميصه عن جسده ليحتضن أسيد .

فاحتضن أسيد الرسول ﷺ وراح يقبل جسده ويقول :

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٣ ، ٢٤ .

مع الرسول في المدينة

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، بأبي وأُمي وراح يكرر .

وفي غزوة بدر خرج الرجل وأصحابه يقصد البعير أو إبل أبي سفيان ولم يكن في حسبان أحد ما حدث في بدر . .

والتقى الجيشان ولم يخرج « أُسيد بن حضير » مع من خرجوا من بدر وجاء الرسول منتصراً من بدر والتقى بأسيد على مشارف المدينة يقسم ويقول : يا رسول الله !

« الحمد لله الذي أظفرك وأقرَّ عينَكَ ، واللّه يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظُن أنك تلقى عدداً ولكن ظننت أنها البعير ، ولو ظننت أنَّهُ عدو ما تخلفت » .

فقال عليه السلام : « صدقت يا أسيد »

كان يعلم بصدقه وبحبه عليه السلام . . ويثق في نواياه . . وقد كان الرجل كذلك . .

وجاءت غزوة أُحد فأثبت الرجل صدقه وصدق رأي رسول الله فيه . . فوقف يزود عن صاحبه الشريف يضرب يميناً ويساراً . . وأُصيب أُسيد بسبع ضربات نافذة في أماكن مختلفة من جسده . . سبع أوسمة على صدره نعم الرجل ، أسيد . .

هكذا قال عنه رسول الله ﷺ . .

وفي غزوة الخندق شارك الرجل أصحابه في حفر الخندق . . وحارب معهم وخفف عنهم آلامهم بنكاته الظريفة ودعاباته المتزنة الحافظة لحياء الناس الصادقة في مضمونها .

كان مع صاحبه رسول الله في كل موقف وموضع : وذات يوم ذهب الى رسول الله يطلب مالاً لأسرة أنصارية فقيرة ذات حاجة . . وكلهم من النساء . .

فقال له عليه السلام :

« لقد جئتنا يا أُسيد بعد أن انفقنا ما بأيدينا ، فإذا سمعت بشيءٍ قد جاءنا فاذكر لنا أهل ذلك البيت » .

وجاء للرسول بعد ذلك مال فقسمه بين المسلمين . . وأكرم الأنصار وأعطى أهل ذلك البيت بسخاء وكرم . .

فقال أُسيد : « جزاك الله عنهم ـ يا نبي الله خيراً » .

هكذا كان رسول الله ﷺ يكرم من ناصروه . . ومن بايعوه على المنشط والمكره . . صدقوا بيعتهم عندما قال لهم في العقبة الدم الدم ـ الهدم الهدم . .

أحارب من حاربتم . . وأعاهد من عاهدتم على السلم والإخاء . . ولقد وصفهم رسول الله يقول : إنهم (أعفة صُبُرٌ) نعم لديهم نخوة الذين قال الله فيهم : ﴿ تحسبهم أغنياء من شدة التعفف ﴾ .

نعم المبايعون . . أنصار الأوس والخزرج . . قاتلوا من أجله وفتحوا بيوتهم لاستقبال النور القادم من مكة . .

ولا نغفل هنا يوم أن قال عبد الله بن أُبي في « غزوة بني المصطلق » لأهله من يهودِ ومنافقي المدينة : « لقد أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم . . أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم ليتحولوا إلى غير دياركم . . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليُخرجَنّ الاعز منها الأذل » يقصد منها الرسول

ﷺ فوصلت هذه الكلمات للرسول ﷺ . . قالها لأُسيد حزيناً مطرقاً فأجابه أُسيد بروح المتفائل الواثق من نصر الله عز وجل :

أنت والله يا رسول الله ـ تخرجه منها ان شاء الله ، هو والله الذليل وأنت العزيز .

ثم أضاف أُسيد في تأن وتدبر : « يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه على المدينة ملكاً فهو يرى أن الإسلام قد سَلَبَه مُلكاً »[1] .

وكان لأسيد موقفاً بعد وفاة الرسول في السقيفة (سقيفة بني ساعدة) في رأب الصدع وقتل الفتنة عندما حاول بعض الأنصار تنصيب (سعد بن معاذة) خليفة رسول الله . .

وفق أُسيد يقول لأهله وعشيرته . .

تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين . فخليفة إذن ينبغي أن يكون من المهاجرين ولقد كنا أنصار رسول الله ﷺ فعلينا اليوم أن نكون أنصار خليفة » .

وعليه بايع الأنصار أبا بكر في السقيفة وانتهى الجدل .

كان أُسيد على خلق كبير . . صداحاً بالقرآن يقرأه بصوت جميل . . أسعد سامعيه وسمعته الملائكة . .

. . وداعاً صاحب الرسول . .

وفي العام العشرين من الهجرة وفي عهد عمر بن الخطاب مات أسيد

---

(١) سيرة ابن هشام .

ابن الحضير وشيعه القوم الى مثواه الأخير في البقيع حيث حمله عمر بن الخطاب بين العمودين عمودي السرير حتى أوصله الى مثواه الأخير . . وصلى عليه والحاضرين[1] .

مات الرجل وقد ترك عليه ديون كثيرة قدرت بأربعة آلاف . .

وكانت لديه أرض جيدة في المدينة تغل في العام بما مقداره ألف فقط وجاء أصحاب الدين يريدون شراء أرضه فقال عمر : كم تغل الأرض فقالوا : تثمر ألفاً في العام . .

فاحتكم عمر بالسداد في أربع سنين فوافق أصحاب الدين وجعل عبد الرحمن بن عوف أميناً على مال أُسيد حتى سدد ما عليه كاملاً . .

رحم الله أُسيداً فقد كان سيداً في قومه . وقد روت عنه عائشة وذكرت مكانته عند رسول الله فقالت ثلاثة من الأنصار من بني عبد الأشهل لم يكن يعتد عليهم فضلاً بعد رسول الله ﷺ :

سعد بن معاذ

وأسيد بن الحضير

وعباد بن بشر رضي الله عنهم .

وروى عنه كعب بن مالك . . وآخرين . .

لقد صدق رسول الله اذ يقول :

« نعم الرجل أسيد بن الحضير » .

رحم الله أسيداً . . الرجل الصادق . . الأنصاري الوفي . .

---

(١) الطبراني برقم ٥٤٨ من سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٣٤٣ .

سعد بن الربيع

في البدء كلمة . .

﴿ سلام عليكم بما صبرتم فَنِعْمَ عُقبى الدار ﴾[1] صدق الله العظيم .

قال رسول الله ﷺ : « يوم أُحد » :

مَنْ رَجُل ينظر إلى ما فعل سعد بن الربيع ؟

فقال رجل من الانصار : انا يا رسول الله . . ثم خرج يطوف على جثث القتلى ، حتى وجد سعداً جريحاً غير قادر على الحراك . . وهو بآخر رمق . .

فقال الأنصاري : يا سعد ان رسول الله ﷺ أمرني ان انظر من الاحياء انت أم من الأموات ؟

قال سعد : «ابلغ عني رسول الله ﷺ وقل له : إن سعداً يقول : جزاك الله عني خير ما جزى نبياً عن أمته ، وابلغ قومي مني السلام ، وقل لهم : ان سعداً يقول لكم : انه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ الى نبيكم ومنكم عين تطرف »[2] .

هذه كلمات النقيب في آخر عهده بالاسلام والمسلمين . .

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٧ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر جـ ٤ ص ١٤٥ .

نعـم هو ذلك المؤمن العظيم .. الانصاري ..
ماذا فعل يا ترى عندما سمع مصعب ..
تلك هي كلماتنا عنه كسيرة عطرة لا بد من أخذها من البداية ..

المولد والنشأة

نسبه

سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

الانصاري الخزرجي الحارثي[1] .

نشأ في المدينة في ديار الخزرج أهله وعشيرته .. ابوه سيد القوم وصاحب كلمة عليا في قومه .. نشأ بين اترابه فارساً تعلم الفروسية من جراء حرب طويلة شاهد أبـاه يخوضها فلا بد من الاعداد والعدة .. وفي المدينة الخضراء ببساتينها شب سعد على وفرة من المال .. وكرم ابوي تميز به العرب في الجاهلية .. وكان محسوبـاً على أخلاقهم من قبل الإسلام .. رغم جاهليتهم ووثنيتهم ..

اتقن سعد الفروسية وركوب الخيل .. وجعل نفسه نداً لكل اترابه وأصحابه مما يلعبون معه .. وينتشون بالفروسية.. وفراسة الصيد ودقة التصويب في السهام .. ولم يترك فنون والكر والفر تفوته بل تعلمها من قومه واعاظم فرسان الخزرج الذين كانوا اكثرية في المدينة المنورة .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٧٧ .

حتى انهم لجاهليتهم انهكوا هذه « الغزوة » والكثرة في العدد في حرب مريرة ضارية . . لم توقفها مرارات السنون الطوال والتي اخذت في أثنائها خيرة شباب الخزرج . . ولعب اليهود في هذه الحرب لعبة الحاقدين . . فاشعلوا نيرانها كلما خبت حتى تكون لهم سيادة الرجال . . والمال في المدينة . .

في هذه البيئة نشأ سعد بن الربيع في المدينة . . ولكن ماذا عن القادم من مكة . . من الجنوب . . ويجلس في بستان بني عبد الاشهل وفي دار اسعد بن زرارة ؟ . . لنرى . .

الخزرج مع الرسول ﷺ في مكة

بدأ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل التي تأتي الى مكة في المواسم التجارية وغيرها من مختلف أنحاء جزيرة العرب . .

وجاء وفد من خزرج المدينة فتقدم منهم رسول الله ﷺ فقال لهم : من انتم ؟

قالوا : نفر من الخزرج

قال عليه السلام : أَمِنْ موالي اليهود ؟

قالوا : نعم .

قال عليه السلام : أفلا تجلسون اكلمكم .

قالوا : بلى .

وجلس القوم وبدأ حديثه عليه السلام مسترسلاً عذباً . يفيض بعطر القرآن الكريم وجمال الاسلام . . جعل قلوب القوم تميل اليه من شدة طيبته وبدأت عقولهم تدرك تلك المعاني السامية في كلامه عليه الصلاة والسلام

والتفت بعضهم لبعض يقول : انه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا تسبقنكم اليه . . اي لا نملكهم فيه .

وآمن القوم واستجابوا لدعوته ﷺ . .

ثم قالوا معاهدين الرسول : « يا رسول الله ! انّا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم العداوة والشر ما بينهم ، فعسى ان يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى امرك . . ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه ، فلا رجل اعز منك »[1] .

كان من هؤلاء الأفراد : اسعد بن زرارة ، والرافع بن مالك بن العجلان ، وعقبة بن عامر . . ثم عادوا إلى المدينة بروح جديدة . . تصحبهم دعواته عليه السلام .

سعد بن الربيع مع مصعب

عاد القوم في العام التالي والتقوا الرسول ﷺ في بيعة « العقبة الأولى » وكانوا اثني عشر رجلاً . . لقد بايعوه على الايمان وعلى أن لا يأتوا ببهتان ، ولا يعصوه في معروف . .

وعلى ان لا يسرقوا ، ولا يقتلوا . ثم كان طلبهم الأخير هو أن يرسل معهم رسول الله ﷺ من يعلمهم القرآن ويفقههم في دينهم . . وكان مصعب مستعداً . . « مصعب بن عمير » سفير رسول الله ﷺ . .

وجاء مصعب الى المدينة ونزل في ضيافة « أسعد بن زرارة » وفي منزل امن الاشراف وسمعوا من مصعب دعوة محمد ﷺ . .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٧ .

وتصدى لإدعاءات اليهود وخبثهم بقوة حجته وقدرته على الاقناع . .

واقترب صوت « مصعب » . . من قلب سعد بن الربيع . . وهزت كلمات مصعب مشاعر سعد بن الربيع . . لقد الف سعد كلمات . . « مصعب » وتملكت من قلبه وعقله . . فدخل على مصعب ذات يوم كأقرانه وسابقيه . . واغتسل وتطهر وشهد ان لا إلَه إلا الله وان محمداً رسول الله . .

وصلى كما تعلم من مصعب بن عمير الصلاة . . وخرج على قومه مبلغاً اياهم : يا قوم إني قد اسلمت . . فتدافع القوم يتبعوه ويلتحقوا بهذا الدين الذي أخذ بلباب وقلب سيدهم . . وسمعوا القرآن منه فأعجبوا اشد العجب . . مما آنس به سيّدهم . . سيد الخزرج واشتاقوا إلى لقاء الرسول ومبايعته شخصياً . . ودار الحول دورته ومضى عام وخرج القوم قاصدين مكة موضع رسول الله في العقبة إحدى شعاب مكة . . نعم للبيعة . . ولمناصرة هذا الرجل ودينه .

لقد كان هذا هدفهم الأسمى مع أول خطوة خطتها ابلهم خارج المدينة . .

مع الرسول في العقبة

خرج الرجال اشواقهم تسبق خطواتهم الى لقاء رسول الله ﷺ خرجوا في موكب مهيب اثنتان وسبعون رجلاً وامرأتان من الأوس والخزرج . لقد انجز السفير عملاً عظيماً في المدينة . . لقد بذل « مصعب بن عمير » جهداً يُحسد عليه . . فأنار قلوب هذه الباقة العطرة من القوم . . وهناك تزاحمت الإبل حول العقبة احدى شعاب مكة واستراح الرجال حتى يأتي الرسول ﷺ اليهم . . ويخيم الظلام على المكان . . وتطول استراحة القوم حتى ثلث الليل . . ويأتي عليه السلام من مكة . . ويلتقي بهم بصحبة عمه العباس رضي الله

عنه . . ويطلب الرسول ﷺ من القوم أن ينتخبوا نقباء عنهم فاختاروا اثني عشر رجلاً من خيرة رجالهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . . وكان سعد بن الربيع أحد النقباء الاثني عشر لأنه سيد قومه بني الحارث الخزرجيين وكان الحديثُ عذباً وكانت البيعة بدءاً لعمل عظيم . . عاهدوا الرسول عليه في المنشط والمكره . . فخرجوا يقطعون طريقهم وفي قلوبهم سكينة نزلت عليهم ونور يهديهم الى الصراط المستقيم . .

وعادوا الى المدينة يعدوا العدة لاستقبال رسول الله ﷺ عندما يأتيهم مهاجراً . . مرحباً به في عاصمته ومقر دعوته بعد مكة مرحباً به في المدينة المنورة . .

واستعد القوم وكثر عددهم . . وردد الناس القرآن في المدينة وقاموا للصلاة كل يوم وكل وقت . . حتى يأتيهم البشير النذير النبي الأمين . . لينظم شؤون بيتهم الكبير في المدينة . .

ولم يطل انتظارهم . . بل اوشك الحدث الكبير أن يدوي صوته عالياً في مدينتهم المنورة .

الهجرة ، ودرس في الأخوة من الله

جاء الموكب الكبير . . ومشت الناقة تتهادى في ارجاء المدينة وعيون الناس تحتضنها بما تحمل على ظهرها . . وأنشدت الفتيات مرحبةً بالهادي الامين طلع البدر علينا . . من ثنيات الوداع . .

واستقر عليه السلام في المدينة وبدأ في تنظيم شؤون الأخوة من الله وآخى عليه السلام بين المهاجرين والأنصار . . وكان النقيب من نصيب عبد الرحمن بن عوف . . فهلل سعد بن الربيع مرحباً بأخيه عبد الرحمن بن عوف

الذي خرج من مكة لا يحمل إلا ثوبه على جسده . . وكتاب الله في صدره . . رغم انه ترك اموالاً طائلة . . وعقارات وتجارة كثيرة في مكة . . وخرج بدينه تاركاً ماله لهم . . عله يظفر بالدين . . ونعم ما ظفِرَ به !!

وتقدم سعد بن الربيع يقول لأخيه عبد الرحمن بن عوف :

يا أخي ! «لي امرأتان ، وأنت أخي في الله ، لا امرأة لك فأنزل لك عن احداهن لتتزوجها» .

فرفض عبد الرحمن هذا العرض وقال لسعد : لا والله يا أخي . .

فقال سعد : هذا مالي نقتسمه سوياً . .

فقال عبد الرحمن : لا يا أخي ، بارك الله لك في اهلك ومالك . .

لقد التقت القلوب في الله . . لا يشغلها مال ، ولا عرض من اعراض الحياة الدنيا . . الا المحبة في الله . .

لقد نقل هذا الحوار عبر التاريخ يشهد لسعد بن الربيع بأنه المسلم الحق صاحب ابلغ درس في الأخوة من الله ، ويشهد لعبد الرحمن بن عوف . . بغنى النفس وعزتها عندما سأل عن السوق في المدينة ليبيع ويشتري ويعمل ويأكل من عمل يده . . رضي الله عنهم . . اعطوا القدوة وضربوا اعظم مثل في الأخوة في الاسلام . .

في بدر
سعد بن ربيع البدري

لقد تشرف الرجل بعد ذلك بحصور اعظم وأشرف معارك الإسلام .

فحينما خرج الناس لملاقاة عمير « أبي سفيان » لبني مسعدٌ النداء

وخرج فارساً من فرسان بدر . .

وعندما احتدم القتال ابلى بلاءً حسناً ، وقاتل قتال الابطال وثَبُتَ قلبه . . واطمأنت نفسه . . رغبة في النصر وحباً في الشهادة . وكيف يكون قتال هذا الصنف من الناس ؟ يرغبون في النصر ويكسبون الشهادة . .

حسبي ان سعداً قد فطن وتذكر يوم ان بايع الرسول ﷺ في العقبة . . بايعه على السمع والطاعة في الحرب والسلم . . هتف صوت رسول الله عندما صدق على مبايعتهم قائلاً :

الدم الدم . . الهدم الهدم . . اعادي من عاديتم وأحارب من حاربتم . .

وتذكر انه بايع الرسول على الذود عنا كما يذود عن نسائه وأولاده وقاتل . . وقاتل الرجل . . وانتصر جند الله . . واعزهم الله عز وجل . . وعادوا الى المدينة غانمين سالمين ودخولها مظفرين تحيط بهم ملائكة الرحمن بعد ان قاتلت معهم . . نعم انهم فئة صابرة . . فغلبوا . . وكان لهم النصر .

لقد كان بدرياً شجاعاً . . نال شرف هذا اللقب « البدري » ويا سعادة من ناله منهم . . سلام عليهم بما صبروا فنعم عقبى الدار . . نعم الانصار كانوا . . يوم بدر وكل ايام الاسلام العظيمة والمشهودة . .

وداعاً شهيد أُحد

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياءٌ عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم

يَلحقوا بهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] صدق الله العظيم .

وجاء يوم أُحد وكان يوم النقيب سعد بن الربيع . . **في هذا اليوم زف الرجل الى الجنة . . شهيداً من شهدائها . .**

عندما ترك الرماة مواقعهم الذي امرهم الرسول بعدم تركها . . مهما كان الموقف والتف المشركون من خلف الجبل وضربوا ظهر الجيش وانقلب النصر إلى هزيمة ، واخذت الكفار فرصتهم في الصول والجول بين صفوف المسلمين وتقهقر المسلمون وتراجعوا . . فنادى « مصعب بن عمير » يستحث الرجال ويدفعهم للتقدم للقتال . . نادى يقول :

أهل العقبة . . ونقباءها .

أهل العقبة . . ونقباءها .

ولبى سعد النداء . . وانطلق يمخر عباب الصفوف ويضرب بسيفه هنا وهناك . . يقاتل في سبيل الله . . لا يخيفه موت . . مرحباً بالموت حبيب جاء على شوق . . نعم لقد جاء الحبيب . . ونالت منه الرماح من كل جانب وكثرت جراحه . . واستمر في القتال حتى سقط وفيه بعض الرمق وتمدد جسده الطاهر بين الشهداء ولكنه بقي بعض الوقت ليقول كلماته وينصح حبيب الله . . وسكنة المكان وتوقف القتال وانقشع الغبار . . وتساءل عليه الصلاة والسلام عن صاحبه يقول :

. من رجل ينظر الى فعل سعد بن الربيع أمن الأحياء أم من الاموات ؟؟

فقال رجل من الأنصار :

انا انظُرُ لك يا رسول الله ما فعل (سعد) .

---

(١) سورة آل عمران (١٦٩ - ١٧٠) .

ثم خرج الانصاري يبحث بين القتلى حتى وجد صاحب رسول الله وقد اثخنته الجراح . . وما زالت انفاسه تتلاحق . .

فقال صاحبه :
ان رسول الله ﷺ سأل أن انظُر أمن الاحياء أنت أم من الأموات ؟
فأجابه سعد قائلاً :

انا من الأموات ، فأبلغ رسول الله عني السلام وقل له ان سعد بن لربيع يقول : جزاك الله عنا ما جزى نبياً عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم إنّه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تطرف . .

ثم زجت الروح الطاهر في موكب ملائكي مهيب . . وما إن بلغ رسول الله ﷺ كلامه . . حتى اطرق ساكناً واذرف دموع عليه ثم قال :
« رحمه الله . . فقد نصح لله ورسوله حيّاً وميتاً »[1] وهكذا خرج النقيب من الدنيا . .
وداعاً شهيد أُحد . . وداعاً رجل المبادىء الموفى بعهده اذا عاهد . .

البنات في رعاية ابي بكر الصديق

عهد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق برعاية بنات النقيب سعد بن الربيع . . شهيد أُحد وكان له بنتين . . فرعاهما ابو بكر أحسن رعاية حتى ان رجلاً مر بأبي بكر فرأى إحدى البنتين مع ابي بكر فسأله عمن تكون هذه الفتاة فقال الصديق رضي الله عنه :

---

(١) سير اعلام النبلاء جـ ١ ص ٣٨١ .

هذه بنت رجل احسن مني ـ فهو أحد النقباء الاثني عشر في بيعة العقبة ، وشهد بدراً ـ واستشهد في أُحد . . انها بنت سعد بن الربيع نقيب الخزرج . . يوم البيعة .

وبعد وفاته بسنوات جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد فقالت يا رسول الله . . هاتان بنتا سعد قتل ابوهما معك يوم أُحد شهيداً وإنّ عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالاً ، (ولا تتزوجان) الا ولهما مال فقال عليه الصلاة والسلام : « يقضي الله في ذلك » فأنزلت آية المواريث :

بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾ .

﴿ إن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ .

﴿ يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثلُ حظ الانثيين فإن كُنَّ نسآءً فوق اثنتين فلهن ثُلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدس مما ترك ﴾[1] صدق الله العظيم .

ارسل الرسول ﷺ إلى عمهما فقال له :

« اعط بنتي سعد الثلثين ، واعط أُمهما الثمن ، وما بقي فهو لك »[2] .

رحم الله نقيب بني الحارث الخزرجي البدري ـ سعد خير ناصح حيّاً او ميّتاً . .

---

(١) سورة النساء الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ (مدنية) .

(٢) ورد في سير اعلام النبلاء جـ ١ ص ٣١٩ وحُقق وخرج على انه ورد في مسند الامام احمد ٣٥٢/٣ ، وابن سعد ٧٢/٢/٣

أُبي بن كعب الأنصاري

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات والأرض،من ذا الذي يشفع عِندَهُ بإذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤُدُهُ حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ [(١)] .

احب الآيات عند أُبي . . أعظمهم . . احب أُبي رضي الله عنه القرآن فكان ربيع قلبه وشريعته التي افتى بها . وآمن بهديها أعظم ايمان . سأله رسول الله ﷺ ذات مرة قائلاً : أي آية من القرآن أعظم ، فقال أُبي : ﴿ الله لا إلَه إلا هو الحي القيوم ﴾ . ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : ليهنئك العلم أبا المنذر [(٢)] هنيئاً لك علمك أبا المنذر ، هنيئاً لك كاتب الوحي ، أقرأ المسلمين أنت ، فكيف لا تهنأ بالجنة . أنصاري وبدري ، وأيُّ شرف أعظم من هذا ، ؟ . رجل من أنصار رسول اللّه ، ناصره رغبة في دينه وحباً في دعوته .

كان اول من يأخذ الوحي من لسان رسول اللّه فيحفظه . اشتهر أُبي بين المسلمين بلقب عظيم تدل على مكانته الرفيعة لقد اشتهر « بسيد المسلمين » ترك القرآن مكرماً لأُبي . . فيطلب جبريل أن يكون أُبي كاتباً للوحي وحافظاً

---

(١) آية العرش رقم ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٢) اخرجه احمد جـ ٥ /١٤٢ ، ومسلم ٨١٠ .

لكتابه الكريم حيث أمر النبي ﷺ أن يكون أُبي كاتباً للوحي . . وحافظاً له . . وكانت سعادة الصحابي الجليل بهذا الشرف دموع تذرف فرحة برضى الله عز وجل ، واعتزازاً بهذه المكانة الرفيعة .

نسبه ونشأته

« هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار سيد القراء، يكنى ابو منذر الانصاري النجاري ، كان يسمى أيضاً ابو الطفيل » (١) .

ولد ونشأ في المدينة ، وتربى في دار والديه تربية كريمة ، تعلم منذ الصغر القراءة والكتابة وقليل من الناس من كان يعرف القراءة والكتابة إلا الأغنياء وابناؤهم رعته أمه السيدة صهيلة بنت الاسود بن حرام بن عمرو بن مالك بن النجار يلتقي نسبها مع نسب أبيه عند مالك بن النجار .

وكبر الفتى وترعرع ونشأ في جو من الثراء جعلته سيداً في قومه وكان لا بد من الزواج فتزوج من فتاة كريمة من قبيلة ذات شأن وهي قبيلة « دوس » .

تزوج بنت الطفيل بن عمرو بن المنذر بن سبيع بن عبدنهم . وانجب منها ولدين هما « الطفيل » و « محمد » ، هكذا تشرف باسم رسول الله في ابنائه . . فنال شرفاً كبيراً قولاً وعملاً . .

كان أبيض الرأس واللحية ، كريم الخلق والشمائل ، لم يذكر انه شارك في ظلم أو جور في المدينة قبل إسلامه . وإنما احبه الناس ، وجعلوه

---

(١) أعلام النبلاء ـ جـ ١ ص ٣٩٠ .

سيداً بينهم ، فقد كان سيداً بعلمه وذكائه ، وكرمه وجوده ، كما كان سيداً بخلقه وأدبه الجم .

« وصفه عيسى بن عبيد الله قال : كان أُبي رجلاً دحداحاً أي ربعة متوسط الطول والعرض ليس بالطويل ولا بالقصير[1] .

كان رأساً في العلم والعمل . . في اكثر ما روي عن الرسول وحفظ منه وما اكثر اعماله في شأن المسلمين وتذكية جهادهم . . لكن نتساءل متى اسلم « سيد المسلمين » اننا سننتقل هناك الى العقبة حيث كان اجتماع رسول الله بوفد الأنصار في بيعة العقبة .

اسلامه

كان رجلاً عظيم الفهم ، وكان رأساً من العلم والعمل رضوان الله عليه . ورجل كهذا فاهمٌ عالمٌ عاملٌ لا تغيب عن فراسته صدق الدعوة وجمال الاسلام فما إن سمع عن دين جديد في مكة وداعية كريم يدعو للحق تبارك وتعالى حتى تاقت نفسه للاسلام ولرسول الاسلام صلى الله عليه وسلم . .

كان واحد من الركب المبارك في ليلة العقبة العظيمة ، وعندما تقدم عبادة بن الصامت والنقباء الاثني عشر لمبايعة رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، كان وأُبي بن كعب في طليعة المبايعين لرسول الله ﷺ ، وقد سمع اخوانه وأصحابه من رهط الانصار يقولون لرسول الله ﷺ : نبايعك على السمع والطاعة في المنشط والمكره .

---

(١) سير اعلام النبلاء جـ ١ ص ٣٩٠ .

وقـد سمع رسـول الله وهـو يهتف . . انتم مني وانـا منكم . الـدم ، الدم ، احارب ما حاربتم . فكان وقع البيعة من نفسه . . عميقاً ،جعلته يعود الى المدينة ، وقد اشتاقت نفسه الى رؤ يا حبيبه رسول الله ، والاشتياق ليوم قدومه واقبل الركب ذات يوم ناقتان احداهما تحمل رسول الله ﷺ والأخـرى تحمل صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي زحام هتاف وغناء بنات عمومته وعشيرته ونسائهن . . انطلق أُبي مـرحباً بـرسول الله ﷺ ونـزل عليه السـلام في دار أبي أيوب الانصـاري . . فشارك في الاحتفـاء بـه وامتـدت سواعده تساهم في بناء المسجد والبيت المبارك بيت رسـول الله ولم تمض أيام قليلة حتى جلس صامتاً ، ساكن القلب والنفس يستمع الى تنظيم شؤونه وشؤون اخـوانـه من المهـاجـرين العـائـدين من مكـة ، وهتف رسـول الله بالمؤاخاة بينه وبين رجل على الجود والكرم هو « طلحة بن عبيد الله » الذي كـان مشهوراً بـالكرم فسمي طلحـة الجود وطلحـة الخيـر ، فـرحب بـأخيـه واستضـافـه في داره وبـدأ ركب بين القـراء يخـطو خـطوات المبـاركـة في الاسلام . .

رجل القرآن الفقيه

ما اسعد هذا اليوم من حياة أُبي عندما سمع هذه الكلمات من رسـول الله .

قال رسول الله لأُبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» .

قال أُبي : الله سماني لك ؟

قال عليه السلام : نعم .

قال : وذكرت عند رب العالمين ؟ قـال عليه السـلام : نعم . فذرفت عيناه .

سيدي أُبي كفى لا تذرف الدموع فأنت أقرأ امة محمد ، كرمت بالوحي فهنيئاً لك .

كان أُبي أحد الانصار الاربعة الذين شاركوا في جمع القرآن ، وهم : أُبي بن كعب ، معاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد أحد عمومة أُنس بن مالك .

قال لاصحابه ذات يوم : لا ادع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى : ﴿ وما ننسخ من آية او ننسيها نأتي بخير منها او مثلها ﴾ [٢] .

وقف بين المسلمين قاضياً وفقيهاً . . فقد كان ذات يوم مع عمر بن الخطاب واذ برجل يجيء الى عمر ويطلب منه حاجة فيقول أُبي : ان الدنيا فيها بلاغنا ، وزادنا الى الآخرة ، وفيها اعمالنا التي نجزى بها في الآخرة .

فسأل الرجل عمر بن الخطاب : من هذا يا أمير المؤمنين .

قال عمر : هذا سيد المسلمين أُبي بن كعب . . رضوان الله عليه .

وذات يوم جاءه رجل يقول أوصني يا أُبي : فقال : « اتخذ كتاب الله إماماً وارض به قاضياً وحكماً ، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم ، شفيع ، مطاع ، وشاهد لا يُتهم ، فيه ذكركم وذكر من قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبركم وخبر ما بعدكم »[٣] .

وكان أُبي بن كعب محدّثاً عن رسول الله وراوياً من رواة الحديث الاوائل لتلازمه برسول الله ﷺ وقد روى عنه الكثيرين منهم انس بن مالك ،

---

(١) اخرجه البخاري في باب المناقب مناقب أُبي ، واخرجه احمد ورواه انس بن مالك .
(٢) البقرة آية ١٠٦ .
(٣) حلية الاولياء لأبي نعيم جـ ٢٥٣/١ .

وقد روى عنه عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : كنت واقفاً مع أُبي بن كعب ، والسوق سوق فاكهة ، فقال أبي : ألا ترى الناس مختلفة اعناقهم في طلب الدنيا ؟ (أي كل منهم يتسابق في السعي لرزقه بطريقته الخاصة) .

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب » .

فاذا به سمع الناس ، ساروا اليه ، فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه لا يتركون منه شيئاً ، فيقتل الناس من كل مئة تسعة وتسعون [1] .

هكذا كان أُبي فقيهاً ورعاً ، يتجلى بالتقوى والعلم ، يستمد نور علمه وفقهه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد خطب عمر بن الخطاب ذات يوم واثنى على أُبي واصحاب رسول الله فقال :

* من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أُبي بن كعب .
* ومن أراد ان يسأل عن الفرائض ، فليأت زيداً . (زيد بن ثابت الانصاري) .
* ومن اراد ان يسأل عن الثقة ، فليأت معاذاً . (معاذ بن جبل) .
* ومن اراد ان يسأل عن المال ، فليأتني فإن الله جعلني خازناً وقاسماً .

كان رضوان الله عليه شرساً في احقاق الحق ، لا يخشى من الحق لومة لائم . حتى ان احد المسلمين راح يصفه ويقول : اتيت أُبي بن كعب وقلت : يرحمك الله ! اخفض لي جناحك ، وكان امرءاً فيه شراسة ، فسألته عن ليلة القدر فقال : ليلة سبعٍ وعشرين .

---

(١) اخرجه مسلم ٢٨٩٥ ؛ احمد ١٣٩/٥ .

عندما كان يتوجه للرسول ﷺ بالحديث كانت أحلى كلماتـه : « بالله آمنت ، وعلى يدك اسلمت ومنـك تعلمت » نعم تعلم من رسول الله وذُكـر في الملأ الاعلى باسمه حتى ان رسول الله ﷺ قال له ذات يـوم : « يا ابـا المنذر إني أمرت أن اعرض عليك القرآن » هنيئاً لك ابا المنذر صحبة رسول الله وذكرك في الملأ الاعلى . .

مع الرسول صلى الله عليه وسلم

الرسول ﷺ قائم يصليٰ في المسجد ، وكان خلفه أُبي بن كعب فَلبِّسَ عليه ، واحتاج عليه السلام من يلقنه ، ولكنه استـدرك واكمل صـلاته عليـه السلام ، وبعد ختام الصلاة والخـروج من المسجد التفت الى من حـوله ، فوجد منهم أُبي بن كعب فبادره عليه السلام :

ـ أُبي .

ـ نعم يا رسول الله . .

قال عليه السلام : اصليت معنا ؟ قال أُبي : نعم يا رسول الله .

قال عليه السلام : « فما منعك »[1] .

ما منعك ان تفتح علي إذ رأيتني قد لبّسَ علي ؟

وقد اعتبر الفقهاء هذا الحـوار بين أُبي والرسـول ﷺ يدل على جـواز تلقين المصلين للامام اذا اخطأ او نسي أو تلعثم في قراءة . .

---

(١) حـديث ابن عمر اخـرجه ابي داود (٩٠٧) في الصـلاة ، باب الفتـح على الإمـام ، ونص الحـديث : «عن ابن عمر أن النبي ﷺ صلى صـلاة ، فلبس عليه ، فلمـا انصرف ،.قـال لأُبي : اصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : فما منعك » .

هكذا كان ينظر إلى أُبي نظرة فقيه يقف خلف خاتم المرسلين محمد ﷺ كذلك وقف الصحابي الجليل الى جوار رسول الله ﷺ في مشاهد كثيرة كان الى جواره في غزوة بدر مدافعاً عنه ، ولا يُنسى في هذا المقام لأُبي انه كان من السابقين ليلة العقبة في مبايعة رسول الله ﷺ مع طلائع الانصار . لقد حفظ عن الرسول القرآن ، وشارك في جمعه في حياة الرسول ﷺ ، كان قارئاً فذاً وقاضياً عادلاً . . وفقيهاً حازماً . .

كان أُبي رحمه الله دائم النظر في القرآن ببيته حتى قال : إنا لنقرؤُه في ثمانٍ (اي في ثماني ليالٍ) قراءة تَهَجُّدٍ وَتَعَبُّدٍ وتدارس لمعانيه . لقد جعل من القرآن ربيعاً في حياته ، ونسمات طيبة تهب على كل من حوله فتبعث في نفوسهم الإيمان .

مع عمر بن الخطاب

وجاء عمر بن الخطاب الخليفة العادل وأبي بن كعب اقرأ المسلمين ما زال يؤدي دوره على اكمل وجه يحيا بالقرآن ، ويعيش به ويعلمه للمسلمين ، ويحفظه بارادة الله التي تقول : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ .

نعم قالها عمر : أَقرأُنا أُبي . . وإنا لندع من قراءة أُبي (اي لا نتركُ منها شيئاً) وهو يقول : لا أَدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ .

وفيم عرف عن أُبي من خلال روايات الرواة عنه مما عايشوه وعاشوا معه في المدينة انه كان رجلاً حازماً في فقهه وعلمه ، لا يترك مثقال ذرة من شك في نفس سامعه من خلال علمه الواثق وفهمه لكتاب الله على اكمل وجه .

فقد جاء ابو الدرداء وهو صحابي في نفر من اهل دمشق ، وجلسوا في مجلس عمر فقرؤُوا على عمر في هـذا المجلس الآية الكـريمة ، ﴿ إِذْ جَعَـلَ الذينَ كَفَرُوا في قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةَ ﴾[1] .

وقـالوا في سيـاق المعنى ، ولو حميتم كمـا حموا ، لفسـد المسجـد الحرام .

فقال عمر : من علمكم هذا ؟

قالوا : أُبي بن كعب . . فـأرسل من يجيء بـأُبي بن كعب من بيته ، ولما جاء أُبي أجلسه عمر ثم قال لأبي الدرداء واصحابه اقرؤوا ، فقرؤوا كما سبق ان قرؤوا أمامه . . فغضب أُبي من قصور علمهم وقال :

والله يا عمر إنَّكَ لتعلم أني كنت أحضُر ويغيبون ، وأوفي ويحجبون ، واستمر في غضبه معبراً بهذه الكلمات : « يُصْنَعُ بي ، ويُصنَعُ بي» . « والله لئن أحببت لالـزمن بيتي» اي لا اخـرج من بيتي ، و«لا أُقـري احـداً حتى اموت » فهدّأ عمر من روعه وقـال : « اللهم غُفراً » ثم اضـاف « أُبيّ . . إنا لنعلم أن الله قد جعل عنـدك علماً فعلم النـاس ما علمت » هكـذا كان أُبي غيوراً على دينه ، وفهم دينه ، كان مفكراً اسلامياً رضيـاً لا يفتي الا بما وَثُقَ اسناده ، وقويت حجّته . .

وفي عهد عمر قال ابن عباس : قال لنا عمر اخرجوا بنا الى أرض أهلنا (قومنا) فكنت في مؤخر الناس مع أُبي بن كعب ، ويضيف ابن عباس وبينما هم في سيرهم ونحن في آخر القافلة . . إذ بسحابة توشك ان تمطر فنظر اليها أُبي وقال : اللهم اصرف عنا أذاها . . فأمطرت عليهم ونشطنا في السير حتى لحقنا بهم ، وقد ابتلت ملابسهم ورحالهم فنظر عمر الى الـوراء فوجـد أُبي وابن عباس لم يصبهما مطر ولم تبتل ثيابهما .

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٦ .

فقال : ما أصابكم الذي اصابنا .

فقال ابن عباس : إن ابا المنذر دعا لنا وقال : اللهم اصرف عنا أذاها .

قال : فهلا دعوتُم لنا معكم .

هكذا كان خليفة رسول الله يعرف قدر كاتب الوحي ، وسيد المسلمين أُبي بن كعب رضوان الله عليه . .

شارك أُبي بن كعب عمر بن الخطاب قيام رمضان سنوات كثيرة . . فكان يصلي بالمسلمين عشرين ركعة . .

هكذا . . نال أُبي بن كعب شرف صحابة رسول الله ، وإيشاره بقراءة الوحي وكتابته . . ونال ثقة المدينة فقيهاً له الكلمة الأولى من خلال علمه ومثابرته . .

ولكن لم يطل المقام بأُبي بن كعب . . فخرج من الدنيا كما يخرج منها الصديقين والشهداء . .

ان يوم وفاته كان يوم حشر في المدينة . . فكان فيها من يردد مات اليوم سيد المسلمين ولنترك العنان لعتي بن حمزة احد المسلمين الذين عايشوا يوم وفاته . .

وداعاً كاتب الوحي وسيد القراء

يقول عَتيّ بن حمزة :

قلت لأُبي بن كعب ، ما شأنكم يا أصحاب رسول الله ﷺ نأتيكم من الغربة نرجو عندكم الخير فتهاونون بنا ؟

قال أُبي : والله لئن عشت الى الجمعة لأقولن قولاً لا أُبالي

استحييتمـوني أو قتلتموني ، فلمـا كان يـوم الجمعة ، خـرجت ، فإذا أهـل المدينة يموجون في سكانها . .

مشى عَتِيّ بن حمـزة ، في طرقـات المدينـة، فرأى مشهـد كأنـه يوم الحشـر ، والوجـوم على وجوه النـاس كأنمـا هناك حـدثٌ ما في المـدينة . فاستوقف عَتِيّ احد الناس وسأله : ما الخبر ؟

فأجابه : مات سيد المسلمين أُبي بن كعب .

وحسبي ان عتي بن حمزة قد أحس بصلاح الرجل وتقواه .

رحم الله امام المسلمين ، وكاتب الوحي .

رحم الله أُبي بن كعب ، الأنصـاري ، البـدري من رجـال البيعـة السابقين ، بيعة العقبة .

اللهم اغفـر للأنصـار ، وارحم الأنصـار واجعلنـا في مجلس أُبي في الجنة .

روى أُبي بن كعب مئة واربعة وستون حديثاً منهم في صحيح البخاري ثلاثة احاديث ومسلم ، سبعة احاديث . . رحم الله أُبي وجمعنا واياه في جنة النعيم .

■ ■ ■

حذيفة بن اليمان الأنصاري

قال مودعاً الدنيا الى دار الحق :
حبيبٌ جاء على فاقة ؛ لا أفلح من ندم !
أليس بعدي ما أعلم !
الحمد لله الذي سبق بي الفتنة ! قادتها وعلوجها[1] .

الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان اختار ان يكون انصارياً حباً في المدينة وفي اهل المدينة ووفاءاً لأصحابه وحلفائه بنو عبد الأشهل وكان اختياره امام رسول الله ﷺ عندما قال له ، عليه الصلاة والسلام :

« ان شئت كنت من المهاجرين وان شئت كنت من الأنصار » فاختار حذيفة الأنصار عندما اعتقد أن النصرة تسمو في قولها عن الهجرة ، ولا ينبغي ألا يقال عن حذيفة بن اليمان غير انه ، انصاري مهاجر ، هاجر بدينه لينصر الحق .

اكتسب أغلى واسمى المعاني عند الرسول ﷺ ، لقد اكتسب الثقة ، فأصبح أميناً لرسول الله وحفيظاً على سره . .

حدث حذيفة عن رسول الله كثيراً ، فنشرت في صحيح البخاري بثمانية احاديث وفي صحيح مسلم سبعة عشر حديثاً .

---

(١) سير اعلام النبلاء جـ ٢ ـ رقم ٧٦ ص ٣٦٨ .

انه رضوان الله عليه من اعيان المهاجرين وحليف الانصار .

وفي كنف بنو عبد الاشهل في المدينة عاش حذيفة حليفاً ونعم الحليف لقد حالف اسعد بن زرارة النقيب وسعد بن عبادة رضوان الله عليهم وحسبه أنه عاصر مصعب في زيارته الأولى للمدينة ، او تناقلت اخبار المعلم الأول مصعب بن عمير عندما جاء الى المدينة ليعلم الأنصار كتاب الله ويثبت البيعة بيعة الحق الشهيرة ، بيعة العقبة ، فصرح زعماء بنو عبد الاشهل وحليفهم حذيفة الأنصاري المهاجر ، والذي اختارهم .

لقد اختار النصرة على الهجرة ، فإلى النشأة والأصول . .

النشأة والأصول . .

من نجباء اصحاب محمد ﷺ ، وصاحب السر .

وحذيفة بن اليمان يكنى ابا عبد الله .

نسبه : هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس العبسي ، من بني عبس[1] القبيلة المعروفة بالفروسية والاقدام في الجاهلية حليف الأنصار . .

أمه : الرباب بنت كعب بن عدي بن عبد الاشهل .

سُمي اليمان لأنها كنية ابيه حُسيل وذلك مما روي عنه انه قاتل احد قومه فأصابه وقتله فهرب إلى المدينة ونزل حليفاً لبني عبد الأشهل فسماه قومه اليمان ، لأنه حالف اليمانية .

---

(١) الاستيعاب باب حذيفة ص ٢٨٦ جـ ١٠ على الاصابة .

هكذا كانت كنية اليمان لأبيه ، ولكنه عاش حليفاً لبني عبد الأشهل وواحداً منهم . عاش حذيفة في المدينة كواحد من بني عبد الأشهل ، لم يكن حليفاً فقط وإنما أصبح اقرب من هذا اليهم . .

عاصر اشراقة الاسلام الأولى على المدينة المنورة ، فنعم في سعادة ما بعدها سعادة بسنوات الهجرة الأولى وآخى الرسول ﷺ بينه وبين عمار بن ياسر رضوان الله عليه ، فكانت المواخاة في الدنيا وفي الآخرة بين صاحب سر رسول الله ﷺ وعمار بن ياسر رجل الجنة والصابر على الأذى في سبيل دعوته ، فقد احتسبت امه في مكة اول شهيدة في الاسلام على يد الكفار في مكة . . جاء إلى المدينة وقلبه يقطر حزناً والماً فوجد صاحبه واخيه في الإسلام حذيفة ينتظره بشوق المحبين في الله ونعما بنعمه في ظل رسول الله ﷺ ودعوته المباركة ، ولم يلبث حذيفة بن اليمان ان شارك في رحلة الإيمان والجهاد بنفسه وسيفه وماله وغلمه وفطنته . .

نفي لهم ـ ونستعين الله عليهم

كانت قوافل التجارة القادمة من الشام تمر بالمدينة حتى تصل الى مكة ، ولذا كانت المدينة نقطة مرور لرحلة الصيف في الذهاب والعودة .

وكان يوم بدر قد جاء بعد خروج المسلمين من ديارهم في مكة ، واستيلاء كفار مكة على اموالهم . وكان لا بد من الرد على بغي الكفار وظلمهم وضرب قوتهم الاقتصادية التي ظنوا انهم من خلالها يستطيعوا ضرب الاسلام .

وعلم المسلمون بقافلة « أبي سفيان » المحملة بمختلف البضائع

الغالية الثمن ، القادمة من الشام ، فخرجوا لانتظارها والاستيلاء عليها ولكن ابو سفيان كان قد احتاط لنفسه فاتخذ طريقاً محاذياً للبحر وتجنب الصدام مع المسلمين وعادت القافلة الى مكة . . إلا ان قريش خرجت على حد زعمها لتأديب محمد واتباعه وكان مما خرج من المسلمين حذيفة بن اليمان ، ووالده « حسَيْلُ » إلا انهما في الطريق وقعا اسرى في ايد الكفار واحتجزوهما فترة ، ثم اطلقوا سراحهما بعد ان اخذوا عليهم عهداً وميثاقاً بألا يقاتلا إلى جانب محمد ﷺ واصحابه من المسلمين .

عاد حذيفة بن اليمان ووالده الى المدينة وهم في قلق وحيرة بين ان يفوتهم هذا الشرف العظيم وبين ان يوفوا بعهدهم الذي عاهدوا كفار قريش. فجاء حذيفة ووالده الى رسول الله ﷺ واخبراه بما حدث لهما وقالا : يا رسول الله قد احتجزتنا قريش وعاهدتنا مقابل اطلاق سراحنا على عدم القتال معكم ونحن نريد الخروج معك فما قلت ، من ذلك . .

عند ذلك رفع الرسول الكريم رأسه وقال :

بل نفي لهم ، ونستعين الله عليهم . .

ومن أجل هذا السبب لم يشهد حذيفة ووالده غزوة بدر الكبرى .

يوم أُحد

كانت هزيمة الكفار يوم بدر ضربةً قاضية هزت كيان المشركين هزاً عنيفاً وما قتل منهم يوم بدر من أشرافهم جعلهم يديروا أمرهم للانتقام ، ومرَّ عام وتجهزت قريش وتسلحت بالفرسان الكثير العدد وأعدت جيشاً قوياً وخرجت لقتال الرسول ﷺ ، وأبى عليه الصلاة والسلام أن ينتظرهم في المدينة حتى يجيئوا اليه وإنما خرج إليهم .

وأثناء خروجه عليه السلام كان يمنع الصبيان صغار السن والنساء والرجال الطاعنين في السن ، وكان حُسيلُ بن جابر ، والد حذيفة ورجل يدعى ثابت بن وقش ، طاعنين في السن ، فدفع عنهم الرسول ضرورة الخروج للقتال في يوم أحد . .

إلا أن الرجلين لم يلتزما وأحبا الجهاد في سبيل الله رغم اعفائهما من هذه المهمة وجواز تخلفهم ، وخرجا للمشاركة وقالا في نفسيهما :

لا نبالي بالموت : ماذا ننتظر إذن ، إنا نحن جثة هامدة اليوم أو غداً سنموت هيا بنا ، وانطلقا فلحقا بالمسلمين ليكون يوم أُحد هو يوم الشهادة لهما .

ووصلا الميدان وقد أمر الرسول ﷺ رماة الجبل بأن لا يتركوا مكانهم وكان ما كان من تركهم لموقعهم ونزولهم رغبة في الغنائم . .

وأضلت قوة من رماة قريش الجبل وحوصر المسلمون بين الرماة على الجبل ، وبين جيش قريش وأصيب الرسول ﷺ ، وأصبح الميدان معركة رهيبة، قريش تريد أن تنال من صاحب هذه الرسالة المباركة والمسلمين يدافعون عن دينهم قدر جهدهم وقوتهم ، وثار الغبار وحُسيلُ بن جابر يقاتل مع المسلمين واختلط الناس بعضهم ببعض ، وأصبحت الرؤ ية معدومة بسبب ما يثار من غبار وكر وفر الفرسان وصوت الشهداء وهم يلقون ربهم بالشهادة ، والدماء تسيل على رمال أحد ، دماء شهداء المسلمين ، وعن غير قصد ومن وسط هذا الزحام ضربت سيوف المسلمين بالخطأ وطعنت رماحهم بالخطأ أيضاً حُسيل بن جابر ، ولمح حذيفة والده وهو يلقى مصرعه على أيدي أخوانه وأحبائه من المسلمين فصرخ محاولاً منع ذلك قائلاً :

أبي . . أبي ، يغفر الله لكم ! يغفر الله لكم .

وجهش حذيفة بالبكاء وغطى وجهه ، واهتز جسمه من البكاء والحزن وجاء رسول الله ﷺ يترحم على الرجل ويهدىء من روع حذيفة ، وقام الرسول ﷺ يدفع الدية لحذيفة ، دية والده ، إلا أنه تصدق بها على المسلمين ، فعلت مكانته وارتفع شأنه عند رسول الله ﷺ .

. . يوم الخندق

جاءت قريش وفي حسابها القضاء على محمد وأعوانه ودعوته قضاءاً كاملاً وحاصرت المدينة ، وأشار سلمان الفارسي والصحابة الكرام على الرسول بحفر خندق حول المدينة وحفر المسلمون الخندق ، واستمر حصار الكفار للمدينة أياماً طويلة ، ظهر في هذه الأيام دور المنافقين وانكشفت خيانة اليهود ظناً منهم أن الناس قد جمعوا له وأنه وأصحابه مهزومون لا محالة ولكن الله عز وجل يريد لعبده النصر ولجنده العزة والكرامة وسلط سبحانه عز وجل الريح التي اقتلعت خيامهم وطيرتها وهبت العواصف فهربت ابلهم وخيلهم وأصيبوا في العراء .

وبينما كان الرسول ﷺ يصلي ويتهجد ليلاً نظر بعد ختام صلاته وقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟ .

وساد صمت طويل في أوساط المسلمين ، لقد أنهكهم الجوع من شدة الحصار وآلامهم البرد ، وأخذ الخوف قلوبهم على ما يمرون به من مصاعب . . ولم يتقدم أحد لهذه المهمة ، وفجأة نادى الرسول ﷺ على حذيفة قائلاً : يا حذيفة ، اذهب وادخل من مواقع القوم وانظر ما يصنعون ولا تحدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا .

وخرج حذيفة قاصداً تنفيذ المهمة التي كلَّفه الرسول ﷺ بها وقال :

ذهبت ، فدخلت في القوم والريح وجنود الله (يقصد الملائكة) تفعل بهم ما تفعل لا تترك لهم طعاماً ولا ناراً ولا خياماً ، وسمعت أبو سفيان يقول :

يا معشر قريش لينظر امرؤٌ في جليسه (أي انعدمت الرؤيا والثقة فدب الحزن في نفسه) ويواصل حذيفة حديثه عن ذكريات يوم الأحزاب فيقول :

فأخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي فقلت : من أنت ؟

قال : فلانٌ بن فلان .

ثم قال أبو سفيان :

« يا معشر قريش ، إنكم والله ما اصبحتم بدار مقام ، لقد هَلَكَ الكُراعُ والحفُّ واخلفتنا بنُو قُرَيْظَة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، وختم أبو سفيان حديثه بأنه عائد إلى مكة . .

عند ذلك أطلق حذيفة بن اليمان ساقه للريخ عائداً للرسول وأصحابه الكرام بالبشرى وبنصر الله وكفاهم الله شر القتال ، لقدنصرهم بسلاحه وكفاهم شر الحرب والقتال ، وأمنهم من خوف . .

وعندما وصل الى رسول الله أبلغه بتفاصيل ما رأى وسمع ، مما أثلج صدره عليه السلام وصدر الأنصار والمهاجرين على السواء . .

واعتبر حذيفة منذ ذلك اليوم كاتم سر رسول الله ﷺ يأمنه على سرّه ويكلفه بمهام سرية يبتغي منها مصلحة الاسلام والمسلمين ومحاربة النفاق والمنافقين فكان حذيفة يعلم من هم المنافقون ، يعرف صدق ايمانهم ثم يبلغ ما يعرف عنهم من نفاق للرسول ﷺ .

أهل للثقة في دينه

كان النبي ﷺ يُسرُّ الى حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين ، وضبط (منع) عنه الفتن .

وعندما علم عمر بن الخطاب ذلك جاءه ذات يوم يسأل : أأنا من المنافقين ؟

فقال حذيفة : لا ، ولا أذكر أحداً يعدك[1] .

وظل عمر بن الخطاب بعد ذلك يسأله عن المنافقين لما عُرِفَ عنه بأنه كاتم سر رسول الله ﷺ وكان عمر رضي الله عنه ينظر اليه عند موت من مات منهم (أي من المنافقين) فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر[2] .

وروي عن حذيفة أنه قال ذات يوم : « لقد حدثني رسول الله ﷺ مما كان وما يكون حتى تقوم الساعة» لقد كان رضوان الله عليه ذات مكانة رفيعة في مجلس الرسول ﷺ حتى أن أبا الدرداء قال ذات يوم لأحد أصحابه : « أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره » هكذا كان يغار على ثقته من أحبابه وأصحابه ، ومن شدة غيرته هو على دينه رضوان الله عليه .

كان من أشد مواقفه الغيور فيها على دينه ، يوم أن كان مقيماً في الكوفة بأرض العراق فسمع أناساً من المسلمين يبذرون بذوراً للفتنة . . اذ يقولوا أننا نحن أهل الكوفة نتمسك بقراءة « عبد الله بن مسعود » للقرآن الكريم ، وآخرين يقولوا لا بل إن أهل البصرة يتمسكون بقراءة « أُبي موسى الأشعري » للقرآن . .

---

(١) سير اعلام النُبلاء جـ ٢ ص ٣٦٤ ترجمة رقم ٧٦ .

(٢) الاستيعاب جـ ١٠ ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، باب حذيفة .

وكادت هذه الفتنة أن تجعل من المسلمين فريقين يتنازعان فقال رضوان الله عليه في هذا الشأن :

لو ترك الأمر بين الناس على هذا الحال ، ليختلفن في القرآن ، ثم لا يقومون عليه أبداً ، لقد رأيت أناساً من أهل « حمص » يزعمون أن قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم وأنهم أخذوا القرآن على (المقداد بن عمرو) ورأيت أهل دمشق يقولون : أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأن قراءتهم على (عبد الله بن مسعود) وأهل البصرة يقول مثل ذلك وأنهم قرأوا على « ابي موسى الأشعري » ويسمون مصحفه : لباب القلوب . ثم قال رضوان الله عليه :

والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأُشِرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك .

وجاء ذات يوم الى عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضوان الله عليه وأخبره بما جال في نفسه مما سمع وحذره قائلاً : أنا النذير العُريان ، فادركوا الأُمَّة .

وافقه عثمان رضي الله عنه واستشار الصحابة ، فوافقوه على رأي حذيفة عند ذلك قرر جمع القرآن وكلف جماعة القراء بجمع القرآن وأرسل منه نسخاً الى الأمصار والولايات ، وأمر عثمان بعد ذلك بإتلاف كل الآثار الباقية ما عدا مصحفه الذي أرسل منه للأمصار بعد جمعه . .

وشارك حذيفة بن اليمان في معارك الاسلام في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فقد كان قائداً اسلامياً عظيماً في معركة نهاوند ، واستلم قيادة الجيش بعد استشهاد صاحبه البطل « النعمان بن مقرن المزني » وقاتل وأكمل المهمة وكان القتال ضارياً لأنه كان يدور ليلاً وانهزم أمامه الفرس وانتصر المسلمون

وفتح حذيفة « نهاوند » وأكمل الفتوحات حتى « أذربيجان » وخرج من الكوفة غازياً عدة غزوات ، ففتح الله على يديه بلاداً كثيرة . .

وشارك حذيفة جندياً في معارك الاسلام فبينما كان قائداً في نهاوند ، كان قبلها جندياً مخلصاً في القادسية ، ونصيبين ، حارب بسيفه قوى الكفر والباطل ، لم يطمع يوماً في منصب وجاه ، بل ترك الدنيا طمعاً في الدار الآخرة ونعم عقبى الدار ، دار الآخرة ، لحذيفة بن اليمان . .

وداعاً كاتم سر رسول الله

كان حذيفة يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله : إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم .

قلت : وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : نعم . وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟

قال : قوم يهدون بغير هدى تعرف منكم وتنكر .

قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة الى أبواب جهنم . من أجابهم اليها قذفوه فيها .

قلت يا رسول الله صفهم لنا ، فقال عليه السلام : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .

قلت : فما تأمرني « يا رسول الله » ان أدركني ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال : فاعتزل تلك الفرق ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك(١) .

وعلى هذا المنهج عاش حذيفه بن اليمان ، وجاءت أيام الفتنة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فتذكر حديث رسول الله ﷺ له منذ عشرون عاماً فاعتزل الفتنة وعندما جاءه نبأ مقتل عثمان حزن أشد الحزن وقال : اللهم العن قتلتهُ وشَتَّامَهُ ، اللهمَّ إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا ، فاتخذوا ذلك سُلَّماً إلى الفتنة اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف .

وقضى حذيفة آخر أيامه في المدائن حيث كان والياً عليها ومات بعد عثمان بفترة قليلة . وعندما حضره الموت قال : « هذه آخر ساعاتي في الدنيا ، اللهم انك تعلم أني أُحِبُّك فبارك في لقائك » وفي العام السادس والثلاثين للهجرة مات حذيفة ودفن بالمدائن حيث يوجد فيها قبر سلمان الفارسي رضي الله عنهما . . وعن المسلمين اجمعين .

■ ■ ■

(١) اخرجه البخاري في علامات النبوة جـ ٦/٤٥٣ ، ٤٥٤ .

أبو دجانة الانصاري

قال تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين مَعَهُ أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من اللَّهِ ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجودِ ذلك مَثلُهُمْ في التوراةِ ومثلهم في الانجيل كزرعٍ أخرج شطئِهِ فَأَزَرَهُ فاستغلظ فاستوى على سوقِهِ يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وَعَدَ اللَّهُ الذين آمنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ منهم مَغْفِرةً وأجراً عظيماً ﴾ .

لا تخفى سيرة أبو دجانة على أي بطل مسلم ، فمن لا يعرف المقاتل البطل والفارس ذو العصابة الحمراء على رأسه أبو دجانة . .

كان يمشي يتمايل في زهو وفخر بين صفوف أبطال المسلمين فرآه ﷺ يختال في مشيته فقال : انها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموضوع . . كان يعرف في الحرب بعصابةٍ حمراء .

اشترك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة . . .

يوم أحد لا ينسى في تاريخ حياته ، لقد وقع النبل في ظهره دون رسول الله في هذا اليوم حتى كثرت جراحه ، كل هذا دفاعاً وزوداً عن حبيبه وخليله : الرسول ﷺ :

كان انصاري بطل ،شجاعاً له مقامات محمودة في مغازي رسول الله ﷺ .

لقد كان أبـو دجانـة من الأشداء على الكفـار الرحمـاء بالمسلمين أي شرف هذا الذي يناله المسلم بعد أن يدافع عن رسول الله ﷺ ، هل هنـاك مكانة أرفع من هذا المقام ، هنيئاً أبـا دجانـة ، سباق لحب رسـول الله ﷺ وسباق للدفاع عنه والزود عن دينه ، هنيئاً للاسلام هذه المشية الفتية والعصابة الحمراء في موضع قتال الكفار . .

نسبه : هو : سماك بن خرشة بن لوذان بن عبدود بن زيد الساعدي[1] الأنصـاري آخى النبي ﷺ بينه وبين عُتبـة بن غزوان الـذي شارك في سـرية عبد الله بن جحش .

بايع رسول الله ﷺ على الموت يوم أُحد . .

قال ابن سعد : ان لـه ذرية مـا زالت في المـدينة وبغـداد الى اليوم[2] (الى يوم كتابه بن سعد لسيده ابن دجانة) .

كان ابو دجانة يعف لسانه عن أي شيء لا يعنيه .

وكان قلبه مملوءاً بالحب للمسلمين ، هذا ما قاله عن نفسه رضوان الله عليه .

فقد دخل على ابن دجانة ذات يـوم وهو مـريض زيد بن اسلم فـوجد وجهه متهلل ، فسأله زيد : ما لوجهك يتهلّل يا أبا دجانة .

قال : ما من عمل شيءٍ اوثق عندي من اثنتين .

كنت لا اتكلم فيما لا يعنيني .

قال له زيد والأخرى ؟

قال : والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً . .

---

(١) سير اعلام النبلاء رقم ٣٩ ص ٢٤٣ جـ ١ .

(٢) طبقات ابن سعد ابو دجانة .

هكذا كان البطل ، بطل بدر وأُحد واليمامة ، هكذا كان عفَّ اللسان صريحاً مع اصحابه ، لا يخشى في الحق لومة لائم .

كان بطلاً بسيفه ، شاعراً بكلماته التي تثير الحمية في نفوس المقاتلين فكثيراً ما كان يقول الشعر في المغازي والمواقف العصيبة يناجي؟الموت ولا يهابه ، سوف ترى كلماته في غزوة أُحد وبلاءه الحسن في معارك الاسلام ، وقد بدأت معاركه يوم بدر فكان يوم من ايامه المشهودة التي تسجل اسمه في تاريخ ابطال الاسلام .

يوم بدر

كان ابو دجانة واحداً في اول سرية قتالية حقيقة في الاسلام فقد خرج مع اصحابه لمعارضة قافلة ابي سفيان والتي كانت سبباً في « يوم بدر» .

كان ابو دجانة من ابطال بدر ، شارك حمزة بن عبد المطلب فروسيته الرائعة من هذا اليوم المشهور . فهذا حمزة عم رسول الله قد وضع ريشة بيضاء في طرف عمامته ، وابو دجانة ، عصب رأسه ولفها بعصابة حمراء اشتهر بها فيما بعد وكانت تسمى عصابة الموت وعندما تلاقى الجمعان ، هذا مؤمن وذاك كافر باللّه .

المؤمنون قلة غير محسوبة في عداد العدد ، لكن قوتهم لا تقاس بعدد او برقم . . طاش أبو دجانة وهاج وماج يضرب بسيفه يميناً ويساراً ، فكانت رمحه لا تبقي ولا تذر طالما امامها رؤوس كفر تحصد .

وقد كان رضي الله عنه يردد شعراً حباً في حبيبه محمد ﷺ فيقول :

انا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
إلاَّ اقوم الدّهرَ في الكبول اضرب بسيف الله والرسول

كان يضرب بسيف الله ورسوله حقاً ، فكانت الغلبة والنصرة التي قصمت ظهر البعير المتعجرف الطاعن ، الذي نمثل به قريش الآن ، لقد جاءوا بأشرافهم ظناً منهم انه نزهة أو رحلة للصيد ، ولم ينسوا ابداً صاحب العصابة الحمراء ، والفارس الذي وضع على رأسه ريشة بيضاء ، فقد كانوا بسيوفهم سماً يلسع الكفار وموت يلاحق أئمة الكفر ، ابو دجانة الانصاري ، وحمزة المهاجر عم الرسول يوم بدر يشهد ان ابو دجانة ليس فارس الخزرج فقط وانما هو فارس المسلمين يوم بدر ، كان لا يختال بنفسه الا عندما يحمل سيفه للقتال .

لقد شرف الأنصار في بدر واثلج قلوب الخزرج ونعم برضى رسول الله ﷺ .

يوم أُحد

« نفسي دونك نفسي ، وعيني دونك عيني ، والسلام عليك غير مودع» .

في يوم أُحد كانت كلماته السابقة هي النهاية ولكن البداية كانت عندما استعرض القائد قواته ومشى بينهم ينظر فيهم ويسأل الله النصر لهم ، وامسك بسيفه ﷺ وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

فتسارع المسلمون لنيل شرف السيف وهم يقولون وما حقه يا رسول الله فقال :

ـ ان تضربوا به من العدد حتى ينحني .

فصمت الفرسان الا ابو دجانة الذي تقدم خطوات من رسول الله ﷺ قائلاً :

ـ أنا آخذه يا رسول الله بحقه .

فأعطاه الرسول ﷺ السيف وحسبي انه اشرق بابتسامة عندما شاهد عصابة الموت . وقد امسك بها ابو دجانة وراح يربطها فوق رأسه . وبعض الأنصار يقولون في همس : تعصب ابو دجانة بعصابة الموت .

واشتعلت المعركة ، واشتد القتال . وراح سيف رسول الله المبارك يضرب بساعد ابو دجانة كل من يلقاه وقد انحنى ، بينما الفارس يردد قوله المعروف .

انا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
إلا اقومَ الدهرَ في الكبول اضرب بسيف الله والرسول

واهتزت قوة المسلمين بعد ترك الرماة الجبل وحوصر ﷺ فإذا بالفارس يقف حاجزاً كسد منيع يلقى بجسمه سهام المقاتلين عن رسول الله ، فكانت النبال تقع في ظهر وهو يمنعها عن رسول الله ويصيح قائلاً :

« نفسي دون نفسك ، وعيني دون عينك ، والسلام عليك غير مودع» .

هكذا كان وفاء الأنصار لرسولهم ، عاهدوا فصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

يوم اليمامة

ظهر في منطقة اليمامة مسيلمة الكذاب يدعي النبوة ويهاجم دين محمد ﷺ . وبدأت حروب الردة بقيادة خالد بن الوليد لتأديب المرتدين الذين ظنوا ان دين محمداً قد مات معه ، وكانت معركة اليمامة قاسية نظراً لتخطيط اصحابها ، وكثرة اموالهم وخيولهم ، فهزموا المسلمون في بادىء الأمر ، لكن هيهات ان تضيع روح مؤمن هباءً وان ييأس من رحمة الله . فقد استصرخ خالد جنوده ودعاهم للزود عن دينهم فثبتوا ودافعوا وجاهدوا وانهزم

مسيلمة ودخل جيش الاسلام حصن هائل تخلف من وراء رجال مسيلمة وراحوا يرمون المسلمين بسهامهم ونبالهم . وكان خلف الحصن واسواره حديقة واسعة احتمى فيها كل رجال مسيلمة ، وحاول المسلمون اختراق الحصن ولكن دون جدوى .

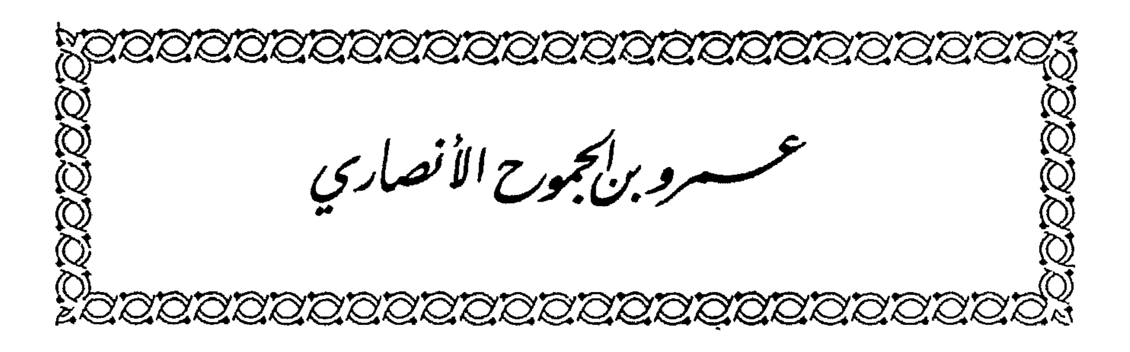
ففكر ابو دجانة وقد ربط عصابة الموت على رأسه وقال لأصحابه ، لا بد من الجهد والتضحية هيا احملوني واقذفوا بجسدي خلف سور الحديقة والحصن فأشفق عليه أصحابه ، فمجرد القائه خلف السور خطر عليه وقالوا :

كيف نفعل ذلك لربما تسقط على حجر او صخر فيصيبك أذى .

ولكنه لم ييأس وظل يلح عليهم ، كي يفتح لهم باب الحصن فيدخلوا على القوم ويحققوا النصر الكبير . .

لم يكد يقول ذلك حتى رفعوه على لوح من خشب برماحهم والقوه الى الداخل خلف السور فسقط على قدمه فانكسرت واصيب اصابة بالغة وتحامل ووقف بطلاً مجاهداً وضرب بسيفه يميناً ويساراً وفتح الباب ونجح في مهمته الانتحارية ، واندمغت قوات المسبلمين داخل الحصن والحديقة وقتل الكذاب وارتفعت راية الإسلام ، وخارت قوى ابو دجانة فراح في موكب الصديقين والشهداء يتبوأ مقعد صدق عند مليك مقتدر ، بعد ان حقق خطوة انتحارية استشهد على أثرها صاحب عصابة الموت . . رحم الله ابو دجانة الأنصاري .

■■■



عمرو بن الجموح الأنصاري

قال تعالى :

﴿كُتِبَ عليكُمُ القتالُ وهو كره لكم وَعَسَى أَن تكرهُوا شيئاً وهو خيرٌ لكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ .

قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده : إن منكم لمن اقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته »[1] .

هكذا قال الرسول ﷺ عن بطلنا الشيخ المسن عمرو بن الجموح الذي انار الله قلبه بالإسلام ، فاحتقر صنمه وخرج من الجهل الى النور وتوج ايمانه بالشهادة في سبيل الله . .

فلقد شارك في جهاد المسلمين وعندما حاول احدهم ان يمنعه بحجة انه اعرج وليس عليه من حرج . . لقد قال يومها :

« والله إني لأرجو أن اطأ بعرجتي هذه الجنة » .

ماذا اراد عمرو بن الجموح من الاسلام إلا الاخلاص لله وطاعته . اي نور هذا الذي اضاء قلب رجل كان يقدس صنمه فحطمه واحتقرهُ . .

ان لصنم عمرو بن الجموح قصة ، هي قصة الانتقال من الظلام الى النور من الجاهلية الى الحق والنور .

---

(١) الاستيعاب جـ ٢ ص ٤٩٧ .

لنعرج على دار عمرو بن الجموح في المدينة لنرى قصة ايمانه الذي توجها بمقعد صدق ، لقد كان يبتغي مقعد صدق وقد ناله بالشهادة . . لنبحر في سيرته لنرى .

الصنم . . وقصة إسلامه

ولما كان عمرو بن الجموح زعيم من زعماء يثرب في الجاهلية ، ورجل من خيرة رجال المدينة الكرام يتحلى بالمروءة والجود والكرم .

وقد كان من عادات الحاهلية ان اشرافها يتخذون اصناماً لأنفسهم في البيت ! للتمسح به والذبح له في المواسم ، وليدعوه عندما يحتاج معونته ، اذا كان قادراً على ان يعين بشر ! !

وفي بيت عمرو بن الجموح اقيم صنم يسمى مناة ، جاء بخشبه الذي صنعه منه جاء به من الحبشة وكان من أغلى انواع الخشب ، وشريف في قومه كهذا ، كثير المال لا بد وان يرعى صنمه ويرعاه . ويعتني به ودهنه بأحسن واجود انواع العطور ودهانات الخشب وبينما بيت عمرو بن الجموح على هذه الحالة السيئة . . إذ بأخبار مصعب بن عمير تصل إلى آذانه ، وتملأ اسماعه واسماع الناس ، في البداية لم يلق بالاً لما سمع ولكنه وجد أن الأمر يسري كسريان الرياح وبسرعة البرق ويأخذ قلوب الناس ، فهذا دين جديد ودعوة مختارة نزلت على رجل من قريش معروف بالصلاح والتقوى وعلو المكانة وشرفها .

وكان قد بلغ الستين عاماً في هذه الأثناء ولم تمض ايام قليلة حتى جاءته اخبار عن هذا الدين تحضه هو واسرته ، فقد دخل ابناءه الثلاثة وأمهم السيدة هند دين هذا النبي الجديد لقد ذهب مع الأبناء معوذٌ ومُعاذٌ ، وخلادٌ وشهدوا جميعاً انه لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وما زال الصنم من بيته ، بينما اصبح البيت كله يشرق بأنوار الإيمان ، ولما ترامت الى سمعه اخبار دخول ابنائه في دين مصعب بن عمير قال لزوجته محذراً « يا هند احذري ان يلتقي اولادك بهذا الرجل (يقصد مصعب بن عمير) لكن هيهات وذلك . . وكرر لها : احذري ، حتى نرى رأينا فيه .

فقالت باسمه : الم تسمع شيئاً من ابنائك عن هذا الرجل ؟

قال : ما سمعت شيئاً عنهم . ايؤمنوا بكلام هذا الرجل ؟

تلعثمت هند وقالت: ما قصدت هذا يا رجل، وإنما ابنك معاذ يحضر بعض مجالس هذا الرجل المكي وقد حفظ بعضاً من كلامه .

فقال في حدةٍ وغضب حاول اخفاءه عن زوجته :

أين هو الآن ؟ دعيه هنا أمامي .

فنادت هند على ابنها معاذ وجاء بين يدي والده . فقال له :

ـ أحضرت مجلس مصعب بن عمير ؟

قال معاذ : نعم يا أبي وسمعت منه كلاماً طيِّباً ينير القلوب ويُصفي النفوس .

قال عمرو : اسمعني شيئاً مما يقول هذا الرجل ؟

فقال معاذ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد للّه رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهمْ ، غير المغضوب عليهمْ ولا الضالين ﴾ .

صمت عمرو برهة وقال لابنه كأنما يحدث نفسه بصوتٍ هادىء .

ما أحسن حديث هذا الرجل وما أجمل كلامه .

وهل كل حديثه بهذا الجمال .

فرح الفتى بكلمات أبيه واندفع نحوه فرحاً يقول هل لك أن تبايعه يا أبي

لقد بايعه عشرات من الناس ، كثير منهم من أشراف المدينة ، لقد سمعت أن أسعد بن أبي زرارة قد بايعه ، وسعد بن عبادة ، وعبد الله بن رواحة ، جميعهم بايعوه وكلهم سادات من بني عبد الأشهل والأوس والخزرج .

قال عمرو بن الجموح : أمهلني يا بني حتى أعود الى آلهتي وأستشيرها في الأمر :

سأذهب لأستشير مناة .

تمتم الولد بكلمات تدل على غضبه من هذا الذي يعبده أبوه قائلاً : وهل يجيب اخرس :

فهب الشيخ صائحاً : ماذا تقول يا فتى ؟ فقال معاذ : لا شيء يا أبي . لا شيء ولكن لن تفيدك استشارته وأخذ رأيه فهو صنم أخرس لا يتكلم .

فقال الشيخ : هكذا أريد أنا ، قطعت على نفسي وعداً ولن أخلفه .

ثم توجه الرجل الى صنمه وبدأ يستشيره ولكن من يجيب ؟ . . فهذا جماد لا يتكلم . . وشعر ابنه معاذ وإخوته بأنه هذا الصنم خطر عليه ، وأنه من يوم أن سمع الفاتحة من ابنه وقد بدأت صورة الصنم تهتز في ذهنه ، ففكر في الأمر ؟ وتدبر مع صاحبه معاذ بن جبل . . وجاءوا ذات ليلة ، وحملوا الصنم من مكانه وأخذوه مسافة كبيرة ، وألقوه في ظاهر المدينة في حضرة تلقى بها الأقذار .

وأصبح عمرو بن الجموح ودخل الى حجرة صنمه لكي ينظر اليه كما يفعل كل يوم الا أنه فوجىء بعدم وجوده في مكانه ، فثارت ثورته وخرج يسأل زوجته وأبناءه أين «مناة»؟ أين صنمي؟ وظل يبحث عنه في بيته وفي أرجاء المدينة حتى وجده ملقى في حفرة على رأسه ، فسحبه في مكانه وقام على نظافته وأعاده الى مكانه وظل يقول : آه لو أعرف من فعلها ؟ لقتلته ؟ ولكن هيهات :

وكرر الفتية هذا العمل عدة ليال . . حتى يأس الشيخ من ذلك فوضع سيفه بجوار الصنم لكي يدافع عن نفسه ، فلم يستطع ذلك بالطبع وجاء الصبية فأخذوا السيف منه ووضعوه مع كلب ميت في الحفرة التي ألقوه فيها سابقاً . . عند ذلك وفي لحظة رؤ ية عمرو بن الجموح هذا المنظر البذيء ، أيقن تمام اليقين أن عبادة هذا الصنم محض هراء وافتراء فعاد الى المسلمين يبحث عنهم ودخل مؤمناً بربه ، داخلاً في رحاب دينه ، فكانت ختام مسك في حياته التي قطع منها ستون عاماً قبل أن يأتي الاسلام .

لقد بعث الى أبنائه وأهله : فجاؤوا فقال : ألستم على ما أنا عليه ؟

قالوا : بلى أنت سيدنا . قال : فأشهدكم اني قد آمنت بما أُنزل على محمد . وأرسل الى مصعب بن عمير يقول : ما هذا الذي جئتمونا ؟ فرد عليه مصعب قائلاً : إن شئت جئناك ، فأسمعناك القرآن .

فأجاب عمرو بن الجموح يقول : نعم تعالوا . . وقرأوا عليه سورة يوسف فكانت بداية النور في قلبه . الذي توجه بالدخول في الاسلام . .

« البطل يوم أحد »

قال رسول الله ﷺ يوم أُحد يدعو المسلمون الى الجهاد :

« قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين »[1] .

فقام عمرو بن الجموح وهو أعرج فراح يقول : وهو يقفز على قدمه العرجاء ويندفع الى الصفوف الأولى من المسلمين :

« والله لا محزن[2] عليها في الجنة » .

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٢٥٣ جـ ١ .

(٢) لا محزن : أي الوثب والقفز .

فقام أبناؤهُ خلاد ومعوذ ومنعاه من الخروج وقالا له: عذرك الله يا أبانا ليس على الأعرج حرج .

فأتى رسول الله ﷺ يشكو أبناءه ويقول : أرغب في القتال يا رسول الله .

فقال عليه السلام : لا عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله يرزقه الشهادة .

سمع هذه الكلمات من الرسول ﷺ وانطلق كالأسد يضرب يميناً وشمالاً وتقول زوجته هند بنت عمرو بن حرام : كإني انظر اليه وقد أخذ سلاحه ورمحه وهو يقول :

اللهم ارزقني الشهادة ، اللهم لا تردني الى أهلي خائباً .

ونظر الى أبنائه يقول لهم : أنتم منعتموني الجنة يوم بدر، والله لئن بقيت لأدخلن ، وكان يوم أُحد وكان النور الذي ملأ وطرد الظلام والوثنية من بين ثناياه ، واشتدت ضراوة القتال وحاصر الكفار الرسول ﷺ في هذا اليوم ، ولكن عمرو بن الجموح راح كسائر أصحابه من الأنصار يزود عن رسول اله ويردد : « إني مشتاق الى الجنة » وقد ذاب شوقه في رحلة ملائكيه عندما استشهد في هذه اللحظات ورآه رسول الله ﷺ يطأ في الجنة بعرجته .

رحم الله عمرو بن الجموح الأنصاري وطيب ثراه .

■ ■ ■

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري

قال تعالى :

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّه يُفْتيكُمْ في الكَلاَلَةِ ان امرؤاً اهَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أخْتٌ فَلهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا فَإنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وإنْ كَانُوا أخوةً رِجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيينِ يُبَيّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ يَضِلّوا واللَّه بِكُلِ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

هذه الآيات الكريمة-نزلت في جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، تَشَرَّفَ ابن نقيب بن نقباء العَقَبة بأن يكون سبباً في نزول هذه الآيات الكريمة ، إنّه صحابي أنصاري من فقهاء الصحابة ولكن كيف نزلت الآيات الكريمة ، وكيف كان سبباً في نزولها ، ولنترك الفتى الكريم جابر بن عبد الله ابن عمرو بن حرام يقص القصة الكريمة في بداية حديثنا عنه وفي مطلع سيرته العطرة التي آثرنا ألا نبدأها إلا بالقرآن . . يقول جابر :

مرضت ، فأتاني النبي ﷺ يعودني هو وأبو بكر وهما ماشيان ، فوجدوني قد أغمي عليّ ، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صبَّ علي من وضوئه فأفقت فقلت : يا رسول الله : كيف أقضي في مالي ؟ . . أو كيف أصنع في مالي ، وكان لي تسع أخوات .

قال جابر : فلم يجِبني شيئاً حتى نزلت الآية الكريمة ﴿ يستفتونك قل

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٧٦ .

الله يفتيكم ﴾ فقال له الرسول بعد نزول الآية الكريمة (وقد أفاق جابر من غيبوبته) .

يا جابر : لا أراك ميتاً من وجعك هذا ، وإن اللّه قد أنزل فبين الذي لأخواتك فجعل لهم الثلثين .

أي شيء أشرف من هذا يُفتخر به ، أي شيء يجعل الإنسان سعيداً أكثر من أن ينزل فيه القرآن ، هنا يقول جابر بن عبد الله الأنصاري كلما سمع الآية الكريمة .

أُنزلت هذه الآية ، ويستفتونك « فيّ » ـ هنيئاً لك إبن النقيب هنيئاً للأنصاري ابن الأنصاري ـ هنيئاً له اخلاصه وعفته عن المال ، ورغبته في الآخرة لا الدنيا .

المولد والنشأة

وُلد جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام في العام السادس عشر قبل الهجرة بالمدينة المنوَّرة يكنى أبا عبد الله .

نسبه : هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله ، أحد المكثرين عن النبي ﷺ ، روى عنه جماع الصحابة[1] .

أمه : نسيبة بنت عقبة بن عُدي بن سنان بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم[2] . في المدينة المنورة نشأ ، وتحت ظلال بساتينها المعطاءة ترعرع .

---

(١) الاصابة جـ ١ ص ٢١٦ .

(٢) الاستيعاب جـ ١ ص ٢١٩ .

نشأ في بيت شريف من أشراف الأنصار والـده عبد الله بن عمـرو بن حرام نقيب الخزرج يوم العقبة الثانية ، نعم هو أحد نقباءهم التسعة في هذا اليوم المبارك .

نال النقيب الوالد عبد الله بن عمرو الشهادة يوم أحد وما زال جابر فتى أوشك أن يبلغ مبلغ الشباب.

كان لهذا الرجل الصحابي عبد الله بن عمرو « أبو جابر » مزرعة خارج المدينة يصحب معـه جابـر ابنه كلمـا خرج اليهـا ، وكان هـذا المكان وهـو المزرعة ، أحب مكان للفتى جابر يمرح بين بساتينها ويشاهد الماء يتدفق في جنباتها .

سمع الفتى عن زائر جديد جاء من مكة الى المدينة . . وسمع عن دين جديد هو سبب مجيء الرجل الى المدينة أيضاً ، عرف أن أبوه يتوق لاخبار هذا الرجل التي بدأت تغـزو قلوب الناس على اختلاف أعمارهم وثقافاتهم .

وحسبي أنه تساءل في نفسه : ماذا يريد هذا الرجل القابع في دار أسعد ابن زرارة ؟ والذي آمن به ومعـه سعد بن عبادة ونفر كثيـر من أبناء أشـراف المدينة .

ماذا يحمل مصعب في جعبته من أخبار ، ولكن قليل من الناس الذين فهموا دعوة الرجل في البداية ، دعوة خير وسـلام ، فلماذا لا يـدخل دعـوة الخير والسلام . وانشغل فكر الفتى بهذه الأخبار مع أترابه بالمدينة ولكنه عم قليل سيعرف كل شيء . .

ابن النقيب

وبينما هو في فكره هذا ، وحديث الناس يملأ المدينة عن الدين الوافد من مكة الذي يدعو اليه فتى قرشي هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، في خضم هذه الأخبار كلها صحا من نومه ذات يوم فوجد والده يتجهز لرحلة بعيدة ، وتساءل : لم يعتَد والـدي أن يذهب في رحلة بَعيدة دون أن نعلم وجهتَهُ ؟ ترى الى أين ؟ .

وهم أن يسأل الوالد عن ذلك ، ولكنه بادره ، بوصية المسافر بالأسرة في المنزل ، وبمزرعتهم الكائنة على مشارف المدينة ، فأومأ لوالده بإيمـائة الطاعة بينما نظراته لا تخفي التساؤ ل . . الى أين يا أبي ؟

ولكنه أطرق صامتاً لا يؤول على شيء وترجل الوالد فـرسه ورفـع يده محيياً وملأ عينيه بابتسامة ، تكلَّف الرد عليها جابر ورفع عيناه مودعاً وانطلق الفـارس يلحق بأخـوانه ، لكنـه لم يلبث أن هرول خلفـه وصوتـه يـدوي : أبي . . أبي ، انتظرني . .

توقف الفارس وعاد يتهادى لابنه : وقال : ما خطبك يا فتى .

قال : اصحبك يا أبي في رحلتك . .

صمت الرجل قليلاً . . ثم تنهد وقـال هنا أقبـل ووضعه خلفـه على الفرس حتى يلحق القافلة ، ثم يلحق بناقة أو بعير منها ، وراح الفارس يعب الطريق وفي صدره الكثير من التطلع إلى الـداعية الجـديد وحـديثه العـذب وعلى مشارف مكة ، توقفت ارتال القافلة وتعادى عبـد الله بن عمرو بفـرسه ونزل القوم في شعب من شعـاب مكة يسمى العقبـة ، لم تكن المرة الأولى لهذا اللقاء بين الرسول ﷺ والأنصار ، وإنما كانت المرة الثانية فقد مضى عام

على العقبة الأولى وغربت الشمس ، وكان الموعد في الثلث الأول من الليل عندما أشرق النور قادماً بين شعاب مكة ، قدم الرسول ﷺ ومعه عمه العباس ، وتأمل الفتى وجه الرسول المشرق وسمعه يقول : تخيروا اثني عشر نقيباً منكم أتحدث معهم وأبايعهم ، وكان الوالد عبد الله أحد الذين شرفهم الله بوضع يده في يد رسول الله ﷺ وبايعه على السمع والطاعة في المنشط والمكره . وسمعه جابر وهو يقول : الدم ، الدم ، الهدم الهدم أحارب ما حاربتم ، فأنا منكم وأنتم مني . .

أحس الفتى بأن قلبه يخفق لهذا الرجل ولدعوته ، انه بحر من الحب ونهر من الحنان والصدق ، أحس بيده وهي تمسح رأسه ، فارتعش جسمه من حرارة استقباله لوالده وللفئة الطيبة التي بايعته في بيعة العقبة الثانية .

وفي اليوم التالي عادت القافلة الى المدينة بعد أن بايع الأنصار الرسول ﷺ وفي الطريق استمع جابر الى الكثير من أصحاب والده وأهله لما جاء به هذا الدين ، كيف يصلح ؟ كيف يكون المسلم للمسلم ؟ سمع آيات من القرآن الكريم ، سمع والده يقول لقد سخر الله لنا الأرض والسماء والشمس والقمر ﴿ كل في فلك يسبحون ﴾ وأنعم على الانسان بنعم ظاهرة كثيرة كالصحة ، والمال والولد ، وباطنة لقد رحمه من هول عذاب شديد ويقبل توبته اذا تاب كل هذه الكلمات الطيبة المباركة جعلت جابر يشعر بنور يشرح صدره وقلبه للايمان وجاء رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأصبح الفتى جابر من السابقين للاسلام بحكم سنه الحديث ، وجاءت الأحداث الهامة وأراد الكفار ضرب دين الله في مهده وكانت غزوة بدر هي بداية الصراع الحقيقي بين الحق متمثلاً في رسول الله وأصحابه مهاجرين وأنصار، ومن اتبعه وعاهده على السمع والطاعة ، وبين قريش دائمة الكفر فيها وما جمعت حولها من قبائل وفرسان لهم الصولة والجولة في الكرِّ والفرِّ وفنون الحرب والقتال

والفروسية كان لا بد للنقيب عبد الله وابنه جابر من دور يؤدوه جهاداً في سبيل الدين واستنصاراً لدعوة محمد ﷺ ، ترى ماذا فعل النقيب وابنه في غزوة بدر ؟ سنرى عما قليل . .

جهاده

لم يكن جابر قد بلغ سن المقاتلين في غزوة بدر ولكنه شارك المسلمين فرحة النصر فلربما تمنى أن يأتي اليوم الذي يواجه فيه قوى الكفر من القرشيين الكفار الذين ظنوا أن هؤلاء المستضعفين لقمة سائغة لهم ـ ولكن الله أخلف ظنهم ، وجاءت غزوة أحد في العام التالي وجلس عبد الله بن عمرو والد جابر يوصي ابنه قبل خروجه للقتال فيقول : « يا بني إني أرجو أن أكون من أول من يصاب غداً، فأوصيك ببنات عبد الله خيراً» (يقصد اخوته البنات) .

كان يود الخروج للقتال معهم ولكن وصية والده حالت دون ذلك فما كان منه إلا أن ذهب الى رسول الله يقول : يا رسول الله ، إن أبي خلفني على اخوات لي سبع وقال : يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك ان تترك هؤلاء النسوة لا رجل منهن ولست بالذي او ترك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلف على اخواتك . عند ذلك اذن له الرسول ﷺ فخرج عبد الله وشارك في غزوة أحد وكان بطلاً صنديداً يضرب بعنف كل من يلقاه ، ونترك جابر يتحدث عن هذه الواقعة :

قال جابر : لما قتل أبي يوم أحد جعلت اكشف الثوب عن وجهه ، وأبكي ، وجعل اصحاب الرسول ينهونني والنبي ﷺ لا ينهاني ، وعمتي فاطمة بنت عمر تبكي عليه .

فقال النبي ﷺ : « ابكيه او لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » .

ويكمل جابر قصة غزوة أحد وأحداث مقتل والده : ان رسول الله ﷺ لما خرج لدفن شهداء أحد قال : زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم ما من مسلم يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دماً اللون لون الزعفران والريح ريح المسك » .

ثم أضاف جابر : وكفن أبي في غرة واحدة ـ وقال ﷺ : أي هؤلاء كان أكثر أخذاً للقرآن ؟ فاذا اشير إلى الرجل قال : قدموه في اللحد قبل صاحبه . . وصلى عليه السلام على عبد الله ابي جابر ـ وقال : ادفنوا عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء ، ادفنوا هذين المتحابين في قبر واحد . فدفنا في قبر واحد . . رضوان الله عليهم .

عاش جابر بعد وفاة والده كأول شهيد في غزوة أحد مهموماً ، لا يفارق الحزن قلبه ولا تتحرك شفتاه بابتسامة ، وذات يوم مر به رسول الله فاذا هو على حاله الحزينة وقلبه المنكسر الحزين فقال له ﷺ : يا جابر مالي أراك منكسراً مهتماً ؟

فقال جابر : يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وعليه دين .

قال عليه السلام : أفلا أبشرك بما لقي الله به اباك .

قال جابر : بلى يا رسول الله ـ قال عليه السلام : إن الله احيا أباك وكلمه كفاحاً وما كلم احداً قط إلا من وراء حجاب .

فقال : يا عبدي تمن اعطك .

فقال : يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية .

فقال الرب سبحانه وتعالى : إنه سبق مني أنهم اليها لا يرجعون .

قـال : يا رب فـأبلغ من ورائي . فأنـزل الله الآية الكـريمـة : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

جابر محدث عن رسول الله
(يوم غزوة الرقاع وصلاة الخوف)

لازم جابر الرسول ﷺ فروى عنه الكثير ويروي لنا هنا قصة صلاة الخوف من حديث عن رسول الله ﷺ فيقول عن ذكرياته في غزوة ذات الرقاع مع رسول الله ﷺ: غزوت مع رسول الله قبيل نجد ، فلما قفل مع أصحابه ادركتهم القائلة (حرارة الشمس أو القيلولة) في دار كثير العضاة[1] . فنزل الرسول ﷺ ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل النبي ﷺ تحت شجـرة فعلق بها سيفه .

قال جابر : إن رجلاً من بني محارب يقال له غورث ، قال لقومـه من غطفان ومحارب : ألا اقتل لكم محمداً .

قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟

قال الرجل : افتك به .

واضاف جابر يروي قصة الرجل : فجاء وسيف رسـول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فسله (اي رفعه من يده) .

فقال لرسول الله : أتخافني ؟

فقال النبي ﷺ : لا .

قال الرجل : فمن يمنعك مني .

قال : « الله يمنعني منك » .

قال : فتهدده اصحاب رسول الله ﷺ . فأغمد السيف وعانقه .

قـال : فنودي بـالصـلاة فصلى بـطائفـة ركعتين ، ثم تـأخـروا وصلى

---

(١) العضاة : أي الشجر الكثير .

بالطائفة الاخرى ركعتين .

فقال جابر : فكانت لرسول الله ﷺ اربع ركعات وللقوم ركعتان .

وعاد المسلمون من غزوة ذات الرقاع وكان الرسول ﷺ بينهم وبينما هم في الطريق ابطأ بعير جابر فتخلف عن الركب ، واخذ الركب يمضي بينما جابر يتخلف . فتخلف رسول الله وادرك جابر وسأله : مالك يا جابر ؟

قال جابر : يا رسول الله ابطأ بي حملي هذا .

قال عليه السلام : انخه يا جابر .

فأناخ جابر بعيره ، عندئذ قال له الرسول ﷺ : اعطني هذه العصا من يدك .

فأعطاه جابر واخذها عليه السلام فنخس بها الجمل نخسات وقال : هيا اركب يا جابر .

يقول جابر : « فخرج والذي بعثه بالحق يسابق ناقة رسول الله مسابقة » .

فتبسم الرسول قائلاً : يا جابر « اتبيعني حملك هذا » .

مع الرسول في غزوة ذات الرقاع

قال جابر : قلت : يا رسول الله بل أهبه لك .

قال : « لا ، ولكن بعنيه » .

قال جابر : « فسمه يا رسول الله » - اي اجعل له سعراً .

قال عليه السلام : قد اخذت بدرهم وزاد درهمين وانا ارفض حتى بلغ ثمنه اوقية .

قال جابر : قلت : افقد رضيت يا رسول الله ﷺ ؟

قال عليه السلام : نعم رضيت .

قال جابر : ولما ذهبت الى المسجد لاقدم له الجمل قال : فهو لـك ودعا بلالاً .

فقال له : اذهب بجابر فاعطه اوقية .

قال جابر : فذهبت مع بلال فأعطاني اوقية وزادني شيئاً يسير .

ثم اضاف : فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب امس فيما اصيب لنا .

لقد بارك الله عز وجل في هذا المال المبـارك والذي جعله جـابر في خدمة دعوة الله فأصلحه الله له واصلح شأنه وبارك فيه .

ويمضي جابر في رحلته مع رسول الله فيتحدث عن يوم الخندق ـ ترى ماذا يقول ؟ يوم الخندق .

قال رضوان الله عليه : علم رسول الله ﷺ بخروج قريش إليه ، بعد ان اجمعوا امرهم على قتاله ، فأمر عليه السلام بحفر الخندق حول المدينة ، فعمـل فيه عليـه السلام ليـرغب المسلمين في الأجـر ويشجعهم ، وعنـدمـا اعترضت المسلمين صخرة كبيرة مما جعلهم يشكون ذلك الامـر إلى رسول الله ﷺ ، فطلب عليه السلام منهم اناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يـرعـو به ، ثم نضج ذلك الماء على الصخرة . فانهـارت الصخرة تحت ضربات المسلمين لتحطمها والتي كانت عنيدة قاسية .

قال جابر : فعدت الى بيتي واعددت شاة مشوية وطعاماً لرسول الله ﷺ .

في غزوة الخندق

وفي المساء تقدم جابر من الرسول وقال : يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير . فأحب ان تنصرف معي إلى منزلي .

فقال له عليه السلام : نعم .

ثم امر بأن ينادي منادٍ المسلمين : ايها المسلمون انصرفوا الى دار جابر بن عبد الله .

فقال جابر : « انا لله وانا اليه راجعون » .

واقبل الناس جماعات ، فما ان تنهي جماعة طعامها ، حتى تأتي الاخرى وبارك الله في شويهة جابر بن عبد الله الانصاري .

وفي عهد عثمان بن عفان مات جابر بن عبد الله مات قارىء القرآن ، وصاحب رسول الله . وداعاً ابن النقيب وسليل أحد السابقين الاشراف وراح جابر يتبوأ مقعد صدق عند مليك مقتدر في جنة النعيم . رحم الله جابر الانصاري رحم الله الأنصار .

■ ■ ■

قتادة بن النعمان الأنصاري

قال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيماً ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضي من القول وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يَظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ومَنْ يكسبْ اثماً فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً ومن يكسب خطيئته أو اثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً ﴾ [2] .

ان لقتادة بن النعمان شرف السبق ، فقد كان سباقاً يوم البيعة الكبرى كان ضمن وفد يضم سبعين رجلاً وامرأتان : هما نسيبة بنت كعب أم عمارة ، واسماء بنت عمرو بن عدي .

لقد نال قتادة هذا الشرف وجلس يستمع للرسول ﷺ وشارك في الحوار الكبير وفي البيعة المباركة يوم العقبة ، ولم يكن اللقاء الأول والاخير ولكن

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٥ ـ ١٠٨ .

(٢) سورة النساء الآية ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

كان له من لقاءات اخرى ومعجزات نبوية تحققت بسببه على يد الرسول ﷺ ، وهو شقيق الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري لأمه ، رضي الله عنهما ذرية طيبة بعضها من بعض . وقد روى عنه اخيه ابي سعيد الخدري كثيراً من احاديث رسول الله ﷺ .

كان رضوان الله عليه فارساً يجيد الرمي بالنبال ، ديه فراسة الصيد حيث الكفار في معارك الاسلام ، عاصر معارك المسلمين حتى ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . كان انصاري بحق من اشرافهم المبايعين السابقين للدعوة الذين اعطوا لدينهم دون تمنن ، لم ينتظروا من الدنيا شيء وانما كان اجرهم في الآخرة ، والآخرة خير وابقى .

نسبه : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر المجاهد ، أبو عمر الأنصاري الظفري البدري . من نجباء الصحابة [1] .

أمه ، انيسة بنت قيس النجارية[2] وأم أبي سعيد الخدري أيضاً فهما شقيقان لأم واحدة .

ولد رضوان الله عليه في المدينة المنورة ، وعاش في ربوعها يوم أن كانت يثرب ، لم يستجب كثير للجاهلية فقد بايع الرسول ولم يتجاوز الثلاثون عاماً ، بايعه في العقبة الثانية وشارك في الحوار بين النقباء والرسول ﷺ .

يوم العقبة الثانية

جلس قتادة بن النعمان في شعب يحيطه الظلام بالقرب من كان ينتظر

---

(١) سير أعلام النبلاء رقم ٦٦ ص ٣٣١ جـ ٢ .

(٢) الاصابة جـ ٣ ص ٢١٧ .

واصحابه من الانصار تقدم رسول الله ﷺ ، ولم يمض نصف الليل إلا وكان الرسول ﷺ في موعده معهم وجلس بينهم وقد اهتدت قلوبهم قبل أن يتحدث اليهم صلوات الله وسلامه عليه ووقف عمه العباس بن عبد المطلب يقول : « يا معشر الخزرج ، ان محمد منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ، ومنعة من بلده وانه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون انكم وافون بم دعوتموه ومانعوه مما خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده»(١) .

عند ذلك رحب الفتية والابطال ومعهم قتادة ، بما سمعوا من عم رسول الله ﷺ وقالوا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما احببت عند ذلك تكلم الرسول وقال : ابايعكم على أن تمنعوا عني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم .

عند ذلك قال قتادة : فأوشكت ان أقوم فسبقني الى ذلك البراء بن معرور فاخذ بيد رسول الله ﷺ ثم قال :

نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك ما نمنع منه نساءنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل حرب واهل السلاح ، ورثناها كابراً عن كابر » عند ذلك تدخل ابو الهيثم بن التيهان وقال :

يا رسول الله ، ان بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها (يقصد اليهود) فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا .

تبسم رسول الله في وجه ابو الهيثم بن التيهان وقال :

---

(١) سيرة ابن هشام ـ بيعة العقبة التانية .

« بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وانتم مني ، أحارب من حاربتم واسالم من سالمتم » .

منذ تلك اللحظات الملائكية العظيمة ، اصبح قتادة بن النعمان عضواً نشطاً وبارزاً في الدعوة الاسلامية وصحابي جليل من أصحاب رسول اللهﷺ . عاد إلى المدينة عضواً في الموكب والجماعة ، حفيظاً عليها وعلى تعاليمها ، دخل بيته فأسلم ابناءه وزوجته واصبحت اسرة أنصارية إسلامية عظيمة . تسمع القرآن وتحفظه من مصعب بن عمير وكان قتادة أول أنصاري في المدينة يحفظ سورة مريم .

ولم يطل الوقت على مجيء الموكب المبارك من ثلة ، لقد انتظر الانصار جميعاً هذا الموكب العظيم وكان حلماً بالنسبة لهم فأصبح حقيقة ، اصبحت مدينتهم الشمس التي اشرقت بنور الدعوة بعد ثلة وبدأت منها تعاليم الاسلام الحنيف .

جاء الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وشارك قتادة واسرته في الترحيب بالرسول حنيفاً وساكناً في المدينة فكانت اغنياتهن العزبة هي حفلة المدينة بدخول المصطفى ﷺ وكم تاقت نفس قتادة الى أن يجعل رسول الله مقيماً دائماً في داره ولكن كان ابو ايوب اكثر حظاً منه ، فسكن الرسول في بيته ونزل في داره وبدأت وفود الصحابة من الانصار في التوافد على دار ابي ايوب الانصاري .

قتادة الجندي البطل

ومنذ وصول الرسول ﷺ الى المدينة اصبح قتادة فارساً من فرسان الاسلام ففي غزوة بدر شارك وكأنه عشرة رجال بل واكثر من هذا لقد ضرب بسيفه وطعن برمحه الكفار ونال شرف هذا اليوم فهو بدري .

وفي غزوة «أُحد» واجه المسلمون اختباراً قاسياً وحوصر بينهم وحاول اعداء الله النيل منه وقال واحد من ائمة الكفر وهو أبي بن خلف :

ـ أين محمد . . لا نجوت إن نجا .

فقام قتادة وجماعة من اصحاب رسول الله يريدون الانتقام ولكنه ﷺ قال : دعوه ـ اتركوه ، ولما اقترب من الرسول امسك بحربة من حراب المسلمين وطعنه في عنقه ، فلم ينج الكافر ونجا محمد ﷺ . وانطلق قتادة ابن النعمان بعد ذلك يضرب يمينا ويساراً ويسير غبار الفرسان ، واخذ يضرب كل من اقترب من حبيبه محمد ﷺ ونالت منه سهام الاعداء ، وامتلأ الجسد الطاهر بالجراح حتى شارك بكل ما يملك من قوة في إبعاد الكفار عن رسول الله وانتهت المعركة وخلفت لقتادة عينه وقد خرجت « حدقتها » وسالت على وجهه وقد امسك بها عرق في قاعها ، فجاء الى رسول الله يقول :

« يا رسول الله إن عندي امرأة أحبها ، وان هي رأت عيني خشيت ان « تُقذرني » عند ذلك مد الرسول ﷺ راحته الكريمة ودفع بها حدقته حتى اعادها الى مكانها داخل عينه ، وقال :«اللهم اكسبها جمالاً » . ولقد اكسبها الله جمالاً ما بعده جمال وعادت سيرتها الأولى وافضل وصارت عينه مفخرة له ولأبنائه واحفاده فيما بعد إذ دخل احدهم ذات يوم في المدينة على خليفة رسول الله عمر بن عبد العزيز ولما سأل الخليفة من هذا ؟ اجاب الفتى وكان حفيد لقتادة بن النعمان . اجاب قائلاً :

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردَّت بكف المصطفى احسن الردِّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حُسن ما عين ويا حسن ما وردِّ[1]

فأجاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

---

(١) الاستيعاب ص ٢٣٩ جـ ٣ ـ ط دار الكتاب العربي .

تلك المكـارم لاقعبـان من لـبن شـيئـاً فعـادت بعـد أبـوالا[1]

كان رضوان الله عليه مجتهداً في دينه ، قريباً من الرسـول ﷺ جسماً وقلباً ، كان لا يهاب الظلام ولا البرد في سبيل أن يؤدي فرائضه ويسجد لله عز وجل وها هو ذات ليلة يلتقي بالرسول لقاء كله ايمان كعادة هذا اللقاء كل مرة ولكن في هذه الليلة بالذات كانت السماء في ظلام شديد وعواصف وبرد في كل مكان ، وبينما البرق يبرق في السماء اذا بالرسول ﷺ يهتف : يا قتادة ، يا قتادة . .

قال قتادة : نعم يا رسول الله انا قتادة . علمت ان شاهد الصلاة الليلة قليل ، فاحببت ان اشهدها . .

فقال الرسول ﷺ : اذا انصرفت فائتني (اي تعال عندي) .

فلما انصرف جابر الى رسول الله فاعطاه عرجوناً وقال له :

« خذها فسيضيء أمامك عشراً وخلفك عشراً » [2] .

هنيئاً لك قتادة بن النعمان ، هنيئاً لك عوجـرن الايمان ومصباح الهداية من رسول الله ﷺ ، لقد كان قتادة مؤمناً يجتهد في دينه ، ويخلص فيه اداءاً وسلوكاً . كان محدثاً عن رسول الله ﷺ . يحرص على صلاة الجماعة ويسرع الى المسجد مبكراً ، كان يتلو القرآن ويتدبر آياته الكريمة ولقد روي عن رسول الله قوله :(عن قل هو الله احد) قال قتادة قال رسول الله ﷺ لأصحابه :

ايعجـز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟

فاستكثروا ذلك عليهم وقالوا :

أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟

---

(١) الاستيعاب ص ٢٣٩ جـ ٣ ـ ط دار الكتاب العربي .

(٢) الاستيعاب جـ ٣ ص ٢٤٠ .

فقال : « الله احد الله الصمد ثلث القرآن » [1] .

هكذا كان قتادة موحداً بربه ، مؤمناً بانه لا إله إلا هو الواحد القهار وظل قتادة بن النعمان قريباً من حبيبه وصفيه محمد ﷺ حتى جاء يوم فتح مكة وخرج جيش الفتح يحقق رؤيا رسول الله انه قد دخل مكة فاتحاً ويكمل ما بشر به القرآن الكريم حين قال : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لينصر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [2] .

وانطلق جيش المسلمين في عشرة آلاف مقاتل من بينهم قتادة بن النعمان ، وحسبي انه قارن بين تلك الليلة الذي بايع فيها خفية ومن الظلام منذ عشر سنوات رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره وها هو الرجل تلتف حوله الآلاف المؤمنة المؤلفة قلوبهم لهتف من مكة جهاراً نهاراً ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

وقف مبهوراً وفي ذاكرته الخوف ليلة العقبة الثانية من بطش الكفار بما يبايعون محمد ، وها هم الكفار اسرى ضعاف في يد محمد اليوم بعد عشر سنوات فهل ينتقم منهم . . وقف مندهشاً عندما سمع منهم كلمة « اخ كريم وابن اخ كريم » ويرد صلوات الله وسلامه عليه ، عليهم قائلاً : « اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

ما أكرمك يا رسول الله ، وما أجل عفوك وتسامحك ، حقاً لقد علمك شديد القوى ذو مرة فاستوى ، حقاً ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾[3] شتان بين الأمس واليوم ، بين غرور الكفار بالأمس ومذلتهم اليوم وانتصار الاسلام .

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن .
(٢) سورة الفتح الآية الأولى .
(٣) سورة القلم الآية ٣ .

صراع مع المنافقين

كان قتادة بن النعمان صادقاً في حديثه وفياً لوعده مع اصحابه من المسلمين واخوانه من الانصار . وقد كان له موقف كاد أن ينال منه إلا أن القرآن نزل واثنى على الرجل الانصاري المجاهد رضوان الله عليه ، فلنتركه يروي هذا الموقف .

قال قتادة بن النعمان : كان أهل بيت منا يقال لهم ابيرق ، ومن بينهم رجل يسمى بشير وكان رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجوبه اصحاب النبي ﷺ ثم يعطيه هبة وهدية لبعض العرب في القبائل وتبشير الى آخرين من الشعراء . فلما سمع الصحابة ذلك الشعر قالوا :

« والله ما يقول هذا الشعر الا هذا الحبيب بشير» .

ويكمل قتادة فيقول : ان بشير وقومه كانوا فقراء في الجاهلية وكان الناس لا يجد من طعاماً في المدينة الا التمر والشعير . وكان الغني في المدينة هو الذي يشتري من تجار الشام الذين يحضرون دقيقاً وزيتاً كان الغني يشتري الدقيق من التجار فيأكل هو من الدقيق واولاده من التمر والشعير ، وجاءت قافلة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدقيق ووضعه في غرفته بجوار سلاحه (درع وسيف) وجاء من سرق الدقيق والسلاح من تحت البيت فنقب الغرفة ، وسرق كل هذا . . فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال :

«يا ابن أخي ، إنه عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت شرائبنا وذهب بطعامنا وسلاحنا» .

ثم قال قتادة : فبحثا عن السلاح عن اهل بشير هذا فاتهموا لبيد بن سهل وكان مسلماً صحيح الاسلام (وأرادوا بذلك الطعن في ذمة مسلم) .

فلما سمع لبيد أمسك بسيفه وقال : أنا أسرق ؟ .

فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لنبين هذه السرقة . فخافوا من لبيد وقالوا : اليك عنا أيها الرجل ، فما أنت بصاحبها فسألنا عن الدار ، حتى لم نشك أنهم أصحابها .

وأكمل قتادة حديثه فقال : قال لي عمي : يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك . فذهبت الى رسول الله ﷺ فقلت :

« إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا الى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا غرفة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه » .

فقال النبي ﷺ : سأبحث الأمر .

« ولما سمع القوم بأن الأمر عُرض على رسول الله ﷺ جاءوا اليه يقولون :

يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه يتهموننا السرقة وما كنا قبل ذلك نقوم بعمل مثل هذا » .

قال قتادة :

فرجعت ، وأنا أتمنى لو خرجت من بعض مالي ، ولم أكلم الرسول ﷺ في ذلك أبداً .

فأتاني عمي رفاعة فقال :

« يا ابن أخي ما صنعت » ؟

فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺفقال : الله المستعان ونزلت الآية الكريمة تبرىء قتادة وعمي وتثبت باطل قول هؤلاء الناس قال تعالى :

﴿ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا

تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله إن الله غفوراً رحيماً ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم * إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يُبَيِّنون ما لاَ يَرْضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾[1] .

ولما نزلت الآيات أتى رسولِ الله ﷺ بالسلاح فرده الى رفاعة بن زيد .

ولما أعيد السلاح الى رفاعة قال لقتادة : يا ابن أخي هو في سبيل الله .

وهرب بعد ذلك بشير واحتمى بالمشركين . . ولم ينفق نفاقة هذه صور من حياة ومواقف انصاري بدري مطيع لربه ولرسول الله ﷺ عاش يجاهد في سبيل دينه بعد وفاة الرسول وفي خلافة أبي بكر الصديق ، وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مات قتادة بن النعمان في السنة الثالثة والعشرين هجرية ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونزل في قبره أبو سعيد الخدري شقيقه لأمه رضي الله عنهما اللهم ارحم قتادة ، فقد أدى دوراً عظيماً في الاسلام والحقنا به وبالصالحين في الجنة ، وارزقنا شكر نعمتك ، ورحمتك التي نتوق اليها ، يا رب .

■ ■ ■

---

(١) الآيات ١٠٥ ـ ١٠٨ من سورة النساء .

معاذ بن جبل الأنصاري

قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يذكرونَ اللَّهَ قياماً وقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِم ويتفكرُونَ في خَلْقِ السمَاواتِ والأرضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا باطِلاً سبحانك فَقِنا عَذَابَ النَّارِ ﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ :

ـ يا معاذ بن جبل . . أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث . .

ـ يا معاذ بن جبل : اذكر الله في كل حَجَرٍ وشَجَرٍ وأَحْدِث مع كل ذنب توبَةً .

ـ يا معاذ والله اني لأحبك . . فقلت لي : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك .

فقال عليه السلام : أوصيك يا معاذ لا تَدَعَن دُبُر كلَّ صلاة أن تقول : اللهمَّ اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . .

هكذا كانت مكانة الصحابي الجليل عند رسول الله ﷺ .

إنه عالم الاسلام المتوج بعلمه ، انه بطل من أبطال القرآن .

معاذ بن جبل صحابي أنصاري ضرب المثل في الوفاء ، إنه أعلم أمة محمد بالحلال والحرام . . هذا قول رسول الله ﷺ عن معاذ . .

---

(١) الآية ١٩١ من سورة آل عمران .

قال ﷺ : مُعاذ بن جبل أعلم أمتي بالحلال والحرام .

خدم الاسلام جندياً شجاعاً ، وقاضياً حكيماً ، وسفيراً وفيّاً لرسول الله ﷺ كان يتعلم ويعمل فأصبح عالماً عاملاً صابراً في الضراء شاكراً في النعماء معاذ بن جبل صحابي حسن المنظر والمظهر ، مهيباً وقوراً ، سمحاً جميلاً ، من أفضل شباب الخزرج ، كان عفيف النفس رضيها ، كريماً كَرَمَ الأجواد سخياً في عطائه للفقراء ، هذه هي العبارات الأولى نقولها من سيرة اعلم أمة محمد بالحلال والحرام ، وأكثرها علماً وفقهاً .

نسبه : هو معاذ بن جبل بن عمر بن أوس بن عائذ بن عدي الأنصاري الخزرجي .

السيد الامام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي .

شهد بدراً ، وشهد العقبة شاباً يافعاً .

أمه : هند بنت سهل بن حسن بني رفاعة[1] .

نشأ معاذ بن جبل في المدينة فقد ولد قبل الهجرة النبوية بأقل من عشرين عاماً ، وهو من شباب قبيلة كان لها نصيب من السيادة في يثرب قبل مجيء الاسلام وهجرة الرسول ﷺ .

نشأ الفتى وشب على الفتوة ، وزاده الله من حسن الخَلْقِ فقد كان رضي الله عنه طويلاً ، حَسَنَ الشَّعرِ ، عظيم العينين ، بشرته بيضاء ، وهبه الله جمال وافر ، اعتنى هو بما وهبه الله من نعم قد كان يهتم بحسن منظره وهندامه إلى جانب ما عُرِفَ عنه من حسن دينه وتقواه وقد ألقت عليه التقوى ظلالاً من الهيبة والوقار ، وقد وصفه أصحابه بالسماحة والجمال ، وفضلوه على شباب قومه .

---

(١) سير اعلام النبلاء للذهبي .

بالاضافة الى هذه الصفات التي اختصرها أحد أصحابه بكلمات هي :

« معاذ لم يُولد له قطُّ (أي لا يشبهه شبيه في الجمال) ـ طُوال ، حسن الثغر ، عظيم العينين ، أبيض ، جعدٌ ، قَطَط »[1] .

بالاضافة الى ذلك حباه ربه بفضيلة الكرم والسخاء فقد كان من المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، فيحصد أضعافاً مضاعفة من فضل الله عليه سبحانه عز وجل ، كان رجلاً خيراً ، كان مثالاً للخير في كل الأمور كان لغيره قدوة حسنة ، كان مثالاً للفضائل يفخر به كل مسلم يقرأ سيرته كصحابي أنصاري جواد كريم ، عابداً ربه ، زاهداً نعيم الدنيا طامعاً من رحمة ربه ، ابتغاء مقعد صدق عند رب السماوات والأرض .

إسلامه

لم يسلم معاذ شيخاً ، لم ينتظر رسول الله ليعرض عليه الدخول في الدين الذي يدعو له ، وأنما حباه ربه نعمة السبق والسعي الى حيث يوجد محمد بن عبد الله ﷺ فقد جاءت الأنباء بدينه وتناقلت الالسن دعوته .

وجاء الوفد الأول المكون من اثني عشر رجلاً من الأنصار يقص قصة اللقاء الأول في بيعة العقبة الأولى ، وتبع هذه الأخبار وصول مصعب بن عمير الذي مكث في ديار بني عبد الأشهل في صحبه أسعد بن زرارة وأصحابه اقترب الفتى معاذ بن جبل من المجلس المبارك انشرح صدره للاسلام ولم تمض أيام حتى شاهد الفتى الوسيم والشاب الجميل الهادىء الطباع ـ الصامت في وقار ، شاهد موكباً من سبعين رجلاً وامرأتان في طريقهم الى مكة فتعلق قلبه بلقاء محمد القرشي ﷺ الذي ملأ الدنيا بسيرته

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٤٤٥ .

همساً كأنه الدوي خرج معاذ يصحبه الوفد والتقى برسول الله ﷺ ضمن وفد المبايعين البيعة الثانية وعاد الى مدينته الحبيبة صامتاً ، مسبحاً في سره ، عابداً بقلبه ، يسمع من مصعب ويتعلم سريعاً ، لم تسيطر عليه حداثة سنه ، بل تمكن من الاسلام وتملك الاسلام قلبه فحفظه وصانه وجلس يرقب الموكب العظيم ، موكب الزائر المبارك ، وأحب ضيف إلى قلوب مضيفيه في الدنيا .

جاء رسول الله ﷺ مهاجراً ومعه صاحبه أبو بكر الصديق ، وخرجت المدينة كلها تستقبل الحليف الحبيب بالحب والاخلاص ، بالعهد على الطاعة ، بالسمع والطاعة في المنشط والمكره في الحرب والسلام ، وكان لقاءاً فريداً واستقبالاً حافلاً شارك فيه الفتى الوسيم وهرولت اقدامه للحاق بالمندفعين لاستقبال الوافد خارج المدينة تكريماً له ولصاحبه ، وحسبي أن معاذ قد ملأ عينيه تمتعاً وتمعناً في وجه حبيب الله محمد ، وقف الفتى الوسيم يسمع ويرى ، صامتاً صمت العلماء الراغبين في الارتواء بعذوبة العلم ، وكان الشرف العظيم قد أدناه من مجلس رسول الله ، فتعلم الكثير . . الكثير .

مع الرسول في المدينة

كانت البداية بين معاذ بن جبل والرسول ﷺ عندما استقر في المدينة وبدأ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لتأكيد روابطهم القوية التي لا تنفصم لأنها روابط حب من الله عز وجل ، وليست أهواء دنيا وعلاقات مصالح .

لقد آمن الرسول ﷺ بين معاذ وجعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه .

وأصبح معاذ قريباً من رسول الله يحدث عنه ، ويسمع منه النصيحة تلو الأخرى .

حفظ القرآن أحسن ما حفظ من الصحابة . حتى أن رسول الله ﷺ قال :

« خذوا القرآن من أربعه : من ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأُبي بن كعب ، وأبي حذيفة »(١) .

أثنى الرسول ﷺ على معاذ بن جبل في جهاده ومثابرته في التحري بين الحلال والحرام وقال ﷺ :

« أرحم أُمتي بأُمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأصدقهم حياءً عُثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ »(٢) .

ما أجمل هذا النقاء الذي عليه معاذ فكيف بالمسلمين وهم يتحرون الحلال من الحرام يعلموا الحلال فيغترفوا منه وينهلوا من ينبوعه الصافي ، ويبتعدوا عن الحرام مهما زين لهم الشيطان فيه .

كان معاذ بن جبل قاضياً جريئاً وسفيراً حصيفاً ذكياً يتوقد بالذكاء ويتحلى بالحكمة فها هو معاذ يروي حديثاً دار بينه وبين رسول الله ﷺ عندما بعثه الى اليمن قال معاذ : « لما بعثني النبي ﷺ الى اليمن ، قال لي : كيف تقضي إن عَرَضَ قضاءٌ ؟ قال : قلت أقضي بما في كتاب الله ، فإن لم يكن فبما قضى به رسول الله ﷺ قال : فإن لم يكن فيما قضى به الرسول ؟

قلت : اجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب صدري ، وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله ﷺ لما يُرضي رسول الله « ﷺ »(٣) .

---

(١) رواه عبد الله بن عمر ، البخاري ٤٩٩٩ في فضائل القرآن .

(٢) رواه أحمد جـ ١٨٤/٣ .

(٣) رواه الامام أحمد ٢٣٦/٥ وأبو داود ٣٥٩٢ .

مع الرسول في غزوة بدر

بعد عام واحد من دخول رسول الله ﷺ المدينة وبالتحديد في رمضان في العام الثامن جاءت قافلة أبي سفيان بن حرب تحمل المتاع والسلاح لكفار مكة وكان على المسلمين أن يواجهوا المواجهة الأولى ، وهكذا قدر الله وما شاء فعل ، لقد منحت الأقدار المسلمين أن يبذلوا جهداً لاعتراض القافلة وجاءت الثمار بنصرٍ من الله وكلمة علياً للّه ولرسوله وللمسلمين ، وقوله للكفار وجيشهم .

وقد شارك معاذ بن جبل في هذا اليوم العظيم وعمره لم يتجاوز العشرين عاماً وقد جاء هذا الحديث في القرآن بقول الله تعالى :

﴿ ولقد نصركم اللّه ببدرٍ وأنتم أذِلَّةٌ ، فاتقوا الله لعلكُم تشكرون ﴾ .

لقد تحقق النصر بفضل اللّه وبجهاد المخلصين من رجال الرسول الكرام وبالملائكة الكرام الذين شاركوا في المعركة . وبأمر الله عز وجل :

انتهت المعركة وانقشع غبارها وتساقط الزعماء من القتلى وأصابت الدهشة أفواه المستكبرين فقط ثلاثة مائة مقاتل وسبعة عشر مقاتل انتصروا على أكثر من سبعمائة مقاتل مع فرسانهم وأسلحتهم المتفوقة .

عاد الكفار بالخوف يملأ قلوبهم وعاد معاذ بن جبل بقلب مملوء بالطمأنينة والثقة في نصر الله وعزة دينه ورسوله ، لقد تحطم الحاجز النفسي في نفوس المسلمين من أن هذه قريش بجيشها وخيلائها ، من يهزمهما ؟ هؤلاء الأشراف ، أشراف الجاهلية ، زعماء القبائل من يتصدى لهم ؟ وهم يملكون المال والجاه والسلطان والعبيد ، لم ينفعهم كل هذا أبداً لم يتراجع فقراء مكة وأنصار المدينة عن الدفاع عن دينهم ودعوة رسولهم الكريم ، كل

هذه المعاني حملها صدر معاذ بن جبل وعاد بها الى المدينة يحمد الله ويشكر فضله ونعمته .

مع الرسول في أحد والخندق

انتهت بدر بالنصر المبين وجاءت أُحد وكانت درساً لا ينسى ، واحتسب المسلمون قتلاهم عند الله ، ودافعوا عن رسولهم وصمدوا ، وبكوا حمزة عم النبي ﷺ ولكن كان هذا اليوم لحظة عابرة ومحنة لم تثنِ المسلمين عن عزمهم على المضي في تحدي أئمة الكفر وقد شارك معاذ في غزوة أحد واقترب من رسول الله يدافع عنه ويزود عن دينه وأهله وعرضه من أنصار المدينة .

يوم الخندق

جاءت جحافل الكفار يوم الخندق وسمى يوم الأحزاب لأن قريش جمعت خيلائها وحلفائها وظنت أنها قاضية لا محالة على محمد ﷺ وشارك الفتى الوسيم في حفر الخندق واقترب جيش الكفر من مواقع الايمان وقد وصف القرآن الكريم هذا اليوم العصيب فقال تعالى :

﴿إذ جاؤوكم في فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغَتِ الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزُلْزِلوا زِلْزالاً شديداً﴾ .

ولكن الله عز وجل ، كفى المؤمنين شر القتال وأبعد الخطر الجاثم عن مدينة المسلمين وسلط عليهم ريحاً وأعاصير اقتلعت خيامهم ونفقت ماشيتهم وهربت خيولهم وابلهم في الصحراء هائمة على وجوهها . وجاء نصر الله ، وجاء الفتح المبين ، وشارك معاذ بن جبل في كل هذه المشاهد ،

كان محظياً بكل هذه المواقف الى جانب أنه كان أهل ثقة من رسول الله ومن أصحابه وها هو يبعث في مهمة رسمية من قبل رسول الله ﷺ ، لقد كُلِّفَ بمهام كثيرة على عهد رسول الله لحكمته وعلمه الوافر الذي امتدحه رسول الله ﷺ فقال : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر، نعم الرجل معاذ بن جبل » رضوان الله عليهم جميعاً .

الرسول في وداع معاذ

في العام التاسع الهجري رأى الرسول ﷺ ضرورة النظر الى البلاد النائية في الجزيرة العربية وارسل الرسل الى اقاصي الجزيرة ، وكان من بين هؤلاء بطلنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ليتحدث اليهم في دينهم ويعرفهم بأصوله ويقرأ عليهم القرآن الكريم .

وكانت اليمن بلاد معروفة بحضارتها يسافر اليها اهل مكة والحجاز في الشتاء لجمال مناخها ودفئه في الشتاء ، بينما كانوا يقصدون الشام في الصيف وسميت رحلة الشتاء القاصدة الى اليمن ورحلة الصيف القاصدة إلى الشام وقد جاء في القرآن حديث عن رحلة الشتاء والصيف فقال تعالى : ﴿لايلافِ من قُرَيْش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ .

فرح معاذ بن جبل قاصداً اليمن وهو يقول للرسول ﷺ سأقض بكتاب الله وبسنة رسوله ، فإن لم اجد اجتهد رأيي ولا قصر . . مما اسعد الرسول ﷺ .

وفي رحلة الخروج قال الرسول ﷺ كلمات لمعاذٍ مودعاً إياه وداعاً أحس منه معاذ انه الوداع النهائي فقال عليه الصلاة والسلام وهو يمشي تحت راحلة معاذ ومعاذ راكباً قاصداً مهمته يسمع كلماته الشريفة فقال :

يـا معاذ انـك عَسَى أَن لا تلقاني بعـد عـامي هـذا ، ولعلّكَ أَن تمـرَّ بمسجدي وقبري» .

فبكى معاذ بن جبل خوفاً وحزناً على فـراق رسول الله ﷺ فقـال عليه السلام : « لا تبك يا معاذ ، أن البكاء من الشيطان »[1] .

ودعا الرسول لمعاذ رضوان الله عليه قائلاً : «حفظك الله من بين يديك ومن خلفك ودرأ عنك شرَّ الإنس والجن » وخرج معاذ قاصد بلدة « الجَنْدَ » من اليمن وكانت مدينة كبيرة تضارع صنعاء الذي بعث اليها الصحابي خالد ابن سعيد .

معاذ محدث عن الرسول

« ووقف الـرسـول ﷺ ينصـح معـاذ بن جبـل ومعـه ابـو مـوسى عنـد خروجهما الى اليمن فقال لهما : يسِّرا ولا تعسِّرا وتطاوعا ولا تنفرا »[2] .

معاذ المحدث

كان معاذ بن جبل قريباً من الرسول ﷺ يسمع منه كثيراً لذلك فقد روى عنه ما يزيد على المائة وخمسين حديثاً . ومن احاديثه التي رواها عن الرسول قال معاذ :

كنت مع النبي ﷺ في مضر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، اخبرني بعملٍ يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النـار قال :

---

(١) رواه ابن كثير في السيرة جـ ٤ ص ١٩٣ .

(٢) رواه أحمد ، والبخاري (٤٣٤٤) في المغازي .

لقـد سألت عن عـظيم ، وانه ليسيرٌ على من يَسَّرَهُ الله عليـه : تعبد الله ، لا تشـرك به شيئـاً وتقيم الصلاة ، وتؤتي الـزكاة ، وتصـوم رمضان ، وتحج البيت . الا ادلك يا معاذ على ابواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم قرأ عليه السلام :

﴿ تتجـافى جنوبهم عن المضـاجع يـدعون ربَّهُم خـوفـاً وطمعـاً وممـا رزقناهم ينفقون فـلا تعلم نفس ما أُخفي لهـم من قُـرَّةِ اعين جزاءً بمـا كانـوا يعملون﴾ .

وها هو معاذ يروي عن الرسول ﷺحديثاً مملوءاً بالنصح الطيب والسنة الشريفة يقول معاذ : لقيني النبي ﷺ فقال : « يا معاذ إني لأحبك في الله » قلت : وأنا والله يا رسول الله ! احبك في الله، قال : افلا اعلمك كلماتٍ تقولُهنَّ دبر كلِّ صلاة : « ربِّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1] .

وقال رسول الله محدثاً معاذ قائلاً : يا معاذ ! ألا ادُلُّكَ على رأس الأمر وعمودِهِ وذِروَةِ سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله .

قال عليه السلام : رأس الأمرِ الإسلام ، وعمودُهُ الصلاة ، وذروةُ سنامه الجهاد ثم قال عليه السلام : الا اخبركَ بملاك ذلك كلِّهِ ؟

قلت : بلى . فأخذ عليه السلام بلسانه فقال : تكُنُّ عليك هذا .

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢) في الصلاة ، باب الاستغفار .

فقلت : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟
قال : ثكِلَتْك امك يا مُعاذ . وهل يَكُبُّ الناسَ على وُجوهِهِم إلا حصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ .

معاذ الفقيه . .

كان معاذ بن جبل فقيهاً إسلامياً عظيماً ، وها هو عمر بن الخطاب ايد المؤمنين رضوان الله عليه يقول حين خرج معاذ إلى الشام : «لقد أَخَلَّ خروجه بالمدينة واهلها في الفقه ، وفيما كان يفتيهم به ، ولقد كنت كلمتُ ابا بكر ان يحبسه لحاجة الناس اليه ، فأبى عليٌّ وقال : رجل اراد وجهاً ، يعني الشهادة ، فلا احبسه »[1] .

الى هذا الحد معاذ بن جبل الفقيه يريد امير المؤمنين عمر بن الخطاب ان يحبسه لعلمه في الدين وفقهه .

وها هو يعود من اليمن بعد ان سافر اليها فقيراً وقد تُوفي رسول الله ﷺ وهو في اليمن وجاء ومعه مال من تجارة اصابها هناك ، فلما التقى به عمر بن الخطاب قال له عمر : هل لك يا معاذ ان تطيعني ؟ تدفع هذا المال إلى ابي بكر ، فإن اعطاكه فاقبله فقال : لا أدفعه اليه ، وانما بعثني نبي الله ليجبرني ، فانطلق عمر إلى ابي بكر ، فقال : خذ منه ودع له ، قال : ما كنت لأفعل ، وإنما بعثه رسول الله ﷺ ، ليجبره ، فلما أصبح معاذ ، انطلق الى عمر ، فقال : ما أراني إلا فاعل الذي قلت : لقد رأيتني البارحة ،

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢ ص ٤٥٢ .

أظنه قال : أُجَرُّ إلى النار وانت آخذ بحُجْزَتِي : فانطلق إلى ابي بكر بكل ما جاء به ، حتى جاء بسوطه (وقدم له المال) قال ابو بكر : هو لك لا آخذ منه شيئاً ، قد وهبته لك .

فقال عمر : « هذا حين حلَّ وطاب » اي اصبح حلالاً لك ، وخرج معاذ عند ذلك الى الشام[1] .

معاذ الفقيه

جاءه رجل ذات يوم فقال له يا معاذ علمني :

قال رضوان الله عليه وهل انت مطيعي ؟ قال الرجل : إنني على طاعتك حريصٌ قال معاذ للرجل : صم وافطِر ، وصَلِّ ونم ، واكتسب ولا تأثم ، ولا تموتن إلا وانت مسلمٌ واياك ودعوة المظلوم . .

هكذا كان ينصح الناس ويعظهم ، تمثل ذلك بجلاء في اهل بيته فها هو يقول لابنه :

«يا بني إذا صليت صلاةً ، فصَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ لا تظن أنَّكَ تعود إليها ابداً واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين جنتين حسنة قدمها وحسنة أخَّرَها» اي علم يصل إلى هذا المدى في الحرص على رسالة محمد ﷺ وأي عالم يذهب إلى هذا البعد الشاسع في الحرص على شرع الله ورسالة نبيه ، فلنسمع نصيحة أخرى من هذا العالم الجليل الصحابي الأنصاري ، يقول وهو يوصي صاحبٌ له :

«إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حُفِظتَ ، انه لا غنى بك عن نصيبك

---

(١) حلية الأولياء لابي نعيم ١/٢٣١ .

في الدنيا . وانت إلى نصيبك في الآخرة أَفْقَرُ فَآثر نصيبك في الآخـرة على نصيبك في الدنيا حتى تنتظمه لك انتظاماً فتزول به مَعَكَ اينما زُلْتَ» .

كان معاذ بن جبل ينصح النـاس في مجلسه وفي المسجـد وحتى في الـطريق وهو يمشي بينهم أصحـاباً كـانوا ام رعيـة يرعـاها بشـرع الله وسنة رسوله ، فهذا رجل يقول :

كنا نمشي مع معاذ بن جبل . فقال :

«اجلسوا بنا نؤمن ساعة» .

وقال معاذ الفقيـه ذات يوم : ايهـا الناس اربـع خلالٍ (خصـال) مَنْ استطاع ان لا يدركه شيءُ منهن فلا يُدْرِكْهُ . قالوا : وما هي يا معاذ ؟

قال : «يأتي زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر ، ويقول الرجل والله ما ادري على ما أنا لا يعيش على بصيرةٍ ولا يموتُ على بصيرةٍ ، ويُعْطَى الرجلُ المالَ من مالِ اللّهِ على أن يتكلَّمَ بكلام الزور الذي يُسخِطُ الله » .

رحم الله معاذ الفقيه ، لو حصرنا حديثه الطيب لطال بنا الحديث .

المجاهد الصابر على البلاء

استمر معاذ بن جبل على جهاده ومغايرته بعد وفاة فها هـو في معركـة اليرموك بصحبة ابنه عبد الرحمن جنديان من جنودها وانتصر المسلمون عليهم وطردوهم من الشام وبقي معاذ خطيباً وفقيهاً فتيـاً بين الناس في دمشق يصفه احد الرجال قائلاً :

دخلت مسجـد « دمشق » فإذا فتىً بـراق الثنايـا ، وإذْ أُنـاس مَعَـهُ إذا

اختلفوا في شيءٍ أَسندوهُ إليه وصَددوا عن رَأْيه فسأَلتُ عنه فقالوا : هذا مُعاذ ابن جبل فلما كان الغد هجّرتُ فوجدته قـد سبقني بالتهجيـر فوجـدتُهُ يُصلِّي فانتظرت حتى قضى صلاتَهُ ثم جئتُهُ من قِبَلِ وَجْهِهِ فسلمت عليْهِ وقلت له : والله إني لأُحبك لله ،

فقال الرجل : فأخذ معاذ بردائي وجذبني قـائلاً : أَبْشِـر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وجبت رحمتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين والمتباذلين فيَّ والمتزاورين فيَّ ﴾ .

هكذا يكون سلوك الأخوة في الاسلام المتحابين في الله وجبت رحمة الله سبحانه عليهم ، انهم المتزاورون في الله والمتحابين في الله عزَّ وجل .

هذا هو سلوك معاذ مع أصحابه ، بطل من ابطال المسلمين ، رجل من رجال القرآن فقد كان احد اربعة من الانصار ساهموا في جمع القرآن وهم : زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأُبي بن كعب ، وأبو زيد .

* كان رجلاً صابراً جَلِداً فقد توفي ابنه عبد الرحمن في بلاد الشام وهو شـاب حديث السن فـاحتسبه عنـد الله وصبر ورجـع قائـلاً انا لله وإنـا اليـه راجعون .

كان رحمه الله لا يجلس مجلساً إلا قال : « الله حَكَمٌ قِسْطٌ تبارك اسمه ، هَلَكَ المرتابون »[1] .

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٤٥٧ حلية الأولياء لأبي نعيم .

وداعاً فقيه المسلمين

بينما كان معاذ في الشام ، كان ابو عبيدة والياً عليها وتفشى مرض الطاعون . في هذه البلاد فأُصيب أبو عبيدة بن الجراح بهذا المرض الخبيث في هذا الوقت ومات ابو عبيدة ، فأرسل عمر بن الخطاب كتاباً يوليه فيه امر المسلمين في الشام ولم تمض شهور قليلة على هذا الحاكم العادل حتى داهمه الطاعون هو الآخر بعد ان كسب محبة الناس وولائهم الشديد وجمعهم حوله يُفتي فيهم ويعلمهم أُصول دينهم ولما داهمه المرض وجاء رجل لعبادته وجده يغمى ويُفيق وهو يقول : « اخنق خنقك فوعزَّتِكَ إني لأُحبك »[1] .

وجاء القوم وتكاثروا حوله فقال :

« روِّحوني أَلقى الله مثل سن عيسى بن مريم ابن ثلاث او اربع وثلاثين سنة »[2] .

ورآه أصحابه يبكي فقالوا : أتبك يا معاذ وانت صاحب رسول الله .

قال لا ! ما أبكي جزعاً من الموت حل بي ، ولا على ديون تركتها بعدي ولكن إنَّما هما القبضتان فلا أدري من أي القبضتين أَنا . .

واشتد المرض عليه فراح في غيبوبة طويلة يردد بصوت متقطع ويقول :

« مرحباً بالموت حبيب جاء على شوق » .

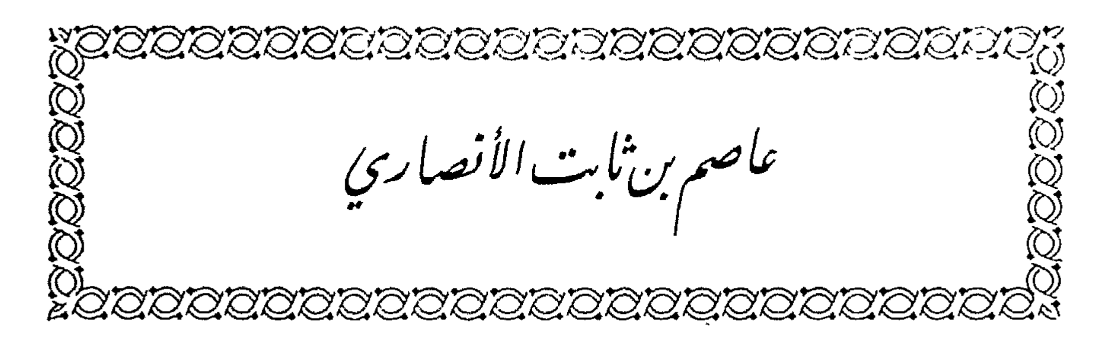
وكانت وفاته في العام الثامن عشر للهجرة من عهد عمر بن الخطاب وقيل في العام السابع عشر . . رحم الله مُعاذاً اعلم أمة محمد ﷺ بالحلال والحرام . .

رحم الله معاذاً: فقد تبوأ مقعدا بين الصديقين عند ربه في جنة الخلد . .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٣ ، ص ١٢٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١ ترجمه معاذ .



عاصم بن ثابت الأنصاري

قال تعالى :

﴿ إنَّ الَّـذِينَ سبقت لهم مّنَّا الحُسْنَىٰ اولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيها وهم في ما اشْتَهَتْ انفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ : « من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم بن ثـابت » هذا الرجـل الانصاري هـانت عليه الـدنيا من أجـل دينه وقـدم روحه فداءاً وطواعية من أجل إعلاء كلمة الحق ، رفض ان يضع يده في يد كافر ويعاهدهُ على عهد ما لم يكن على دين محمد ﷺ .

عندما قُتل في سبيل الله قتل سبعة من الكفار ، كان مدرسة في الفروسية والقتال شديد على الكفار رحيم بأهله وعشيرته ، يبتغي من ربه الدار الآخرة كان قائداً عسكرياً فذاً قال ذات يوم يشرح خطة القتال لرسول الله :

« اذا كان القوم قريباً من مائتي ذراعٍ كان الرمي بـ « السهام » واذا دنوا « اي اقتربوا » حتى تنالهم الرماح كانت المداعسة حتى تقصف فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا بالسيوف والمجالدة

---

(١) الآيات : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ من سورة الأنبياء .

اي قائد هذا الذي يعيش خطته العسكرية بالقياس الدقيق هجوماً ودفاعاً فلينظر اصحاب الخطط العسكرية اليوم كيف يكون التمهيد للهجوم بالرمي بالمدافع من بعيد ثم بعدها الهجوم أو الاقتحام، انه عاصم بن ثابت لم يكن على عهده بمدافع او نيران او مشاة ومدرعات وإنما كانت الأيادي تحمل السيوف والرماح ولا ينتصر في هذا النوع من القتال الا الصناديد الاشداء لا تحميهم إلا ضربات سيوفهم ؛ صدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم بن ثابت » كيف قاتل عاصم بن ثابت ؟ ، وكيف اشتهد ؟

هذه احداث نقتطفها ونحن نسير في رحاب سيرته العطرة .

المولد والنشأة

نسبه : هو عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أُميَّة بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عمرو بن عَوف الانصاريّ الخزرجيّ .

ولد عاصم في « يثرب » المدينة المنورة .

نشأ في ديار الخزرج إحدى قبائل المدينة ذات السطوة والخطوة . ووفرة المال والفروسية .

تعلم الفروسية فكانت سلاحه في أيام الاسلام الأولى حيث انه كان من السابقين الأولين .

إسلامه

جاء مصعب بن عمير الى المدينة وبدأ يدعو المسلمين واهل المدينة الى الدخول في الاسلام ، فحملته الخطى المباركة الى مجلس مصعب بن

عمير في ديار بني عبد الاشهل واستمع الى سفير رسول الله كثيراً وتعلم منه الكثير ولم تمض فترة طويلة حتى نطق قولاً ، وضمر في نفسه فعلاً لقد قال : اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله ﷺ .

وانتظر عاصم بن ثابت مقدم محمد ﷺ فكان أول المستقبلين له وكانت المؤاخاة فرحب بعبد الله بن جحش في بيته انصاري يود ويهوى اخاه المهاجر . . وبدأ المسلمون بناء المسجد وبيت رسول الله ﷺ وشارك عاصم بن ثابت كما شارك اصحابه في هذا العمل الجليل .

عاصم في يوم بدر

جاءت قافلة ابي سفيان محملة بالمال والطعام واللباس لقريش في مكة . وخرج الرسول ﷺ في كوكبة من اصحابه بينهم عاصم بن ثابت لملاقاة قافلة الكفار واستطاع ابو سفيان أن يفر بقافلته عن طريق آخر سلكه بمحاذاة البحر على ساحله حتى وصلت القافلة الى مكة دون ان يلحق بها المسلمون .

جاءت قريش تريد منازلة المسلمين بعتاد وعدة يفوق عدد وعدَّة المسلمين وخرج الرسول للقائهم ونزل بالقرب من بئر بدر وبدأ اجتماعاً ضخماً مع أصحابه وفرسانه يبحث معهم خطة المعركة وقال عليه السلام لأصحابه :

كيف تقاتلون ؟

« فقام عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت

المداعسة حتى تقصف فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا بالسيوف وكانت المجالدة » .

فقال النبي ﷺ : « هكذا نزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم »(١) .

هكذا حدد عاصم الخطوط العريضة والتصور الأمثل للقتال مما أتاح لجنود الاسلام فرصة العمل باطمئنان دون الرجوع الى القيادة فقد عرف كل منهم دوره فيما لو اشتعل القتال فجاءه فإذا بَعُدَ العدو كانت السهام هي السلاح المستخدم أو النوع الأمثل في التصدي للعدوان . وإذا اقترب العدو قابلناه بالرماح والسيوف والصد والمجالدة حتى يأذن الله بنصره . .

ولقد نصرهم الله ببدر وأعزهم على الكفار وأذل قريش بجبروتها وطغيانها . وضرب عاصم بن ثابت ضرباته المدوية ورمى بسهامه الصائبة أئمة الكفر والطغيان ، وجاء من نصيب عاصم رجلٌ اشتهر بكفره وتعذيبه للمسلمين في مكة قبل الهجرة هذا الرجل هو « عقبة بن أبي معيط » فانقض عليه وشلَّ حركته ولكن لم يقتله وإنما شد وثاقه وأخذه أسيراً لكي يرى المهاجرون ثمرة جهادهم ، هذا الرجل الذي عانى منه المسلمون المهاجرون قبل خروجهم من مكة . يأتي اليهم ذليلاً كثيراً ، لقد تذكروا قسوته وحمدوا الله وشكروهُ على نصرهم على طاغية من طغاةِ الكفر والعصيان .

عاصم يوم أُحد

كان يوم أُحد يوماً مشهوداً في تاريخ المسلمين فقد مرَّ المسلمون في هذا اليوم بمحنة تغلبوا عليها بإيمانهم وصبرهم وثقتهم في أنَّ اللّه ناصرهم ان

---

(١) الاصابة جـ ٢ / ٤٣٤٧ ص ٢٣٥ .

آجلاً أو عاجلاً وظن الكفار أنهم قد وصلوا الى غايتهم وبلغوا مرادهم فمثلوا بجثث الأبطال ، وأخذهم الحقد والمرارة مآخذ بعيدة .

في هـذا اليوم العـظيم كان عـاصم بن ثابت رضي الله عنـه مجاهـداً بحق ، بطلُ ونعم الأبطال ، كان من أمهر الفرسان في الرمي بالسهم .

وسمـع المسلمون صيـاح عاصم بن ثـابت وهو يقـول عند كـل رميـة بسهم : « خذها وأنا ابن الأقلح » .

وكانت سهامه تستقر في صدورهم ، كأنها ضربت سيوف مباشـرة لقد قتل اثنين من المشركين بسهامه هما نـافع بن طلحة العبدري وأخيه جلّاس ، وسألت أمهما عن القاتل فقـالوا لهـا : « عاصم بن ثـابت فأقسمت لئن قتـل لتمثلن بجسده ، وجعلت جائزة لمن يقتل عاصم لقد خصصت للقاتل مـائة ناقة . مكافأة له » .

ولكن لايهاب الأبطال التهديد والوعيد وإنما يحتسبوا أنفسهم في سبيل الله وحباً في طاعته هكذا كان عاصم بن ثابت بطلاً صابراً محتسباً أمره كله للّه عزَّ وجل .

عاصم يوم غزوة الرجيع

في العام الثالث من الهجرة[1] ، قدم على رسول الله ﷺ بعـد غزوة أحـد جماعة من قبيلتي عضل والقارة .

فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فأبعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويعلموننا شرائع الاسلام .

---

(۱) سيرة ابن هشام جـ ۳ ص ۱۷۸ .

فاستجاب رسول الله ﷺ وأرسل معهم ستة من أصحابه هم عاصم بن ثابت ، مرثد ، وخالد بن البكير الليثي ، وخبيب بن عدي .

وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق .

وخـرج الستة ، وأقـرَّ الرسـول ﷺ عليهم مرثـد بن ابي مرثـد فخـرج الأبطال يصحبه القوم ، وطال بهم المسير حتى وصلوا الى ماء يسمى الرجيع وهو لقبيلة هذيل بناحية الحجاز بالقرب من مكة وبالتحديد مكة والطائف .

عند هذا المكان بالتحديد فوجئوا بعشرات من قبيلة هذيـل تحيط بهم فـانتفض عـاصم يقبض على سيفـه يستعـد للقتـال دفـاعـاً عن نفسـه وعن أصحابه .

فقالوا لهم : إنّا واللّه ما نريد قتلكم ، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهدُ اللّه وميثاقُه أن لا نقتلكم .

فقال عاصم بن ثابت وأخوانه : واللّه لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً وأنشد عاصم يقول :

مـا علتي وأنا جلدٌ نـابـلُ ... والقـوس فيها وتـرٌ عُنابـلُ
نزل عن صَفْحتها المعابِل ... الموتُ حقٌّ والحياة باطل
وكـل مـا حَمَّ الإلـه نـازل ... بـالمرء والمـرءُ إليـه آيـلُ

إن لم أقاتلكم فأُمي هابل (ثاكل) .

وأضاف يهددهم ولا يخشى منهم أحداً ويقول :

إذا النواحي افترشت لم أُرعد . . . ومُجنا من جلدِ ثَوْرٍ أَجْردِ ومؤمن بما على محمد[1] .

---

(۱) سيرة ابن هشام ص ۱۷۹ جـ ۳ .

واشتد القتال وأصبح على أشده وتحسس عاصم بن ثابت ما معه من أسهم فوجدهم سبعة سهام فقط فأضمر في نفسه كل سهم برجلٍ بعون الله وكان الله عز وجل في عون عبده المخلص عاصم بن ثابت ، وضربت السهام سبعة رجال وأمسك عاصم برمحه وراح يضرب حتى انكسرَ رمْحُه .

وداعاً عاصم بن ثابت المقاتل الفذ

ثم تبقى على سيفه واستله وراح يردد دعاءه المشهور :

« اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحمْ لحمي آخره » .

وكيف لا يستجيب الله لرجل عاهد الله على أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجساً .

لقد استشهد البطل عاصم بن ثابت وتكاثرت عليه الرماح والسيوف فاتخذ عند ربه مقعد صدق في الجنة ، وحسبي أن روحه الطاهرة احيطت بملائكة كرام ترحب بعاصم في الجنة ، قاتل فأحسن القتال .

وجاءت سلامة بنت سعد بن شهيد ، تنتقم من مقتل أبيها « جلاس » ، ونافع أبناء طلحة العَبْدري ، وقالت من يجيء لي برأس عاصم وله مائة ناقة وعاد بعض فرسان هذيل يريدوا رأس الشهيد عاصم فمنعتهم الدبر ، والنحل ولم يستطيعوا الاقتراب من جثمانه الطاهر .

فقالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب « الدبر » عنه فنأخذه[1] .

ولما جاء المساء أرسل الله عز وجل سيلاً ورياحاً شديد غطت وأبعدت

---

(١) السيرة لابن هشام ص ١٨٠ جـ ٣ .

جثمان عاصم بن ثابت فلم يصلوا اليه بفضل الله تعالى وحمى الله لحمه في الآخرة واستجاب لدعائه ، ولما طار الخبر الى المدينة قال عمـر عن عاصم يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عـاصم نذر أن لا يمســه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته ، يرحم الله عاصم فهو ولي من أوليـاء الله الصالحين ﴿ إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

صدق الله العظيم

■ ■ ■

أنس بن النضر الأنصاري

من أجل أنس بن النضر نزل قول الله تعالى :

﴿ من المؤمنين رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَـدوا اللَّه عَـلَيْهِ فَمِنْهُـمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

﴿ ليجزي الصادقين بِصِدْقهم ويعذب المنافقين إن شَآءَ أو يتوب علَيْهُمْ إنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رحيماً ﴾[1] .

هذا الرجلَ عاهد الله ورسوله فصدق وعده وأوفى بعهده، وها هو يتقدم من رسول الله ويقول : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين « وكان قد غاب عن غزوة بدر » ليرين اللَّهُ ما أصنع .

ولقد رأى ربه ما صنع يوم أحد ، ما ضر أنس بعد يوم أحد ، نعم فقد تنسم ريح الجنة وراح يقول لسعد بن معاذ : أي سعد هذه الجنة ورب أنس إني أجد ريحها دون أحد .

وتوجه إلى السماء بالدعاء يقول : « اللهم إني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين وأبر اليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين »[2] .

هكذا كان الرجل بَرّاً بوعده مع ربه .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ ، ٢٤ مكية .

(٢) الاصابة جـ ١ ص ٨٦ .

صادقاً في حديثه وما أروع الصدق في القول والفعل .
كان ثابتاً يوم أُحد ، يوم الضيق والحاجة الى الرجال .
كـان يجود بجسمـه أمام السهـام التي صوبت إلى جسـد رسـول الله الطاهر .
سيـرتـه تفـوح عـطراً من عـطر الجنـة ، نسيمهـا يهب على المؤمنين كالمسك والعنبر ، هنيئاً لأنس بن النضر ما وعده ربه :

﴿ تلك الـدار الآخرةُ نجعلهـا للذين لا يُـريـدونَ عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبـة للمتقين ﴾[1] هذه هي عـاقبة المتقين فلنبـدأ في هذه السيـرة العطرة والتي نشم من خلالها عطر الجنة .

المولد والنشأة

نسبه : هو أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ ورد نسبه كاملاً كما يلي :
أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار[2] . نشأ في المدينة في ديار بني النجار وهم أخوال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله وبالتالي فهم أخوال جَدِّ رسول الله ﷺ .

كان وقوراً ذا مكانة عالية بين أهله وذويـه لدرجـة أن مالـك بن النضر شقيقه عندما أنجب ولداً سماه أنساً تيمناً باسمه الشريف وتبركاً به .

وفي ديار بني النجار في المدينة كـان أنس سيداً في قـومه مشهـود له

---

(١) الآية ٨٣ من سورة القصص .
(٢) الاصابة جـ ١ ص ٨٦ من ترجمته وترجمة أنس بن مالك ابن أخيه .

بصدق الحديث ووفاء العهد .

وكأي مسلم جاءته أنباء الدعوة على يد أول معلم لها خارج مكة وهـو مصعب بن عمير رضي الله عنه ، تقدم منه وعاهده على التوحيد بأنه لا اله الا الله ولا لعبادة الأصنام ثم شهد انه لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ومن يوم أعلن دخولـه في الاسلام عـامل وعالج بالصدق كل من صادفه من مواقف حتى لـو كلفه حياته ، فكان نعم البارين بوعدهم ولذلك قال رسول الله ﷺ في أنس بن النضر :

« إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّهُ » .

نعم كـان أنس بن النضر عـابداً من عبـاد الله إذا أقسم على الله أبـرَّ بقسمه عهداً وصدقاً ، ضرب مثل فيما وعد ، فأوفى بعهده .

كان من هؤلاء النضر الـذين ثبتوا حـول رسول الله ﷺ يـوم أحد ولم تجبرهم جراههم على التخلي عن رجل بايعوه على السمع والطاعة في المنشط والمكره لم يتخل أنس بن النضر عن محمد الـذي قال لـلأنصار يـوم العقبة الثانية : أنتم مني وأنا منكم ، أحارب من حاربتم . .

كان أنس زعيماً في قومه سيداً فيهم .

كريم كرم الأشراف من القوم ، صادقاً صدق الرجال الشجعان الذين لا يهابون الموت ، ولا يخافون من الحق لومة لائم .

كان شجاعاً يتحلى بفراسة الفرسان وذكاء الحكماء .

كان صاحب صولة وجولة ، كان قلباً كبيراً أحب في الله .

جوَّاداً يعطي للّه ويمنع للّه شأنه شأن المؤمن الكامل .

كل هذه الشمائل تحلى بها أنس بن النضر ومعه أهله وذويه وأهل قبيلته وبيته فهذا ابن أخيـه أنس بن مالـك يوقف نفسـه لخدمـة النبي ﷺ من سن

العاشرة الى سن العشرين يلازمه كظله فكان من أنشط وأكثر الرواة عن رسول الله ﷺ .

وذاك ابن أخته « حارثة بن سراقة » بطل من أبطال بدر وجاءت أمه « الربيع بنت النضر » إلى رسول الله تقول بعد أن علمت بوفاته :

« يا رسول الله أخبرني عن حارثة ، فإن كان في الجنة صبرت واحتسبت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء »[1] .

فقال لها رسول الله ﷺ : انها جَنَّاتٌ ، وإنَّه أصاب الفردوس الأعلى .

فاستقبلت حديث رسول الله ﷺ بالسكينة والصبر واحتسبت ابنها عند الله في جناته ، في الفردوس الأعلى .

هذه لمحات عن أنس بن النضر الرجل والأسرة والأهل ، عراقة في النسب ، وثبات في المحن والشدائد ، ووفاء لسيد المرسلين ﷺ ، ومن أكثر حظاً من ابن أخيه أنس بن مالك الذي نال شرف مصاحبة المصطفى ﷺ وظل في خدمته عشر سنوات كاملة حتى توفي الرسول ﷺ . . فانطلق ينشر سنته ويشيعها بين الناس كما سمعها قولاً ورآها فعلاً من رسول الله ﷺ .

بطل . . يوم أحد

لم تمض فترة طويلة على يوم بدر كانت قريش قد استعدت فيها وجهزت الجيوش والفرسان للثأر لقتلاها والنيل من محمد وأصحابه .

وكان الرسول ﷺ يعيش في المدينة ينشر دعوته مطمئناً لنصر الله

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني جـ ـ ٣ .

وصدق أصحابه من المهاجرين والأنصار ووفائهم له ولدينه ولرسالته .

وجاءت قريش تملأ الدنيا بجيشها الجرار وقد وصلت أنباء تحرك جيشها للمدينة وتحمس الرجال مهاجر منهم وأنصاري وخرج الرسول معهم وهو كاره للقتال في هذه الموقعة . ولكنه ﷺ لا يبالي من قوة هؤلاءُ الكفار فإن الله ناصره وحافظه .

أعد الرسول خطته على أساس أن يواجه جيش قريش وظهره للجبل يحميه رماة اكفاء في الرمي بالسهام وأن يقاتل وظهره محمية .

وكان الرسول ﷺ خارجاً ليوم أحد وقد أشفق على حماس الشباب مما ينتظرهم من جهاد في هذا الميدان ولقد جاءت رموز وشواهد على شكل رؤ يا رآها عليه الصلاة والسلام جعلته يتحسب لهذا اليوم كثيراً .

فقد رأى ﷺ رؤ يا تحدث عنها عليه السلام فقال :

« رأيت بقراً لي تذبح ؟ فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، وأما الثلم[1] الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل » .

كل هذه العوامل جعلت الرسول يشاور أصحابه قبل البدء في أي خطوة يخطوها يوم غزوة أحد فها هو قبل الخروج من المدينة يقول لأصحابه :«فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مُقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم »[2] فرد أحد أبطال المسلمين قائلاً : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا ؟ .

---

(١) الثُلم : شيء في مؤخرة السيف ـ بعينه .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ، ص ٦٧ .

وفي يوم جمعة وبعد الصلاة توفي مالك بن عمرو وهو رجل من الأنصار فصلى عليه الرسول ﷺ ولبس لأمته (وهي ملابس القتال) .

ولما مات هذا الرجل ندم الناس الذين أصروا على الخروج للقتال رغم كراهية الرسول للخروج في هذا اليوم .

ولما خرج عليه السلام على الناس ندموا وقالوا : « استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك ، ثم توجهوا الى الرسول بالحديث وقالوا :

يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا . فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ، فقال عليه السلام :

ما ينبغي لنبي اذاً لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل »[1] .

وخرج عليه السلام في هذا اليوم في ألف من أصحابه ، بينهم المقاتل البطل المتشوق للقتال أنس بن النضر .

ودارت المعركة ، ولمعت سيوف الأبطال ومنهم سيف أنس بن النضر الأنصاري وأبو دجانة وأبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام ، وحمزة بطل أحد وعم رسول الله وسيد الشهداء في هذا اليوم الفاصل . .

واشتد رحى القتال وانهزم المشركون وبدأوا في الفرار وانخدع رماة الجبل الذين أمرهم رسول الله ﷺ بألا يتركوا أماكنهم مهما كان من نتيجة المعركة .

فتركوا الجبل ونزلوا يجمعون الغنائم ظناً منهم أن المعركة قد انتهت ولمحهم خالد بن الوليد وكان لم يدخل الاسلام بعد ، فجمع قوة من فرسان قريش ودار حول الجبل وصعد فوقه وبدأ يرمي وأصحابه على المسلمين وعاد

المشركون الفارين وشددوا الضغط على المسلمين فوقعت في صفوفهم بلبلة شديدة ، وتفرقت بعض جموعهم وأطبق المسلمين عليهم من كل ناحية ، فلجأ النبي ﷺ الى الجبل مع بعض أصحابه منهم أبو دجانة وعمرو بن أبي بكر وممن يدافعون عنه من المسلمين وتحول النصر الى هزيمة وفر بعض المقاتلين الى المدينة ممن تبعوا المنافقين أمثال عبد الله بن أبي المنافق ومن معه من اليهود .

ومنهم من عاد بعد أن فرَّ ليستجمع قواه ويقف الى جوار حبيبه المصطفى ﷺ والفئة الثانية الثابتة مع رسول الله ، لم تتركه وتتخلى عنه .

وشاع خبر في أصحاب رسول الله والمسلمين بأن رسول الله قد قتل فاهتز بعض المسلمين من هذا الخبر ولكن المجاهدين الصابرين لم يتخاذلوا ولم يتراجعوا ومر أنس بن النضر ببعض المسلمين وقد تملك اليأس من نفوسهم ووجدهم قد جلسوا فقال : ما يجلسكم يا قوم .

فقال أحدهم بمرارة : قتل رسول الله ﷺ .

فصرخ بأعلى صوته فيهم :

فماذا تفيد حياتكم وماذا تصنعون بها ؟

قوموا هيا نموت على ما مات عليه رسول الله .

هيا يا قوم ، واهتزت السيوف في الأيادي .

وانطلق أنس بن مالك يصيح بأعلى صوته ويضرب أعنف ضرباته ويقول لسعد بن معاذ : يا سعد الجنة ورب النضر ، الجنة ورب النضر إني لأجدُ ريحها من دون أحد .

ولكن الرسول ﷺ كان بخير وسط أصحابه طلحة يتلقى السهام بجسده عنه وأبو دجانة يصد السهام بظهره ، وعلي بن أبي طالب يجيء بالماء الى

رسول الله وقد أصابته بعض السهام فلم يشرب وغسل عن وجهه الـدم وهو يقول : « اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه » ثم يصب الماء على رأسه الشريفة .

وفي هذا اليوم الكريم نزلت على رسول الله ﷺ ستون آية منها عتاب للذين عصوا الرسول ولم يطيعوا أمره فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وسارعـوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾ .

وقد عزي القرآن المسلمون لما أصابهم يوم أحد فقال تعالى :

﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين ﴾[1] .

ويقول عز وجل أيضاً : ﴿ أن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾[2] .

ثم يقاتل أنس بن النضر وتصيبه السهام وتتكاثر عليه وهو يـزود عن دينه وعن رسوله ﷺ حتى وجده أصحابه وقد أصيب بسبعين ضربة فما عرفه أحد الا أخته وقد عرفته ببنانه وبإشارة في جسده .

ونزل قول الله تعالى بينما أنس بن النضر يقاتل عن رسوله ولا يتراجع أبداً ونزل قوله تعالى للذين ارجفوا وخافوا فقال :

﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون * وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتـل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين[3] .

---

(١) ، (٢) الآيات ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ من سورة آل عمران .
(٣) الاية ١٤٣ ، ١٤٤ من سورة آل عمران .

وبعد أن انتهت معركة أحد جلس سعد بن معاذ يقص لرسول الله ما صنع أنس بن النضر وما قال عن ريح الجنة ثم أضاف سعد بن معاذ : فما استطعت يا رسول الله أن أصنع ما صنع أنس بن النضر .

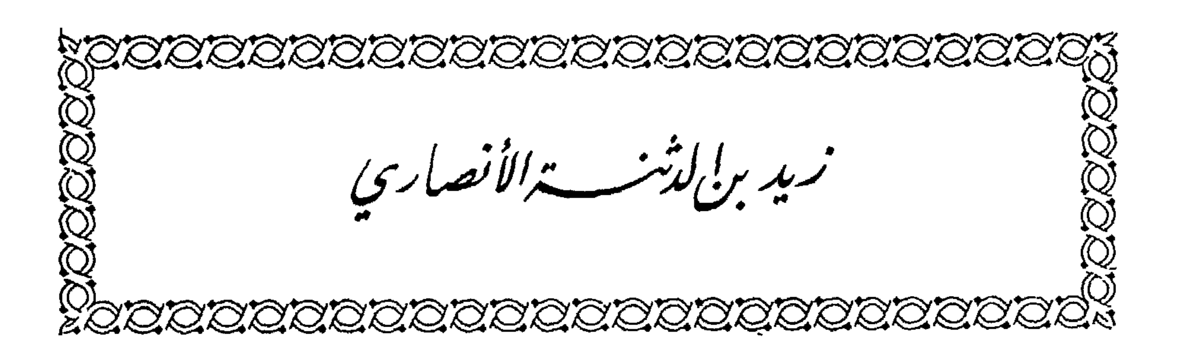
فقال الرسول : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » .

وراحت روحه الطاهرة تسبح في مركب ملائكي مهيب فقد نال ما أراد انه في مقعد صدق عند مليك مقتدر لقد تبوأ مكاناً بين المتقين في جنات ونعيم . . ويطرق الناس ويستمعون إلى ما نزل من القرآن في يوم أحد حتى جاء قول الله عز وجل :

﴿ وما كان لنفسٍ أن تموت الا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴾[1] .

وقد أراد أنس بن النضر ثواب الآخرة ونال ما أراد ، رحم الله أنس وأسكنه فسيح جناته .

■ ■ ■



قال تعالى :

﴿ وما كان لنفسٍ أن تَمُوتَ إلَّا بإذنِ الله كتاباً مؤجلاً ومن يُرِد ثَوَابَ الدنيا نؤتِهِ مِنْهَا وَمَن يرد ثواب الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِيَ الشاكرين * وكأين مِن نَبيّ قَاتَلَ مَعَهُ ربّيُّونَ كَثيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ في سبيل اللّه وَمَا ضَعُفُوْا وَمَا اسْتَكَانُوْا وَٱللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[1] .

من اصدق بيعةً من الأنصار ؟

لا أظن أنني اسمع من يقول : نحن اصدق بيعة من الأنصار ، لقد كانت البيعة على ان يمنع القوم عن رسول الله ما يمنعوه عن نسائهم وأموالهم ، لقد كانت البيعة على الطاعة ، وها هو بطلنا زيد بن الدثنة يزود عن محمد ويستشهد دونه ويقول وهو على حافة الموت :

« والله ما أجب أَنَّ محمداً الآن في مكانة الذي هُوَ فيه تُصِبهُ شوكَةٌ تؤذيهِ وإني جالس في اهلي» .

كان يستطيع زيد بن الدثنة أن يفدي نفسه وقد رأى السيف قادم لفصل رأسه عن جسده ولكن هي البيعة التي لم ولن تتكرر على وجه الدنيا انها بيعة الأنصار في جنح الظلام لمحمد بن عبد الله ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٤٥ ، ١٤٦ .

هذه الكلمات كلمات زيد بن الدثنة جعلت ابي سفيان بن حرب يقول متعجباً :

ـ ما رأيت في الناس أحَداً يحبُّ أَحداً كحب اصحاب محمدٍ محمداً .

كان زيدٌ صاحب عاصم بن ثابت الانصاري يوم الرجيع وكل منهم استشهد بطريقة تناسب الموقف الذي وُضع فيه وما اصعبها من مواقف . . لقد نال زيد ما تمنى ولم أول الأنصار الذين نالوا الشهادة إنهم عاهدوا الله ورسوله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه . ونتقدم في خشوع واجلال للسيرة العطرة والمواقف والمشهود في سيرة زيد بن الدثنة .

المولد والنشأة

نسبه : هو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة بن عامر ابن زريق عبد حارثة بن مالك بن عضب بن جُشم بن الخزرج الانصاري الخزرجي[1] .

في بساتين الخزرج في يثرب وُلِدَ زيد بن الدثنة ، وشب على مشاهد الصراع الجاهلي الكبير بين اهله وذويه من قبيلة « الخزرج » وبين قبيلة « الأوس » وكم تشقى اعداء القبيلتين في صراعهم الطويل ودماء شهدائهم المراق .

وهل يحب غلام في سنه صراع كهذا كل يوم يقصد فيه أحد من أهله وذويه لذلك جاء الإسلام ليطمئن النفوس القلقة المضطربة ويصلح ما عجز عن اصلاحه حكماء هذه البلاد .

---

(١) الاستيعاب جزء ١ ص ٥٣٥ ، الاصابة جـ ١ ص ٥٤٨ .

اسلامه : ومثل كل شاب من شباب المدينة تواترت اليه اخبار الدعوة وأبناؤها فاستطلع الأمر ، وزاده حباً في البحث والسعي ما تناقلته الاخبار من وصول سفير رسول الله ﷺ الى المدينة ونزوله في ديار بني عبد الاشهل فأقبل على مجلسه يسمع منه ويصغي اليه ففاز بالسبق إلى الإسلام واصبح من السابقين : شهد انه لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ﷺ .

ولعل ما في نفس زيد من آمال تحقق بما جاء به هذا الدين من تسامح وعفو وحب وتآلف . فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وبين الأوس والخزرج عندما جاء موكب رسول الله ﷺ ونزل ضيفاً على ابي ايوب الانصاري إلى ان بُني المسجد والبيت ، وكُتِبَتْ الوثيقة الشهيرة في المدينة والتي كانت تعطي كل ذي حق حقه في المدينة حتى انها وصلت اثنتان وخمسون بنداً تشمل كل طوائف وقبائل المدينة مسلمين ويهود كل منهم مصان في ماله طالما يحفظ حق الآخرين في اموالهم ومصان في نفسه وعرضه أيضاً .

وقد يكون من المناسب في هذا المجال ان نسجل بعض بنود الوثيقة[1] وقد كتبت في العام الأول لهجرة الرسول ﷺ الى المدينة وجاء فيها :

(١) هذا كتاب من محمد النبي ، رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

(٢) انهم امة واحدة من دون الناس .

(٣) المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

(١) تسمى في كتب السير بالصحيفة وقد أوردتها مجلة الهلال ببنودها الاثنتان والخمسين في عددها رقم ١٢ ديسمبر ٨٤ .

(٤) وبنو الحارث بن الخزرج على ربعتهم ، يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ومثلهم بنو جشم ، وبنو النجار ، وبنو عمرو بن عوف ، وبنو الأوس .

(٥) وان المؤمنين المتقين ايـديهم على كـل من بغى منهم او ابتغى وسيعة ظلم ، أو إثماً أو عدواناً ، او فساداً بين المؤمنين ، وان ايديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد احدهم .

(٦) ولا يقتل مؤمن مؤمناً ، من كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن .

(٧) وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم ادناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

(٨) وانه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة ، غير مـظلومين ولا متناحر عليهم .

(٩) وانه يثرب « المدينة المنورة » حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

(١٠) وأن لا يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .

(١١) وانكم مهمـا اختلفتم فيه من شيء ، فـإن مـرده إلى الله وإلى محمد .

(١٢) وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعـد آمن بالمـدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وان الله جـار لمخـابـر واتقى ومحمد رسول الله .

(١٣) وانكم مهمـا اختلفتم فيـه من شيء ، فـإن مـرده إلى الله وإلى محمد .

هكذا بدأ الحكم الاسلامي في المدينة كل من على أرض المدينة له حقوق وعليه واجبات وفي ظل هذا النظام انصرف المسلمون ينظمون حياتهم على احسن وجه قلوبهم وعقولهم كلها مع هذا الرجل الذي محا الشر وابقى شـرعـة الله الحق المبين . وتتـابعت آيـات القـرآن في النـزول تنـظم حيـاة

المسلمين ولتصبح دستوراً عظيماً لهم ولكل الدنيا ينهلون من نهره العذب الذي لا ينضب ابداً .

في كل هذا شارك بطلنا زيد بن الدثنة في بناء مسجد رسول الله ، وفي غزوة بدر وعاش احداث الاسلام الأولى منتظراً دوره في الجهاد والكفاح كأنه كان على موعد مع اولئك الذين ارادوا ان يطفئوا نور ولكن الله اذلهم ونصره جنده الأشاوس .

وكان يوم زيد يوم مشهود ، سجله التاريخ لأصحاب محمد ﷺ انه يوم الرجيع . ترى ماذا حدث لزيد في هذا اليوم المبارك .

يوم الرجيع

في السنة الثالثة من الهجرة قدم على رسول الله « جماعة من قبيلتا عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ، ان فينا اسلاماً ، فابعث معنا نفراً من اصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام .

فخرج زيد بن الدثنة كواحد من الفقهاء الستة ، وقد ذكرنا في ترجمة عاصم بن ثابت بعض أحداث هذا اليوم » والستة هم : زيد بن الدثنة ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق ، ومرثد بن ابي مرثد ،وخالد بن البكير الليثي ، وخرجوا جميعاً وبينما هم عند ماء الرجيع ، وهو ماء لقبيلة هذيل ، فإذا بأصحابهم يغدرون بهم ويستصرخوا هذيل عليهم ، وسرعان ما وجدوا فرسان هذه القبيلة وقد احاطت بهم فأمسكوا بسيوفهم إستعداداً للقتال ، فقالوا لهم والله ما نريد قتالكم . ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكن عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

عند ذلك رَفض مرثد بن ابي مرثد وعاصم بن ثابت ان يقبلوا منهم

عهداً وقد عاهدوا الله وعاهدوا انفسهم بأن لا يقبلوا من مشرك عهداً .

وكان ظنهم في محله وخيانة المشرك واضحة ومؤكدة ، فقد دأبت قبيلة هـذيل على حث قبيلتي « عضـل » ، والقارة « لاستـدراج المسلمين وقتلهم انتقاماً لمقتل زعيمهم سفيان بن خالد وقد اغروهما بالمال والمتاع لاستدراج المسلمين وبيعهم لقريش لتقتص لقتلاها في غزوة بدر ، وقد نفـذوا وعدهم الخائن . فقاتلوا عاصم بن ثابت ومرثد وقتلوا على ايدي الخونة . اما زيد بن الـدثنة بـطلنا العـظيم فقد اخـذوه إلى مكة وبـاعـوه في اسـواقهـا فـاشتـراه صفـوان ابـن امية بن خلف أحد زعماء الكفار القتلى في بدر .

اشتراه ليقتله ثأراً لأبيه أمية . فحبسه حتى تنتهي الأشهر الحرم ، ولما انتهت خرجوا به الى حيث يريدون تنفيذ فعلتهم الرعناء . لقد خرجوا به الى احدى ضواحي مكة تسمى السقيم ، وساروا به في اسواق مكة ، ومعه اخيه في الاسلام خبيب بن عدي الذي عاهده على الثبات والمـوت دون التفريط في دينهم وفي عقيدتهم .

وخـرج الموكـب ينيـره مجاهـدين من مجاهـدي الاسلام بينمـا الكفار يحيطون بهم في حقد لم يعرف إلا في جاهليتهم العمياء .

ولما وصلوا الى السقيم وجاءت لحظة كان يتمناها كل اتباع محمد ﷺ في ذلك الوقت انها لحظة الشهادة في سبيل الله وفي سبيل دينه .

وعند هذه اللحظة وبينما السيوف ترفع لتقتص من زيد اذا بأبي سفيان يريد ان ينال من صلابته فيقول له : ناشدتك الله يا زيد ناشدتك الله أَتُحِبُّ أن محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عُنُقَهُ وانك في أهْلِكَ ؟

فقال زيد وقد اراد ان يزلل الأرض من تحت اقدامهم ويلقنهم درساً في الصلابة والتماسك حتى الموت قال :

« واللّهُ ما احبُّ انَّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالِسٌ في أهلي» .

حقاً لقد اهتزت قيمة شجاعتهم التي ظنوها بأنفسهم ، اهتزت امام هذا النسيج الفريد من عزائم الرجال .

فهتف ابو سفيان يقول :
« ما رأيت من الناس أَحَداً يُحِبُّ أَحَداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً» .
رحم الله الرجال وعزائمهم . .

وهنا جاء رجل يسمى نسطاس كافر ليس على دين الإسلام فطعن الجسد الطاهر بطعنة كانت وساماً له في الجنة .

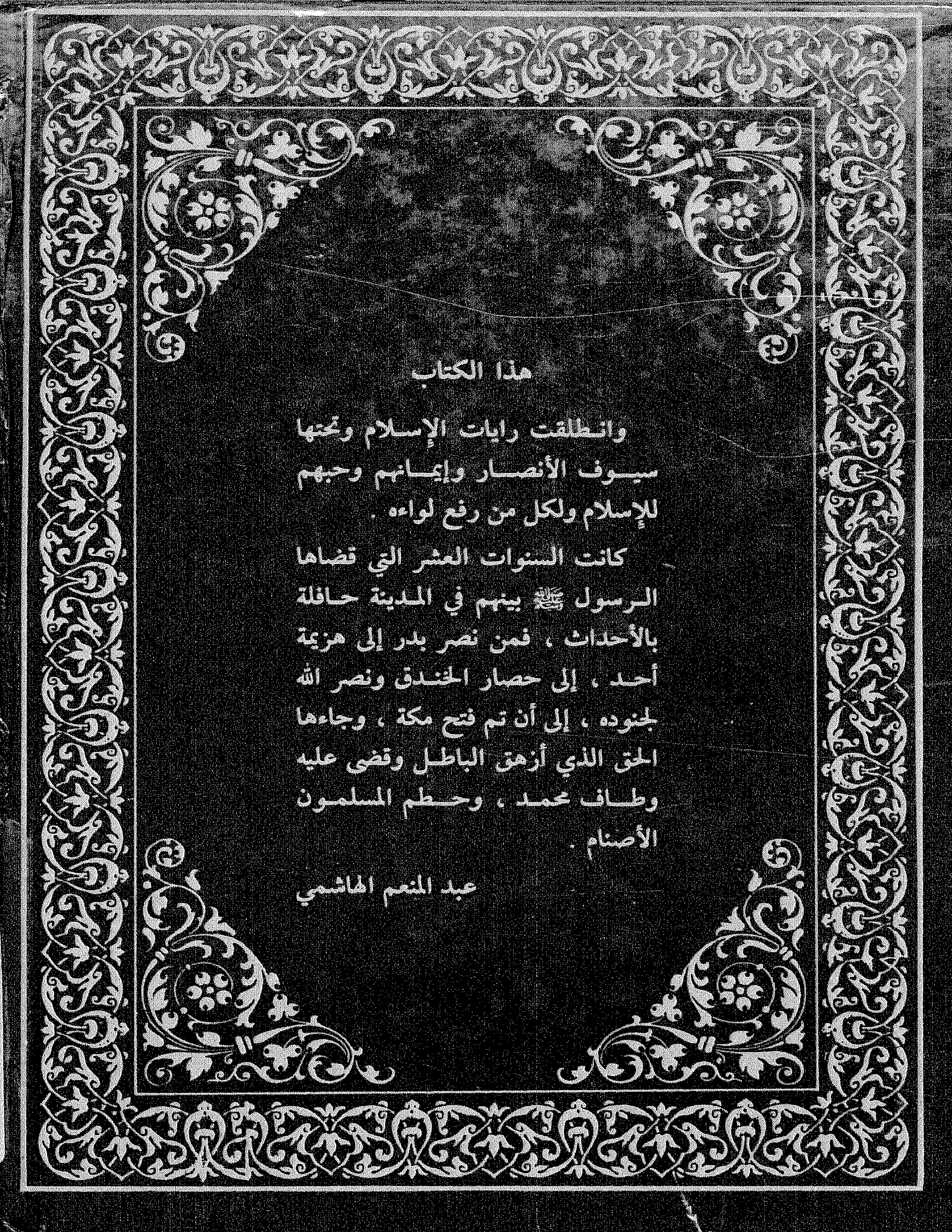
وسترد الى نحر نسطاس يوم القيامة ، عندما يجلس زيد بن الدثنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر قادر على كل شيء .

وصعدت الروح الطاهرة ، في مشهد كان منذ لحظات مشهد إعدام مؤمن وها هو يتحول الى عرس ملائكي تحفه التسابيح الملائكية وشفافية كموج البحر تعلو الأفق وحسبي أن النظر الى الدنيا في هذا الأفق يجعل الناظر وقد ادرك أنها صغيرة صغيرة بسيطة هي الدنيا . . بسيطة بسيطة . .

وداعاً سيد الشهداء ، وداعاً بطل من ابطال الأنصار وداعاً لبطل يوم الرجيع زيد بن الدثنة .

■ ■ ■

فهرس



هذا الكتاب

وانطلقت رايات الإسلام وتحتها سيوف الأنصار وإيمانهم وحبهم للإسلام ولكل من رفع لواءه .

كانت السنوات العشر التي قضاها الرسول ﷺ بينهم في المدينة حافلة بالأحداث ، فمن نصر بدر إلى هزيمة أحد ، إلى حصار الخندق ونصر الله لجنوده ، إلى أن تم فتح مكة ، وجاءها الحق الذي أزهق الباطل وقضى عليه وطاف محمد ، وحطم المسلمون الأصنام .

عبد المنعم الهاشمي